دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(شنترين – لوشة)

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية(١١)
(شنترين – لوشة)

المؤلف: أ.د. حسين جبار العلياوي
أ.د. جاسم ياسين الدرويش

الطبعة الأولى: ٢٠٢٣

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين

طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ -٠٠٩٦٣
Email: akramaleshi@gmail.com

سلسلة رقم (١١)

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(شنترين – لوشة)

أ.د. حسين جبار العلياوي أ.د. جاسم ياسين الدرويش

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة -قسم التاريخ

المقدمة

تعد دراسة المدن بشكل عام من الأمور المهمة التي ينبغي التركيز عليها في الدراسات الحديثة ، وذلك لأن معظم المدن في التاريخ الإسلامي الوسيط على الرغم من كونها جزء من الدول القائمة آنذاك في نظامها السياسي والإداري إلا أن وسائل الاتصال آنذاك جعلت منها عبارة عن وحدات قائمة بذاتها ، فلكل مدينة جذورها التاريخية من حيث النشأة الفتح والإدارة وتركيبتها الاجتماعية وميزتها الاقتصادية ، وبالتالي فإن دراسة كل مدينة على حدة يتيح الاطلاع على كثير من التفاصيل في مختلف حياتها وظروفها بشكل يصعب تتبعه عند دراسة المدن ضمن دولها التابعة لها.

وتبدو الحاجة أكثر في الأندلس بسبب التباين في الظروف الطبيعية والاجتماعية والتي انعكست بشكل مباشر على الحياة السياسية والإدارية لمدن الأندلس ، فلكل مدينة في الأندلس قصة تكاد تميزها عن غيرها من حيث: طبيعتها الجغرافية ، ثم الفتح الإسلامي لها ، وعلاقتها بالعاصمة والسلطة ، وكذلك تركيبتها الاجتماعية ومواردها الاقتصادية ، ثم سقوطها بيد النصارى ، ومن

هنا جاءت دراستنا للمدن الأندلسية ، إذ نقدم بين يدي القارئ الكريم السلسلة الحادية عشرة والتي تناولنا فيها مدينتي شنترين ولوشة الأندلسيتين ، حيث تتبعنا في كل مدينة جغرافيتها التاريخية ثم التاريخ السياسي والعسكري الذي مرت به من الفتح حتى سقوطها بيد النصارى ثم نعرج على حياتها الفكرية وأهم علمائها وإسهاماتهم العلمية ، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

تاريخ مدينة شنترين Santarem الأندلسية

(٩٥ -٥٨٥هـ/٧١٣ -١١٨٩م)

المبحث الأول

الجغرافية التاريخية لمدينة شنترين
Santarem

شنترين مركبة من كلمتي شنت ، ورين بكسر الراء وياء مثناة من تحت ونون[١] ، وقد ورد اسم المدينة في المصادر بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظ(شنترين ، وشونترين ، وسنترين)[٢].

وتذكر المصادر أنها مدينة قديمة[٣] ، وهذه اللفظة تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام[٤] ، إذ كانت ترجع إلى العهد الروماني ، وهي تعد من مدن ولاية إسترمادوره البرتغالية[٥].

تقع مدينة شنترين غرب الأندلس[٦] بالقرب من مدينة باجةBeja[٧]

---

١) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٥.

٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٥٠، ٥٥٣، ٧٢٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص ١٧٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٢٣.

٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٩٩.

٤) سمى الجغرافيون العرب المدينة التي أنشأها المسلمون بالمحدثة، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقديمة أو الأزلية.

٥) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٤٢٥؛ العمايرة، سقوط الثغور الأندلسية، ص٢٣٨.

٦) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٤.

٧) وهي مدينة تقع غرب الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٧٥.

على ساحل البحر[١] إلى الغرب منها[٢] ومتصلة بأحوازها[٣] ، إذ قال ياقوت: ((مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط ، وهي حصينة ، بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً ، وبينها وبين باجة أربعة أيام))[٤] ، وقد اختلف الاصطخري في تحديد المسافة بين مدينة شنترين وباجة بقوله: ((... ومن باجة إلى شنترين١٢ يوماً والى أقصى كورة شنترين٥ أيام))[٥].

كما تحدث الحميري عن ذلك بقوله: ((شنترين بالأندلس معدودة في كورة باجة))[٦] ، في حين أشار المقري إلى أنها من توابع لشبونة Lisbon[٧] بقوله: ((ومن أعمال أشبونة شنترين وغيرها))[٨] ، إلا أن ابن سعيد جعل مدينة شنترين من ضمن مناطق جليقية Galicia[٩] بقوله: ((... ، مدينة شنترين ، وهي من قرى

---

١) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٢.

٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤١٧/١.

٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢.

٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٤.

٥) المسالك والممالك، ٤٧.

٦) الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٧) ويطلق عليها لشبونة أيضاً وهي مدينة تقع غرب الأندلس على ساحل المحيط الأطلسي، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٦١.

٨) نفح الطيب، ١٦٧/١.

٩) تقع بلاد جليقية في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة أيبيريا، وتحاذي حدودها من جهة الغرب سواحل المحيط الأطلسي وخليج بسكاي وتجاورها من ناحية الشرق بلاد نافار ومدينة ليون، ومن أشهر مدنها مدينة شنت ياقب، وأشتوريس، وابيط، وأقش، وغيرها، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٩.

غليسية المشهورة ، ...))[1].

كما أن مدينة شنترين تقع غربي قرطبة Cordba[2] ، إذ أن المسافة بينهما خمسة عشر يوماً[3] ، كما تبعد عن مدينة بطليوس Badajoz[4] أربع مراحل[5] ، وقد أشار إلى ذلك الإدريسي بقوله: ((... ، ومن مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس أربع مراحل وعلى يمين طريقها مدينة يلبش))[6] ، كما أن المسافة بين شنترين وقلمرية Coimbra[7] من جهة الجنوب ثلاث مراحل[8].

---

١) كتاب الجغرافية، ص ١٩٢ ؛ وينظر أيضاً : أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٣.

٢) تعد قرطبة قاعدة بلاد الأندلس وأهم مدنها، كانت تجبى إليها كل جهات الأندلس لكونها دار ملكها وعاصمتها لمدة طويلة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢ -٥٨٠ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ -٢٧ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦ -٤٥٩.

٣) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٧٩ -٨٠.

٤) مدينة تقع غرب الأندلس وتعد من أعمال مدينة ماردة والمسافة بينهما أربعون ميلاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٤ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣.

٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٦؛ والمرحلة تساوي أربعة وعشرون ميلاً أي ما يعادل ٣٧ كم ونصف، وفي حالة السير السريع ٤٦ كم، ينظر : الشربيني، مغني المنهاج، ٥٢٢/١ ؛ كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي٩٧٢/٢.

٦) نزهة المشتاق٥٥٠/٢.

٧) مدينة تقع غرب الأندلس بالقرب من المحيط الأطلسي إذ تبعد عنه اثنا عشر ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧١.

٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧١.

ومن مدينة شنترين إلى مدينة شنترة Cintra[١] يومان[٢] ، وتبعد عن مدينة شلب Silves[٣] أربعة أيام[٤] ، في حين حدد مؤلف مجهول المسافة بين شنترين وشلب بستين ميلاً[٥] ، كما تتصل أحوازها بأحواز مدين أشبونة[٦] ، إذ المسافة بينهما ثلاث مراحل[٧] ، وفي سمتها في الشرق جنوبي النهر حصن قنطرة السيف[٨] ، إذ المسافة بينهما ثمانون ميلاً[٩].

كما حدد الاصطخري الطرق التي تربط مدينة شنترين ببقية مدن الأندلس بقوله: ((... ، فمن قرطبة إلى إشبيلية[١٠] إلى باجة إلى

---

١) مدينة تقع غرب الأندلس وتعد من توابع مدينة أشبونة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٧.

٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٥.

٣) مدينة تقع غرب الأندلس وهي قاعدة ولاية أشكونبة وتبعد عن مدينة بطليوس ثلاث مراحل، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ١٦٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٢.

٤) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢.

٥) تاريخ الأندلس، ص ١٠٢؛ والميل يساوي ٢ كم؛ ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.

٦) ابن غالب، فرحة الأنفس،ص٢٢ ؛ياقوت، الأندلس من معجم البلدان،ص٣٠؛ ٢٤٩.

٧) المراكشي، المعجب، ص ٢٧٢.

٨) وهي من مدن غرب الأندلس بينها وبين مدينة بطليوس أربعة أيام، وبينها وبين ماردة يوم، ينظر : ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٥ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٦.

٩) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص ١٧٩.

١٠) مدينة أندلسية بناها يوليوس قيصر تبعد عن قرطبة ثمانين ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨ ـ٦٠؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤ –١٧٥.

ماردة[1] إلى قورية[2] إلى قلمرية مدينة شنترين العظمى))[3] ، وجعل البكري مدينة شنترين في الجزء الخامس وقاعدته ماردة Merida وأضاف إليها اثنتي عشر مدينة ومن ضمنها مدينة شنترين وهي: ((وهي باجة ومدينة أكشونبة[4] ومدينة صيوتلة[5] ومدينة يابرة[6] وشنترة وشنترين والأشبونة وقلنبرية[7] وقورية وشلمنقة[8] وصمورة[9]...))[10].

في حين وضعها الإدريسي ضمن إقليم بلاطة بقوله: ((... ، إقليم بلاطه وفيه شنترين ولشبونة وشنترة))[1] ، وإقليم بلاطة نسبة إلى

---

١) مدينة أندلسية تقع بجوف قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلاً فيها آثار كثيرة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٨.

٢) مدينة تقع غرب الأندلس وتعد من أحصن المعاقل ولها سور منيع، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٥.

٣) المسالك والممالك، ص ٤٧.

٤) مدينة تقع غرب الأندلس تتصل بأحواز مدينة أشبونة ولها عدة حصون وأقاليم واشتهرت بكثرة خيراتها وثمارها، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢.

٥) لم نجد لها ترجمة.

٦) مدين أندلسية تقع في الغرب، وتعد من كورة باجة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٥.

٧) وهي مدينة قلمرية نفسها المارة الذكر.

٨) وتعرف أيضاً باسم طلمنكة وتقع في الثغر الأعلى وتعد من أعمال مدينة وادي الحجارة والمسافة بينهما عشرين ميلاً، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤٢/٢.

٩) وتعرف أيضاً سمورة وهي مدينة أندلسية تعد من مملكة جليقية، وتقع على ضفة نهر كبير وبينها وبين البحر ستون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٤.

١٠) المسالك والممالك، ٣٨٠/٢ -٣٨١.

فحص بلاطة ، وقد أشار الحميري إلى توسط هذا الفحص بين مدينتي شنترين ولشبونة[٢] ، فيما حدد الإدريسي المسافة بين المدينتين وموقع فحص بلاطة بقوله: ((ومن مدينة لشبونة مع النهر إلى مدينة شنترين شرقاً ثمانون ميلاً ، والطريق بينهما لمن شاء في النهر أو في البر ، وبينهما فحص بلاطة ، ...))[٣].

كما عدّ مؤلف مجهول مدينة شنترين من قواعد الأندلس المهمة بقوله: ((إن الأندلس شامية وهي بلد كريم البقعة... ، وبها من قواعد المدن أربعون قاعدة ، فأول قواعدها مدينة قرطبة ثم طليطلة[٤] ثم سرقسطة[٥] ، ثم إشبيلية ثم ماردة ثم أربونة[٦] ، ثم لاردة[٧] ثم بطليوس ثم شلب ثم شنترين ،...))[٨].

ووضعها المراكشي ضمن مدن الحد المغربي من بلاد الأندلس

---

١) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢؛ وينظر : أرسلان، الحلل السندسية، ٧٨/١.

٢) الروض المعطار، ص ١٠٣.

٣) نزهة المشتاق، ٥٤٩/٢.

٤) وهي مدينة أندلسية كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين وهي حصينة ولها عدة أسوار وتقع على نهر تاجة، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩.٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣.

٥) مدينة تقع في شمال شرق الأندلس وتعرف بالمدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها ولها أسوار منيعة، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٧.

٦) مدينة تقع في الجنوب الفرنسي كانت قاعدة عسكرية للمسلمين في عهد الولاة، ينظر: الزهري، الجغرافية، ص ٧٧.

٧) مدينة تقع في الثغر الأعلى الأندلسي وتشتهر بالكتان، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧

٨) تاريخ الأندلس، ص ٤٤ -٤٥.

بقولـه: ((وفي الحـد المغربـي الـذي هـو سـاحل البحـر الأعظـم أقيـانس ، مـدن أيضًـا ، منـها: مدينـة الأشـبونة ، وشـنترين ، وباجـة ، وشَـنْتَرة ، وشَنْت ياقُو[1] ، ومدينة يابُرَة ، ومدن كثيرة ذهبت عني أسماؤها ،...))[2].

كما حدد ياقوت موقعها بالنسبة للمـدن الواقعـة غـرب الأنـدلس على البحر المحيط وربطها ببقية المدن الأخـرى وصـولاً لـبلاد الافرنجـة بقولـه: ((وتتصـل الأنـدلس في الـبر الأصـغر مـن جهـة جلّيقيـة وهـي جهة الشمال ويحيط بها الخليج المذكور من بعض مغربها وجنوبها ، والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها من حدّ الجلالقـة إلى كـورة شنترين ثم إلى أشبونة ثم إلى جبل الغور ثم إلى مـا لديـه مـن المـدن إلى جزيرة جبـل طـارق[3] المحاذي لسبتة ثـم إلى مالقـة ثـم إلى المريـة فرضة بجاية ثم إلى بلاد مرسية[4] ثـم إلى طرطوشـة ثـم تتصـل بـبلاد الكفر مما يلي البحر الشرقي في ناحية أفرنجة ،...))[1].

---

١) وتعرف أيضاً باسم شنت ياقب، وهي تقع في منطقة جليقية وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى أحد حواري المسيح عليه السلام وأصبحت له مكانة مقدسة بعد وفاته وادعت الرواية النصرانية أن قبره في شمال أسبانيا وهو يزار من قبل الحجاج المسيحيين، ينظر: العتبي والعامري، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٣.

٢) المعجب، ص ٢٦٧.

٣) يقع جبل طارق شرقي الجزيرة الخضراء وله طرف خارج في البحر وعنده يلتقي البحران وبينه وبين الجزيرة الخضراء ستة أميال وإنما سمي جبل طارق لأن القائد طارق بن زياد لما جاز بالجيش الإسلامي تحصن بهذا الجبل، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٢٦٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٤.

٤) وهي إحدى مدن شرق الأندلس ومن مدن كورة تدمير بناها الأمير عبدالرحمن الثاني واتخذها دارا للعمال، ينظر:الحميري،الروض المعطار،ص٥٣٩.

ويبدو أن وقوع مدينة شنترين بالقرب من البحر المحيط(المحيط الأطلسي) ، جعل فروع من البحر وبعض الأنهار تمر بأراضيها ، وقد تحدث أبو الفدا عن بحر بربطانيه بقوله: ((ومدينة شنترين على بحر بربطانيه وهو بحر وراء الركن الشمالي للأندلس من البحر المحيط مشرقاً ، ...))[٢] ، في حين أشار ابن سعيد إلى ذلك بقوله: ((ويقع في هذا الجزء على بحر بربطانيا الداخلة إلى المشرق من البحر المحيط مدينة شنترين ، ...))[٣].

وبسبب موقعها البحري فقد تأثرت مدينة شنترين بظاهرة المد والجزر في البحر نفسه ، وقد تحدث ابن حوقل عن هذه الظاهرة بقوله: ((وليس لبحر المغرب من جانب المغرب ولا لبحر الروم من الجانب الشرقيّ مدّ ولا جزر إلّا ما بالبحر المحيط في شمال الأندلس فإنّه من ناحية جبل العيون إلى لب إلى أكشنبه[٤] إلى نواحي شلب وقصر بني ورديسن[٥] إلى المعدن[٦] ونواحي لشبونه وشنترين وشنتره فإنّ فيه

---

١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٩؛ وينظر أيضاً: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٠ -٦١.

٢) تقويم البلدان، ص ١٧٣.

٣) كتاب الجغرافيا، ص ١٩٢.

٤) ويطلق عليها أيضاً أخشنبه، وهي مدينة أندلسية تبعد عن مدينة شلب ستة أيام وهي كثيرة الخيرات، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣.

٥) ويعرف أيضاً باسم قصر أبي دانس، وهو إحدى مدن غرب الأندلس في القسم الجنوبي من البرتغال بينها وبين شلب أربعة مراحل، وبينها وبين البحر عشرين مرحلة، ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٤/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٦، ٤٧٧، ٦١٦.

٦) وهي منطقة تقع إلى الجنوب من وادي آنه غالبية سكانها من البربر وهي غنية

مدّاً وجزراً وزيادة تظهر ويرتفع الماء هناك فوق العشرة الأذرع))[1].

وقد تتبع الاصطخري سواحل البحر المتوسط وامتداداتها إلى المحيط الأطلسي وعده خليج من المحيط الأطلسي وجعل مدينة شنترين آخر بلاد الإسلام على المحيط حيث قال: ((وأمّا بحر الروم فانّه خليج من البحر المحيط بين الأندلس وبين البصرة من بلاد طنجة وبين طنجة وبين جزيرة جبل طارق من أرض الأندلس عرضه اثنا عشر ميلاً ثمّ يتّسع ويعرض فيمتدّ على سواحل المغرب فيما يلي شرقيّ هذا البحر حتّى ينتهي إلى أرض مصر ويمتدّ على أراضي مصر حتّى ينتهي إلى أرض الشام ممتدّا عليها ثمّ يعطف بناحية الثغور فيدور على بلد الروم من أنطاكية وما قاربها ، ثمّ يصير غربيّ البحر إلى خليج القسطنطينيّة ويعبره ثمّ يمتدّ على سواحل اثيناس ثمّ على سواحل رومية ثمّ يمتدّ على قرب أفرنجة فيصير البحر حينئذ جنوبيّاَ ويكون على ساحله أفرنجة إلى أن يتّصل بطرطوشة من بلاد الأندلس ويمتدّ على البلاد الّتي وصفناها في صفة الأندلس حتّى يحاذى البصرة بجزيرة جبل طارق ثمّ يمتدّ على البحر المحيط إلى شنترين وهى آخر بلاد الإسلام على هذا البحر من جانب بلد الروم))[2].

ولكون وقوع مدينة شنترين على البحر المحيط(المحيط الأطلسي)

بمصادرها المعدنية، ينظر : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠ م)، ص ٣٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦١؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٩.

١) صورة الأرض، ص ٥٢؛ وينظر أيضاً : المياح، أوربا في كتب البلدانيين، ص ١٢٥.

٢) المسالك والممالك، ص ٦٨ -٦٩.

فقد امتازت ومناطق غرب الأندلس بالرطوبة بسبب موقعها البحري ، فتكون درجة الحرارة فيها تتراوح بين ٤٥ درجة و ٦٥ درجة ف[١] ، تحت تأثير البحر المحيط وتيار كناري بارد[٢] ، أما الإمطار في هذه المنطقة فتسقط نتيجة الرياح الغربية على المرتفعات الساحلية إذ تبلغ ما بين٣٠ و ٥٠ بوصة موزعة على طول أيام السنة[٣] ، أما تأثير الرياح الغربية على الداخل فإن تأثيرها محدود جداً بسبب تعرضها للمرتفعات الساحلية فتسقط معظم رطوبتها على تلك المرتفعات[٤].

كما تقع مدينة شنترين على العديد من الأنهار ، ومنها نهر تاجة Rio Tajo الذي حظي باهتمام المصادر ، فقد أشار إليه ابن غالب بقوله: ((مدينة شنترين وتتصل بأحواز كورة باجة ومبتناها على نهر تاجة ، ...))[٥] ، وتطرق أيضاً ياقوت إلى ذلك بقوله : شنترين((مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط ، ...))[٦].

وتحدث ابن حيان عن نهر تاجة ومروره بمدن الأندلس وصولاً إلى مدينة شنترين حتى يصب في البحر المحيط بقوله: ((... ، ثم يتسع بعد نفوذه من تلك الضيقة ويتسرح جريانه ، إلى أن يأتي باب طليطلة من

---

١) كندور، مناخ القارات، ١٠٧/٢.

٢) كندور، مناخ القارات، ١٠٧/٢.

٣) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ٢٨.

٤) أرسلان، الحلل السندسية، ٢٩/١.

٥) فرحة الأنفس، ص ٢٢.

٦) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٤.

جهة مشرقها الصيفي ، فينعطف إلى جنوبها وينضغط هنالك حتى قنطرتها ذات القوس الهائلة الصنعة ، ثم يمر فيستدير حوالي جنوبها كله إلى مغاربها الشتوية ، ويصير حواليها قريباً من ثلثي دائرة ، ثم يأخذ إلى نحو مغاربها الصيفية ، فيمر بمدينة طلبيرة[1] وبجنوبها ، وهي على خمسين ميلاً من طليطلة ، وذلك شمال قرطبة بالتحقيق ، ثم يمر إلى الموضع الذي عليه قنطرة السيف أفخم قنطرة بالأندلس وأعلاها سمكاً وأعجبها شأناً ، ثم يمر في القفر الذي في شمال مدينة بطليوس على مسافة خمسين ميلاً منها ، إلى أن يوافي مدينة شنترين على مسافة ثلاث مائة ميلاً وعشرين ميلاً من طليطلة ، ثم يمر إلى مدينة أشبونة على ثلاث مائة وثمانين ميلاً من طليطلة ، فيصب هنالك بخليجها الممد إليها من البحر الأعظم الغربي المسمى أقيانس))[2].

كما تكلم المراكشي عن هذا النهر وجريانه وانصبابه عند الحديث عن أنهار الأندلس الكبار المشهورة فقال: ((ثم نهر عظيم ببلاد الروم يسمى تاجو ، وهو الذي عليه مدينة طليطلة وشنترين ، وبين هاتين المدينتين قريب من عشر مراحل ، وعلى هذا النهر أيضًا مدينة الأشبونة ، وبينها وبين شنترين ثلاث مراحل ، ثم ينصب هذا النهر إلى البحر الأعظم))[3]

---

١) مدينة أندلسية تقع في الثغر الأعلى على نهر تاجة إلى الشمال الغربي من طليطلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.

٢) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٢٧٩.

٣) المعجب، ص ٢٧٢.

أما مؤلف مجهول فقد أشار إلى أن نهر تاجة هو أحد الأنهر الستة المهمة في الأندلس إذ قال: ((وبالأندلس أربعون نهراً كباراً ، أكبرها وأعظمها ستة ، ... والثالث نهر تاجة ، ينبعث من عين عظيمة بإزاء حصن ولمه بجبل الغريرة من شرق الأندلس من عمل تطيلة ، ويمر ببعض عمل سرقسطة حتى ينتهي إلى طليطلة ، فيمر عليها إلى طلبيرة ثم أنيبشة ثم إلى مخاضة البلاط ثم إلى شنترين ، ومصبه في البحر الغربي المحيط عند مدينة الاشبونة ، وعدة أمياله ستمائة ميل وعشرين ميلاً ، وهو يشق الأندلس من الشرق إلى الغرب))[1].

أما الإدريسي فقد وصف نهر تاجة وجريانه ببعض الاختلاف بقوله: ((... ، ونهر تاجه المذكور يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة والفنت فينزل ماراً مع المغرب إلى مدينة طليطلة ثم إلى طلبيرة ثم إلى المخاضة ثم إلى القنطرة ثم إلى قنيطرة محمود ثم إلى مدينة شنترين ثم إلى لشبونة فيصب هناك في البحر))[2].

وأشار القزويني إلى أهمية نهر تاجة الزراعية على مدينة شنترين بقوله: إن مدينة شنترين مبنية على نهر تاجة ((وللنهر فيض في بطائحها كفيض النيل بمصر ، زرع أهلها على نداوته في مواضع فيضه بعد فوات أوان الزرع في غيرها من البلاد ، فيدرك بالعاجل))[3] ، أما الحميري فقد تحدث عن ذلك بقوله: ((... ،ونهرها يفيض على بطحائها

---

١) تاريخ الأندلس، ص ٤٦ -٤٨.

٢) نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢.

٣) آثار البلاد، ص ٥٤٢.

كفيض نيل مصر فيزدرع أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا يتأخر إناه وإدراكه))[1].

ومن الأنهار الأخرى التي تمر في مدينة شنترين نهر آنة Rio Guadiana الذي وصفه مؤلف مجهول بقوله: إن قرى شنترين ((تشرب كلها بنهر يأتي إليها يسمى نهر آنة يفيض كما يفيض النيل فيحرثون به ، ... ، وهذا النهر كثير الحوت ، فائض الحركة))[2].

كما تكثر في مدينة شنترين العيون ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((ومدينة شنترين ، ... ، وشرب أهلها من مياه عيون ومن ماء النهر أيضاً))[3] ، إن توفر المياه بوجود الأنهار والعيون قد ساعد على خصوبة التربة فيها ، وقد ذكر ابن سعيد بقوله: ((... ، وأرضها غاية من الكرم والطيب))[4] ، كما تحدث الحميري عن ذلك بقوله: ((وهي من أكرم الأرضين ، ...))[5] ، في حين أشار أبو الفدا إلى ذلك بقوله: ((... ، وأرضها كريمة طيبة ، ...))[6] ، كما علق الرشاطي على ذلك بقوله: ((... ، ولها ارض كريمة))[7].

وعليه فإن خصوبة تربة مدينة شنترين ساعدت على قيام الزراعة ، فقد اشتهرت المدينة بالبساتين والفاكهة ، وقد أوضح ذلك

---

١) الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٢) تاريخ الأندلس، ص ١٠٠.

٣) نزهة المشتاق، ٢/٥٥٠؛ ينظر أيضاً : الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٤) المغرب في حلى المغرب، ١/٤١٧؛ وينظر أيضاً : القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٢.

٥) الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٦) تقويم البلدان، ص ١٧٣.

٧) الأندلس في اقتباس الأنوار، ص ٨٨.

الإدريسي بقوله: ((... ، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل ، ...))[1].

كما يكثر في مدينة شنترين إنتاج القمح ، فقال مؤلف مجهول عن ذلك: ((... ، ويسوق القفيز من القمح فيها مائة قفيز ومائتين وأقل وأكثر ، ...))[2] ، كما يوجد منه في فحص بلاطة الواقع بين أشبونة وشنترين ، وقد أشار إلى ذلك الحميري بقوله: ((فحص بلاطة بالأندلس بين أشبونة وشنترين ، يقول أهل أشبونة وأكثر أهل المغرب إن الحنطة تزرع بهذا الفحص فيقيم في الأرض أربعين يوماً فتحصد وإن الكيل الواحد منها يعطي مائة كيل وربما زاد ونقص))[3] ، كما تحدث الحميري عن إنتاج الحبوب وأسعاره في إقليم صقلب التابع لمدينة شنترين بقوله: ((ومن أقاليمها صقلب ، وهي أطيب بقاع الأرض يرفع في أرضه عند توسط الرياع للحبة مائة ، وعند كماله للحبة مائتان ، ...))[4] ، كما أشار إلى جباية المدينة من الزراعة بقوله: ((... ، وكانت جباية شنترين ألفين وتسعمائة دينار))[5].

وقد وصف الشاعر والوزير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون[6]

---

١) نزهة المشتاق، ٢/٥٥٠؛ ينظر أيضاً : الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٢) تاريخ الأندلس، ص ١٠٠.

٣) الروض المعطار، ص ١٠٣.

٤) الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٥) الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٦) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري أديب أندلسي، من أهل مدينة يابرة، استوزر لبني الأفطس ثم خدم المرابطين توفي سنة ٥٢٩ هـ /١١٣٥م،

جمالية مدينة شنترين في رسالة بعثها إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) بقوله: ((... ، أرحب المدن أمدًا للعيون ، وأخصبها بلدًا في السنين ، لا يريمها الخِصب ولا يتخطاها ، ولا يرومها الجدب ولا يتعاطاها ، فروعها فوق الثريا شا مخة ، وعروقها تحت الثرى راسخة ، تباهي بأزهارها نجوم السماء ، وتناجي بأسرارها أذن الجوزاء ، مواقع القطار في سواها مغبرَّة مربدَّ ة ، وهي زاهرة تَرِفُّ أنداؤها ، ومطالع الأنوار في حشاها مقشعرة مسودة ، وهي ناضرة تَشِفُّ أضواؤها ، ...))[١].

كما وصف حُسن المدينة القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمر[٢] عند حديثه عن غزوة مدينة شنترين سنة٥٨٠هـ/١١٨٤م[٣] بقوله: ((... ، والبلد لحسن عمارته والتفاف أشجاره واتصال جناته وإيناع ثمراته ليس له مسلك إلا من خلال تلك الأغصان وفي أثناء منعرجات ما أحدق به من اشتباك الكروم والتفاف الغيطان ، فكانت أشخاص الفرسان عند رؤيتهم تتوارى بالظلال ويستر ظهور حسن هيئتها فروع الأشجار وأسنمة الجبال))[٤].

ينظر : ابن بسام، الذخيرة، ٦٦٨/٤ -٧٠٠؛ المراكشي، المعجب، ١٢٤ -١٢٩.

١) المراكشي، المعجب، ص ١١٨.

٢) وهو أحد قضاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن له كتاب في تاريخ الموحدين، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢٠؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٠٥.

٣) لمزيد من التفاصيل عن غزوة مدينة شنترين ينظر: الفصل الثالث، ص

٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٢.

كما أشار المقري إلى جمالية المدينة بقوله: ((... ، شنترين قاصية أرض الإسلام ، السامية الذرا والأعلام ، التي لا يروعها صرف ، ولا يفرعها طرف ، لأنّها متوعّرة المراقي ، معفّرة للراقي ، متمكّنة الرّواسي والقواعد ، من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد ، قد أطلّت على خمائلها ، إطلال العروس من منصّتها ، واقتطعت من الجوّ أكثر من حصّتها ، ...))[1].

ووصف عنان(ت١٩٨٦م) طبيعة مدينة شنترين الخضراء عند زيارته لها بقوله: وتحتل مدينة شنترين ربوة عالية تطل على بسائط خضراء يانعة تغطيها المحاصيل والحدائق وغابات الزيتون[2] ، ولعل جمالية المدينة وكثرة خيراتها هو الذي دعا الولاة تتردد عليها بين الحين والآخر ، وهذا ماأكده أبو الفدا بقوله ((... ، وكانت الولاة تتردد عليها من أشبونة ، ...))[3].

واشتهرت مدينة شنترين أيضاً بالصناعة ، منها صناعة الثياب الملونة من وبر الدابة التي في البحر في لين الخز لونه لون الذهب ، وهو عزيز عندهم ، فيجمع وتنسج منه هذه الثياب ، ويحجز هذا الوبر من قبل الحكام ، وينقل سراً ، وقيمة الثوب الواحد منه تزيد على ألف دينار لعزته وحُسنه[4] ، وقد تحدث القزويني عن تلك الثياب بقوله: ((ومن

---

١) نفح الطيب، ٦٦٤/١.

٢) الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٥.

٣) تقويم البلدان، ص ١٧٣.

٤) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٤١ -٤٢.

عجائبها ما ذكر أن دابة تخرج من البحر هناك وتحتك بحجارة على ساحل البحر فيسقط منها وبرة على لون الذهب ولين الخز وهي قليلة عزيزة جداً فيجمعها الناس وينسج منها الثياب فيحجر عليها ملوكهم ولا تنقل من بلادهم إلا بالخفية ، وتزيد قيمة الثوب منها على ألف دينار لحسنه وعزته))[1] ، كما أشار المقدسي إلى أن القماش المعروف باسم(بوقلمون) يصنع في مدينة شنترين غربي الأندلس بألوانه المتغيرة[2] ، ولعله نفسه الذي يصنع من وبر دابة البحر.

كما اشتهرت مدينة شنترين بالمعادن ، لاسيما العنبر لوقوعها على البحر المحيط إذ عمّت تجارته من الأندلس إلى المناطق الأخرى وخاصة مصر ، وقد تحدث اليعقوبي عن هذه التجارة بقوله: ((وأما العنبر... يؤتى به من بحر الأندلس فتحمله البحارة إلى مصر وهو شبيه في لونه بالعنبر الشحري[3] وقد يغالط به فيه))[4] ، وأشار الاصطخري إلى وجود هذا المعدن بمدينة شنترين بقوله: ((ويوجد هذا المعدن بالتحديد في مدينة شنترين التي تقع على البحر

---

١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤٢.

٢) أحسن التقاسيم، ص ٢٤٠؛ وينظر أيضاً : دويدار، المجتمع الأندلسي، ص ٣٤٨.

٣) نسبة إلى الشحر على ساحل بحر العرب من أرض اليمن وهو أجود أنواع العنبر وأفضله وأحسنه وأصفاه جوهراً وأغره قيمة، وهو يقذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر، وقيل إنه بجبال نابتة في قرار البحر مختلفة الألوان تقتلعه الرياح وشدة اضطراب البحر في الاشتية الشديدة ولهذا لا يخرج في الصيف، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٢١٠ -٢١١؛ النويري، نهاية الأرب، ١٢/١٦.

٤) البلدان، ص ٢١١؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ١٢/٢٠.

المحيط... ، ولم نعلم ببحر الروم والبحر المحيط موضع عنبر إلا بشنترين))[1] ، كما تطرق المقري إلى عنبر شنترين بقوله: ((والعنبر كثيرٌ ببحر الأندلس ، يجهز إلى مصر وغيرها ، ويحمل إلى قرطبة من ساحلٍ لها يقال له شنترين وشذونة[2] ، تبلغ الأوقية منه بالأندلس ثلاثة مثاقيلٍ ذهباً ، والأوقية بالبغدادي وتباع بمصر بعشرة دنانير ، وهو عنبرٌ جيّدٌ ، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء))[3].

والراجح أن رواج تجارة العنبر وذلك لاستخداماته المتعددة لاسيما في الطب ، فذكر ابن البيطار أن العنبر: ((مقو للقلب والدماغ نافع من الفالج واللقوة وأمراض البلغم الغيظ))[4] ، وأضاف أن ((العنبر ينفع من أوجاع المعدة الباردة ومن الرياح الغليظة العارضة في المعي ومن السدد إذا شرب ، وإذا طلي به من خارج ومن الشقيقة والصداع الكائن عن الأخلاط الباردة إذا بخر به ، وإذا طلي به ، ويقوي الأعضاء ويقاوم الهواء المحدث الموتان إذا أدمن شمه والبخور به وإذا شرب... ، وقد تضمد به المفاصل المنصب إليها الرطوبات ورياح البلغم فينتفع به منفعة بينة ، ويقوي رباطاتها ويحلل ما ينصب إليها من الرطوبة ، وقد يسعط منه محلولاً ببعض الأدهان المسخنة كدهن المرزنجوش أو دهن

---

١) المسالك والممالك، ص ٤٢.

٢) مدينة أندلسية متصلة بكورة مورور، وهي جامعة خيرات البر والبحر، وبسواحلها يوجد العنبر، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣٩.

٣) نفح الطيب، ١٤٣/١ -١٤٤.

٤) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٨٣/٣.

البابونج أو دهن الأقحوان أو دهن الجماجم ، فيحلل علل الدماغ الكبار العارضة من البلغم الغليظ والرياح ويفتح مايعرض في لفائفه من السدد ويقويه على دفع الأبخرة والرطوبة المتراقية إليه ، ويتخذ منه شمامات على مثال التفاح يشمها من يعرض له الفالج واللقوة والكزاز فينتفعون بشمها ، ويدخل في كثير من المعاجين الكبار والجوارشنات الملوكية ،... ، دخنته نافعة من النزلات الباردة مقوية للدماغ وإذا حل في دهن البان نفع من جميع أوجاع العصب والخدر إذا دهن به فقار الظهر وهو مقو لفم المعدة إذا غمس فيه قطنة ووضع عليها ، وينفع مأكولاً من استطلاق البطن المتولد عن برد وعن ضعف المعدة ، وبالجملة فهو مقو للأعضاء العصبية كلها ، ... ، إن طرح منه شيء في قدح شراب وشربه إنسان سكر سكراً سريعاً))[1].

كما يوجد في غربي مدينة شنترين معدن الحجر اليهودي ، وهو ما أشار إليه الحميري بقوله: ((وفي غربي شنترين على مقدار خمسين ميلاً فيما بين الأشبونة وشنترة في جبل هناك كان حصناً فيما مضى يوجد الحجر المعروف بالحجر اليهودي ، وهو على شكل البلوط سواء ومن خاصيته تفتيت الحصا التي تكون في المثانة والكلية ويقع في الأكحال ،...))[2] ، وأكد الطبيب أبو بكر الرازي استخدامات هذا الحجر الطبية بقوله: ((الحجر الْيَهُودِيّ يحك على مسن ويسقى بِمَاء سخن وَوَحدهُ نَافِذاً فِي حَصى الكلى غير نَافِذ

---

١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٣/١٨٣ -١٨٤.
٢) الروض المعطار، ص ٣٣.

فِي حَصى المثانة))[1] ، وقال أيضاً: أن ((الحجر الْيَهُودِيّ مَتى حك مِنْهُ قدر حمصة وَشرب بِثَلَاثَة ابولسات مَاء حَار نفع من عسر الْبَوْل))[2] ، ولعل ذلك كان عاملاً مساعداً على رواج تجارته.

أما خطط المدينة فقد اشتهرت شنترين بجامعها الكبير وحماماتها وأسواقها ، وهذا ما أكده مؤلف مجهول بقوله: ((... ، وبها جامع عظيم بناه الإمام الحكم[3] ، وبها حمامات عظيمة وأسواق واسعة مرتبة))[4].

كما تمتعت مدينة شنترين بحصانتها ومناعتها ، وأشار إلى ذلك الإدريسي بقوله: ((ومدينة شنترين على جبل عال كثير العلو جداً ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها وبأسفلها ربض على طول النهر ، ...))[5] ، كما علق ابن غالب على حصانتها بقوله: ((... ، وبرجها سامي الذروة متناه في الحصانة))[6] ، ونظراً لحصانة موقعها في منعطف النهر ، فقد كانت من المراكز الأمامية للمعارك المستمرة بين المسلمين والنصارى ولها في ميدان الجهاد تاريخ مؤثر[7].

أما بالنسبة إلى أقسام مدينة شنترين وشوارعها ، فقد كانت مدينة متوسطة الحجم ، مشرقة الطالع ، بها شوارع وميادين حسنة ، وشوارعها الجانبية ضيقة ، ومنازلها منخفضة ذات طابق أو اثنين وأحياناً ثلاثة ،

---

١) الحاوي في الطب، ٢٩٨/٣.
٢) الحاوي في الطب، ٣٢٣/٣.
٣) وهو الأمير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الأول، تولى حكم الأندلس للمدة (١٨٠ -٢٠٦هـ/ ٧٩٦ -٨٢١ م)، ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٣.
٤) تاريخ الأندلس، ص ٩٩ -١٠٠.
٥) نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢.
٦) فرحة الأنفس، ص ٢٢.
٧) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٥.

وهي هادئة الحركة ، جافة الهواء ، ويبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر نحو ثلاثمائة متر[1] ، ويقع قسم من المدينة على ربوة مقابل أخرى أقل ارتفاعاً من الربوة الرئيسية ، وتقه بعض أحيائها على السفح المنحدر نحو السهل[2].

وقد وصف عنان أحياء ودروب المدينة وأزقتها عندما زارها بقوله: وتبدو مدينة شنترين على وجه العموم ذات طابع خاص ، وترتسم على دروبها الضيقة الرطبة الآخذة من شارعها الرئيسي ملامح المدينة الأندلسية بالرغم من ثوبها النصراني ، وإنه ليخالجك هذا الشعور بنوع خاص حين تنحدر إلى أزقتها الصاعدة الضيقة وتتأمل طراز منازلها القديم ، وأكثر ما يبدو هذا الطابع قوة في الأحياء الواقعة على الربوة الصغرى[3].

وقد احتوت مدينة شنترين على العديد من الآثار الأندلسية الباقية منها إلى الآن ، فهناك من أسوارها القديمة قطعة كبيرة في حالة جيدة تتكون من زاويتين ، وتقع في طرف المدينة الشمالي وراء الكنيسة العظمى ، وعلى مقربة منها توجد قطعة أخرى ، تحد الآن متنزه المدينة الواقع خارجها ، ولكن ما بقي منها لا يتعد نحو مترين ولا يتعدى طوله مائة متر ، وتشرف الربوة التي يحيط بها السور والتي يتوسطها المتنزه الكبير على نهر التاجة قبالتها ، وهو يجري تحتها وينحني عندها ، ويوجد تحت السور في نهاية الحديقة عقد عربي يسمى عقد(أتمارما Arco datamrma) ويقال هو الباب الذي دخل منه الملك الفونسو

---

١) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٥ -٤٢٦.
٢) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٦.
٣) الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٦.

هنكريز[1] المدينة عقب سقوطها بيد النصارى[2] ، كذلك توجد قطعة ثالثة من الأسوار القديمة على طرف المدينة عند مداخلها ، وهو ما يحدد موقعها القديم[3].

ومن الآثار الأخرى التي وجدت في مدينة شنترين هي القصبات الأندلسية ، والقصبة هي القلعة وملحقاتها ، وكانت تبنى عادة فوق أعلى ربوة تشرف على المدينة ، وتستخدم للسيطرة عليها والدفاع عنها ، كما تستعمل مقراً للأمير أو الحاكم ، ويلحق بها عادة قصر ومسجد ، والقصبة هي أكثر الآثار الأندلسية ذيوعاً ، ولا تكاد تخلو قاعدة أندلسية قديمة حتى اليوم من القصبة أو بعض أطلالها ومنها مدينة شنترين[4].

أما بالنسبة للكنائس ، فإن مدينة شنترين تضم عدة كنائس أثرية ، منها الكنيسة العظمى المسماة كنيسة سان فرنسكو ، وهي كنيسة كبيرة ذات عقود عالية قوطية الطراز ، وهي قديمة ترجع إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وقد جددت كلها ، ولكن أفريز مدخلها قديم جداً ، والظاهر من موقعها في طرف المدينة على مقربة من الأسوار الأندلسية ، أنها بنيت فوق موقع جامع القصبة التي كانت تحتل البقعة[5] ، ومن الكنائس الأخرى كنيسة (الكسوفا Alcacovas)

---

١) وهو ملك البرتغال الذي حكم المملكة للمدة(٥٢٢-٥٨١هـ/١١٢٨-١١٨٥م)، ينظر: الحسيناوي، قشتالة، ص ١٧٢.

٢) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٦.

٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٦.

٤) عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ص ٥١٧.

٥) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٦ – ٤٢٨.

وهي أقدم كنائس مدينة شنترين ، وقد أنشأها فرسان المعبد(الداوية)[1] في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، وتقع في طرف المدينة الشرقي ، وهي ذات عقود عربية[2].

كذلك كنيسة القديس يوحنا Sao Joao ، وهي اليوم متحف ، ويدل برج أجراسها الذي هو منارة مسجد قديم على أنها بنيت فرق موقع هذا المسجد[3] ، ومنها أيضاً كنيسة(بيدادي Piedada) وهو صرح صغير ذو عقود عربية[4].

ومن الآثار الأخرى في مدين شنترين وجود أثر يقع خارج المدينة في شمالها الشرقي على مقربة من الأسوار القديمة يسمى نافورة فيجراس Figueiras وهو عبارة عن بناء يتكون من ثلاثة عقود اثنان جانبيان والثالث في الواجهة ، وعليه قبة قوطية ، وتحتها نافورة ماء ، وهو أثر نصراني يرجع إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[5].

---

١) وهم فرقة من الصليبيين حبسوا أنفسهم لقتال المسلمين وامتنعوا من النكاح وغيره، ولم يكن عليهم لأحد طاعة، وكانوا ينسبون إلى حصن حصين بنواحي الشام أطلق المسلمون هذا الاسم على فرسان المعبد **Templer** وهم الجماعة التي أسسها **Hughde Payns** سنة ٥١٣ هـ/١١١٩ م لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا والقدس ثم تحولت إلى هيئة عسكرية دينية وأصبح لها شأن في محاربة المسلمين في الحروب الصليبية في المشرق والأندلس، ينظر : العلياوي، الحملات الصليبية، ص ١٠٨، وينظر : هامش(٣).

٢) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٨.

٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٨.

٤) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٨.

٥) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٨.

المبحث الثاني

التاريخ السياسي والعسكري لمدينة شنترين حتى سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م

لم ترد في المصادر المتوفرة إشارة مباشرة عن كيفية فتحا أو تاريخ ذلك ، ولكن خط سير الفتح الإسلامي بقيادة موسى بن نصير قد أخذ من إشبيلية Sevilla غرباً باتجاه ماردة التي حاصرها عدة أشهر حتى استطاع فتحها ثم توجه إلى طليطلة Toledo[١] ، أي أنه لم يمر بمدن الساحل الغربي لاسيما مدينة شنترين ، ثم إنه واصل سير فتوحاته المشتركة مع طارق بن زياد في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia[٢].

ونظراً لفتح موسى معظم مدن الثغر الأدنى الأندلسي فقد قسم أراضيه إلا مدينتين هما شنترين وقلمرية لعدم فتحها في عهده ، وسائر البلاد قسمت بين التابعين[٣] الذين كانوا مع موسى بن نصير

---

١) لمزيد من التفاصيل حول خط سير موسى بن نصير ينظر : السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٩٥ -٩٦؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٦ -٣٨؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٨٣.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٨ -٣٩.

٣) من التابعين الذين دخلوا مع موسى بن نصير: أبو عبد الرحمن الحلبي، وحيان بن أبي جبلة القرشي،وبكر بن سوادة الحزامي،وحنش بن عبدالرحمن الصنعاني، ينظر: ابن حبان، الثقات في الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ص ٥١.

ثم توارث أراضيهما الأبناء عن الآباء[1].

وعليه يمكن أن نعد فتح مدينة شنترين وبقية مناطق غرب الثغر الأدنى الأندلسي تمت في عهد الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير (٩٥-٩٧هـ/٧١٣-٧١٥م) بعد أن تولى حكم الأندلس بعد رجوع أبيه إلى المشرق بناءً على طلب الخلية الأموي الوليد بن عبدالملك(٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) ، لذلك أخذ عبد العزيز بن موسى على عاتقه فتح المناطق التي لم تفتح في عهد أبيه ، وهذا ما أكدته بعض المصادر ، إذ أشار ابن القوطية بقوله: ((وأقام عبد العزيز يفتح ما بقي عليه من مداين الأندلس))[2] ، كما تحدث مؤلف مجهول عن ذلك بقوله: ((وافتتح في ولايته مداين كثيرة))[3] ، في حين علق ابن الأثير على ذلك بقوله: ((فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه))[4].

أما ابن عذاري فقد أورد لنا نصاً يؤيد ذلك بالقول: ((لما قفل موسى بن نصير ، استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس ، فضبط سلطانها ، وسد ثغورها ، وافتتح مدائن كثيرة))[5] ، كما تطرق ابن خلدون في هذا الصدد أيضاً: ((وقفل عن الأندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية بثغورها ، واستعمل ابنه عبدالعزيز لغزوها وجهاد أعدائها ، ... ،

---

١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٠٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٦٢٤.
٢) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٦.
٣) أخبار مجموعة، ص ٢١.
٤) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٥٥.
٥) البيان المغرب، ٣١/٢.

وكان خيّراً فاضلاً ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة))[1] ، وأشار المقري إلى فتوحاته بقوله: ((كان تولى الأندلس بعد قفول أبيه عنها باستخلافه إيّاه كما سبق ، فضبط سلطانها ، وضمّ نشرها ، وسدّ ثغورها ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ممّا كان قد بقي على أبيه موسى منها))[2] ، وخلص بعض الباحثين إلى أن فتح مدن الساحل الغربي تم على يد عبدالعزيز موسى بن نصير[3].

ويبدو أن المدينة فتحت صلحاً ، إذ لم تشر المصادر المعتمدة بأخبار عن مواجهات عسكرية في شمال غرب شبه الجزيرة الأيبيرية ، ولعل ذلك يرجع إلى طلب السكان في تلك المناطق السلم مع الجيش الإسلامي ، حيث لا جدوى من المقاومة بعد أن فرّ معظم الجيش القوطي وقتل ملكهم ، وفي هذا المنوال قال المقري: ((... ، وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية))[4] ، وقد رجح ذلك بعض الباحثين بالإشارة إلى أن عبد العزيز بن موسى بعد فتحه مدن الغرب لشبونة وشنترة وشنترين عقد معاهدات صلح مع هذه المدن المفتوحة[5].

وليس لنا معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها بعد الفتح

---

١) العبر، ١١٨/٤.

٢) نفح الطيب، ٢٦٣/١.

٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص ١١١ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٩ - ٤١ ؛ طه، دراسات أندلسية، ص ٢٤٤ ؛ بيضون، الدولة العربية، ص ٨٧ ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١١٠.

٤) نفح الطيب، ٢٧٦/٢.

٥) طه، الفتح والاستقرار، ص ١٨١ ؛ الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم (٣)، ص ١٩٣ -١٩٤.

الإسلامي سواء القبائل العربية أم البربرية ، وبخصوص الأخيرة فيبدو أنها أكثر انتشاراً في المنطقة ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى تماثل البيئة المغربية مع بيئة المنطقة الغربية من الأندلس ، وحتى أن قسماً من جبالها كانت تدعى البرانس بسبب غلبة سكانها من البربر البرانس[1] ، كما أن أغلب مناطق غرب الأندلس كان يطلق عليها اسم بلاد الجوف والتي اقترن اسمها باسم البربر[2] ، وعلى الرغم من الانتشار الواسع للبربر في غرب الأندلس إلا أنه ليس لدينا في المرحلة المبكرة من نصوص مباشرة تشير إلى استيطانهم في شنترين ولكن وجود البربر في المراكز القريبة من شنترين مثل يابرة Evora وباجة وأشبونة والمناطق الساحلية على المحيط ، فلا يستبعد أنهم استوطنوا أيضاً شنترين لاسيما وأننا سوف نجد لهم حضور فاعل في أحداث المرحلة اللاحقة من تاريخها .

فقد أشارت بعض المصادر إلى استقرار بعض قبائل بربر البرانس من مصمودة في نواحي متطرفة من الغرب مثل مدينة شنترين بالقرب من مصب نهر تاجة ، على بعد نحو سبعين كم شمال غرب لشبونة[3] ، كما سكنت مجموعات أخرى من البربر الذين ينتمون إلى البرانس أيضاً في هذه المنطقة ، وذلك لوجود مكان يقع

---

١) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ٧٨.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٧٨.

٣) ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس، ص ١٨١٧ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٢٦ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣٠؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٣.

في الشمال الشرقي من مدينة شنترين يعرف Perns نسبة إليهم[١] ، وفي ماردة سكن مسعود بن تاجيت وهو من بني طريف من مصمودة ومنهم عبد الجبار بن زاقلة الذي تغلب عليها مدة[٢] ، واستقر بنو فرفرن من زناتة وبنو وانسوس من قبيلة مكناسة في ماردة أيضاً[٣] ، وحصتهم فيها يدعى حصن مكناسة[٤] ، ويبدو أن انتشار بعض القبائل البربرية في هذه المنطقة يرجع إلى تماثل البيئة المغربية مع بيئة المنطقة الغربية من الأندلس.

أما انتشار القبائل العربية في شنترين فهي الأخرى ليس لدينا معلومات كافية عنها ، إلا أنه العرب انتشروا في شبه الجزيرة الأيبيرية انتشاراً واسعاً بحيث لم تخلو منهم ناحية من النواحي في الشرق والغرب والجنوب والشمال حتى نواحي قلمرية وشنترين وأشبونة[٥] ، وهناك بعض الإشارات إلى سكنى العرب فيها منها ما ذكره ابن الابار من أن أحد رجالات بني أمية أصله من شنترين ثم انتقل أجداده عنها[٦] ، كما سكن بعض البكريين[٧] فيها[٨] ، كما نزلها أفراد من

---

١) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٣.

٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨١.

٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٩، ٤٩٩.

٤) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٧٣.

٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٦٧.

٦) التكملة، ٨٥/٢.

٧) البكريون نسبة إلى بكر بن وائل، ينظر: ابن القيسراني، الأنساب المتفقة، ص١٨.

٨) ابن الابار، التكملة، ٢٥٢/٢.

خولان[1] ولكن بشكل عام فأن بعض المصادر أشارت إلى أن بعض القبائل العربية سكنت في غرب الأندلس والتي تقع ضمنها شنترين ، فابن حزم أشار إلى أن الزهريين وهم من بني زهرة من قريش سكنوا باجة وبطليوس[2] ، كما أن قسماً من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي سكنوا باجة[3] ، وأن بني حفص وهم من الأنصار من الأوس سكنوا غرب الأندلس ومنها باجة[4] ، وفي مدينة لبلة Niebla الواقعة إلى الجنوب من شنترين سكن عدد من البطون والقبائل العربية منهم بعض ولد عبد العزيز بن مروان[5] ، وبنو سلول من بني مرة بن عامر بن صعصعة[6] ، وبنو شعبان بن ثعلبة[7] ، وقبائل نمارة من أياد[8] ، وبنو حراز من بني حمير بن سبأ[9] ، وبنو خشين من قضاعة[10] ، وفي ماردة سكن عدد من ذرية الإمام الحسن بن علي(ع)[11] ، وذكر

---

١) ابن الابار، التكملة، ١٣٦/٤، وخولان نسبة إلى خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٨.

٢) ابن حزم، جمهرة، ص ١٣٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٧٠.

٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٧.

٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٣٣.

٥) جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٥.

٦) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٧٢.

٧) جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١١.

٨) جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢٧.

٩) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٤.

١٠) جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٥٥ .

١١) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٤.

المراكشي من أن رجلاً يدعى محمد بن الحسن بن عبد الوهاب الأزدي سكن لشبونة وهو من الرواة عن القاضي شريح(ت ٨٠هـ /٦٩٩م)[١] ، فهذا يعني أن بعض رجالات الأزد سكنوا لشبونة في وقت مبكر جداً وربما مع بدايات الفتح ، والمعروف أن لشبونة هي متصلة بشنترين[٢] ، كما أن انتشار بعض بطون وقبائل العرب في غرب الأندلس ولاسيما في لشبونة باجة وماردة ولبلة ، فأنه لا يستبعد أن قسماً منهم سكن شنترين لاسيما وأن فرص العمل فيها متيسرة كالزراعة والصيد والعمل في جمع المعادن.

وخلال عصر الإمارة(١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م) لم ترد تفاصيل عن أحداث مباشرة وقعت في مدينة شنترين إلا أن منطقة غرب الأندلس كانت تعج بالفتن والثورات فضلاً عن هجمات النصارى ، لذا عمل الأمير عبدالرحمن الداخل(١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) إلى الاهتمام بتقوية الثغور ولاسيما الثغر الأدنى ، والذي تقع ضمنه مدينة قلمرية ، بدأً من نهر دويرة حتى أعالي أوسمة Osma[٣] ، إذ اهتم بتحصين قلمرية وقورية Coria وطلبيرة Talavwra وطليطلة [٤].

وفي عهد الأمير الحكم بن هشام(١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) هاجم ملك جليقية الفونسو الثاني(١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤١م) أطراف منطقة

---

١) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٤١٩.
٢) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٩.
٣) مدينة تقع غرب الأندلس، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٤٩.
٤) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص١١٩؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٧٠؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٥٠.

الثغر الأدنى وذلك سنة١٩٣هـ/٨٠٨م لاسيما المنطقة الواقعة بين نهري دويرة Rio El Darro وتاجة لبعدها عن قرطبة Cordoba ولضعف وسائل الدفاع عنها[١] ، وواصل زحفه حتى مدينة قلمرية وأشبونة القريبة من شنترين ووقع في يده بعض الأسرى من المسلمين فأرسلهم راكبين على البغال إلى ملك الأفرنجة شارلمان[٢] (١٥١-١٩٩هـ/٧٦٨-٨١٤م) اعتزازاً بالنصر ومؤكداً للتعاون في حشد القوى ضد مسلمي الأندلس[٣].

وعلى إثر هذه الهجمات النصرانية ، فقد أُرسلت أصوات الاستغاثة إلى الأمير الحكم ، فأمر حالاً بالاستعداد للجهاد في سنة١٩٤هـ/٨٠٩م ، فخرج بقواته وتوغل غرباً فيما يلي وادي الحجارة Rio Guadalajara في منطقة جليقية وتمكن من هزيمة النصارى الأسبان في عدة مواقع ، وافتتح الكثير من حصونهم ، كما أنه ردّ للأندلسيين اعتبارهم بطرد الأسبان من أشبونة وغيرها من مدن الثغر الأدنى الأندلسي[٤].

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٢٣٧ -٢٣٨، ٢٠٠، ٣٥٧.

٢) يطلق عليه شارل الكبير أو شارل الأول وهو إمبراطور الغرب للمدة (١٨٤ - ١٩٩ هـ/٨٠٠ -٨١٤ م) وملك الأفرنجة للمدة (١٥١ -١٩٩ هـ/٧٦٨ -٨١٤ م) وهو اكبر أبناء ببين القصير وحفيد شارل مارتل، اقتسم مع أخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة أبيه، وعندما توفي كارلومان نودي بشارل الأول بمفرده ملكاً على الأفرنجة، ينظر : عاشور، أوربا، ١/٢٠٠ -٢١٣.

٣) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٦٨ ؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٦٤.

٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢٩ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٤٤ -١٤٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢/٣٦.

ويبدو أن هجوم الأسبان هذا على المنطقة كان متوافقاً مع حركة قام بها شخص يدعى حزم بن وهب في ناحية باجة ثم مد نفوذه إلى لشبونة وشنترين وأخرى قام بها اصبغ بن عبدالله المكناسي في ماردة[1] ، فاستغل الأسبان اضطراب الأمن في غرب الأندلس فهاجموها ، إلا أن قوة الدولة في أيام الحكم بن هشام فضلاً عن حزمه وكفايته حالت دون تمكنهم من الاحتفاظ بالمنطقة ، إضافة إلى أن الدويلات الاسبانية في الشمال لم تصل من القوة ما يمكنها الوقوف بوجه الدولة العربية الإسلامية في الأندلس آنذاك.

وفي سنة٢٢٩هـ/٨٤٣م هاجم النورمان Normans[2] الساحل الغربي من الأندلس ، فيذكر ابن القوطية أن اول مكان أخذوه هو بسيط لشبونة[3] ، وهو ما يعني أنهم تمكنوا من السيطرة على مناطق واسعة محيطة بالمدينة لان البسيط في اللغة هو الأرض الواسعة المنبسطة[4] ، ما يعني أنهم وصلوا إلى شنترين ، ويضيف ابن عذارى أنهم قدموا في

---

١) ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٤٤ -١٤٥.

٢) هم أهل الشمال من سكان الدنمارك، وتطلق عليهم مصادرنا العربية اسم (المجوس)، ولا يقصد بهم عبدة النار في إيران ولكن لان النورمان كانوا حيث حلوا أشعلوا النيران، وكانوا يحرقون بها جثث موتاهم، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ١٦٣/١ (ويشير أنهم من الروس)؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٧ -١٨٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٤؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٩/١؛ ابن عذارى، البيان، ٨٧/٢. المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/١؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ١٢٧.

٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥.

٤) الفيروز آبادي، القاموس، ٣٦٣/٢ (مادة بسط).

(نحو ثمانين مركباً كأنما ملأت البحر طيراً جوناً ، كما ملأت القلوب شجوا وشجونا فحلوا بأشبونة...)[1] ، ويشير النص هنا إلى حالة الخوف والهلع والصدمة التي حلت بأهالي المنطقة ، وهو ما يفسر لنا سرعة تقدمهم واستيلائهم على المدينة والمنطقة المحيطة بها ، إضافة إلى عدم استعداد الدولة لمواجهة مثل هذا الهجوم.

وقد أسرع عامل لشبونة آنذاك وهب بن حزم بإرسال كتاب إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) يخبره بالهجوم ويطلب منه العون[2] ، ويبدو أن عامل لشبونة وبمساعدة الأهالي تصدوا للغزاة ودارت بينهم معارك عدة[3] ، إلا أن ضعف إمكانياتهم وشدة المفاجئة جعلتهم يتراجعون حيث يقول ابن القوطية إن المسلمين ((لم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم))[4] ، وهذا ما جعلهم يطمعون في التوغل في أراضي الأندلس حيث توجهوا جنوبا فهاجموا قادس Cadiz ومدن الساحل الأخرى ، ثم توغلوا في نهر الوادي الكبير حتى وصلوا إلى اشبيلية وكانت كما يقول ابن سعيد (عورة فدخلوها واستباحوها سبعة أيام)[5] ، عندها أحست الدولة آنذاك بمدى الخطر الذي يهدد سواحلها الغربية ، فأسرع الأمير عبد الرحمن بن الحكم بإعلان النفير العام في كل مناطق الأندلس حيث تجمعت القوات في

---

١) ابن عذارى، البيان، ٨٧/٢.

٢) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ١٨٢.

٣) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٧ -١٧٩.

٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٥.

٥) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب٤٩/١؛ أيضاً: المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/١-٣٤٦.

قرمونة Cormona ثم ساروا إلى اشبيلية وتمكنوا من طرد النورمان منها وتعقبهم في جميع مدن الساحل إلى مدينة لشبونة وبسيطها التي كانت آخر ما تم إنقاذه منهم[1].

وفي سنة٢٤٥هـ/٨٥٩م هاجم النورمان بقوة مؤلفة من اثنتين وستين مركباً سواحل وادي تاجة والمنطقة الواقعة إلى الجنوب منه ، وقد تصدى لهم سعدون بن الفتح السرنباقي[2] الذي كان متمرداً على حكومة قرطبة بحصن فقبروالة ما بين شنترين ومدينة قلمرية ، ودخل في معارك عدة معهم ، إلا أنهم استطاعوا أسره ومن ثم أطلق سراحه مقابل مبلغاً من المال[3].

والراجح أن سعدون السرنباقي بعد أن أطلق سراحه رجع إلى حصنه بالقرب من شنترين وأخذ يهاجم المسلمين والنصارى على حد سواء ، مما حدا بالأمير محمد أن يرسل قواته إلى الغرب الأندلسي لملاحقة السرنباقي الذي بقي متمرداً هناك ، وكانت القوات بقيادة الوزير هاشم بن عبدالعزيز[4] التي أخذت تطارد السرنباقي ، ولما رأى

---

١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥. ٨٦؛ المقري، نفح الطيب١/٣٤٥. ٣٤٦.

٢) أحد الثوار في غرب الأندلس كان موصوفاً بالمكر والدهاء، تمرد على حكومة قرطبة لسنوات عدة وقد أسر من قبل النورمان بعد مهاجمتهم الساحل الغربي الأندلسي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وقد تم شراءه منهم من قبل بعض التجار اليهود ابتغاء الربح إلا أنه تمكن من الهرب من اليهودي فأخسره ماله، وقد تحصن في مكان يقع بين مدينتي قلمرية وشنترين، ومنه أخذ يهاجم المسلمين والنصارى على حد سواء إلى أن تمكن ملك جليقية الفونسو الثالث من قتله، ينظر: ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٧٥. ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨. ٩١٢ م) ص ٤٣.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٣٠٧ – ٣٠٩.

٤) كان وزير الأمير محمد بن عبدالرحمن، وهو أديبا وكاتبا بليغا، قتله الأمير=

الأخير ملاحقة قوات هاشم بن عبد العزيز له خطب في أصحابه وحثهم على القتال بكل شجاعة وإقدام وعدم الفرار ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((فلما ترآى سعدون وقف وجمع إليه أصحابه ، فقال لهم: إن الذي بيني وبينكم بعيد ، والذي قد أضلكم من هذا الجبار شديد ، وليس شأنكم هذا موضع فرار ينجيكم ولا لكم هاهنا رحماء يبقون عليكم ، ولا بقربكم أنصار يمدونكم ، فقد خبتم إن لم تستعدوا الصبر ، وتوطنوا على الموت أنفسكم ، وتدرعوا حفاظكم وجدكم ، فجدوا الآراء وقصدوا))[1].

ويبدو أن هذه الخطبة قد أثرت في نفوس أصحابه وحفزتهم على القتال لمواجهة قوات الإمارة الأندلسية بقيادة هاشم بن عبد العزيز ، ((فعبأهم للقتال أحسن تعبئة ، وركب ردوده من الخيل والرجالة والرماة الذين كان استعد بهم ، وقدم إلى هاشم خيلاً قليلة ليذوقوه ويتعرف ما عنده ، وكان معه فرسان من أصحابه لا يدرون ما الموت شده ، وكان هو من أهل البصر والحرب والحزم فيها والعزم عليها لا يساويه في ذلك أحد من أهل زمانه))[2].

بعد ذلك حدثت عدة مواجهات عسكرية بين الطرفين انتهت بأسر هاشم بن عبدالعزيز وقتل العديد من أتباعه ، كان ذلك سنة٢٦٢هـ /٨٧٥م[3] ، وهذا يعني أن شنترين والمناطق الواقعة بينها وبين قلمرية

=المنذربن محمد سنة ٢٧٣ هـ/٨٨٦ م لأشياء كانت بينهما في حياة أبيه ، ينظر : الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٤٩؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ١٣٧/١ -١٤٤.

١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٣٧٠.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٣٧٠ – ٣٧١.

٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٣٧٠ -٣٧٣.

غدت تحت سيطرته واستمر ذلك حتى قتل على يدي الفونسو الثالث (٢٥٢-٢٩٧ هـ/٨٦٦-٩٠٩م) ، وقد أشار إلى ذلك ابن حيان بقوله: ((... ، وداخل الجبل الذي ينسب إليه بين قلنبرية وشنترين فعاث في أهل الملتين المسلمين والنصارى ، وجرت له خطوب عظيمة إلى أن قتله أذفنش الطاغية ، صاحب جليقية))[١] ، ولم يذكر ابن حيان سنة مقتله ، والراجح أن ذلك كان قبيل سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م وذلك لأنه في هذه السنة سارت القوات الأندلسية واقتحمت جليقية من غرب الأندلس بقيادة البراء بن مالك[٢] ،وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((وفيها دخل البراء بن مالك بحشود العرب[٣] إلى جليقية على باب قلمرية ، فكانت هناك وقيعة ضرلسة))[٤] ، ما يعني أن المنطقة بما فيها شنترين كانت تحت سيطرة المسلمين.

ويبدو أن مدينة شنترين خلال مدة حكم الأمير عبدالله٢٧٥-٣٠٠هـ /٢٨٨-٩١٢م) قد خضعت فيما بعد لسيطرة عبدالرحمن بن مروان الجليقي[٥] ، إذ استولى الجليقي على قسم كبير من منطقة الثغر الأدنى

---

١) المقتبس (للحقبة ٢٧٥ -٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ٤٣.

٢) لعله ابن القائد مالك بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني الذي سبق وأن قاد قوات الإمارة واسترجع مدينة قلمرية من أيدي النصارى سنة ٢١٠ هـ/٨٢٥ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٢٨ -٢٩.

٣) ذكر محقق كتاب المقتبس أن كلمة العرب قد تكون محرفة عن كلمة الغرب وهو ما ذكره ابن عذاري، ينظر: المقتبس(للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٣٨٥ هامش رقم (٢)؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٣/٢.

٤) المقتبس(للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٣٨٥.

٥) كان أبوه مروان ينتمي إلى أحد أسر المولدين أصلها من جليقية قد تمرد في=

الأندلسي بما فيها شنترين[1] ، وصار رئيس المولدين[2] هناك[3].

وفي بداية عهد عبدالرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ومن ضمن إصراره على إخضاع الخارجين على السلطة أرسل جيوشه إلى الغرب الأندلسي للقضاء عليهم ، وبخصوص شنترين فقد تم له فتحها سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م ، وهو ما أكده ابن عذاري بقوله: ((وفيها ، خرج أحمد بن إلياس[4] القائد غازياً إلى كور الغرب ، فافتتح مدينة ماردة ، ومدينة شنترين بلا حرب ، ونزلوا إليه بالأمان ، ووفاهم غاية الإحسان))[5].

بعد ذلك أخذت حكومة قرطبة بتعيين الولاة عليها وبشكل انسيابي ، إذ أشار ابن حيان إلى أن الخليفة عبدالرحمن الناصر عين عليها في سنة٣١٧هـ/٩٢٩م خطيب بن أيوب العريف إلا أنه لم يذكر

=مدينة ماردة في عهد الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠١ هـ/٨١٦ م وبعدها رجع إلى طاعة الأمير عبد الرحمن الثاني، وقد خلف عبد الرحمن أبوه في حكم مدينة بطليوس وقام ببنائها بإذن من الأمير عبد الله بن محمد وأسس له إمارة مستقلة فيها ضمت مناطق واسعة من الغرب الأندلسي حتى انتزعها منهم عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م ، ينظر : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م)، ص ٣٦٠ -٣٧٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٠٣/١ -٣٠٧، ٣٣٨ -٣٣٩.

١) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ٢٥٩.

٢) وهم الأسبان سكان البلاد الذين دخلوا الإسلام وأقاموا في مواضعهم، ينظر : مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٩.

٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٨.

٤) وهو أحد قادة الأمير عبد الرحمن الناصر عينه على مدينة تاكرنا ثم قيادة جيش فتح الغرب الأندلسي، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١٩٤، ١٩٨.

٥) البيان المغرب، ١٩٨/٢.

بمن عزله في هذه السنة[1] ، والراجح أن ذلك بعد أن استرجعها من بني مروان الجليقي ، كما أن مناطق غرب الأندلس بقيت مصدر قلق لحكومة قرطبة ولم يكتمل افتتاحها إلا في سنة٣١٨هـ/٩٣٠م بعدها وجه همه إلى طليطلة ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك في أحداث هذه السنة بقوله:((وكان عند اكتمال الناصر لدين الله الافتتاح لمدائن غربي الأندلس باجة وأكشبونة وماردة وبطليوس وشنترين وذواتها ، ما أوفى بهمته وعزيمته على مزاولة مدينة طليطلة ، أم المعاقل ، وقاعدة المدائن التي عظم في الأوائل خطرها ، وأعجز ملوك الأمم مرامها ...))[2].

وتحدث ابن حيان في أحداث سنة٣٢١هـ/٩٣٣م عن عزل والي مدينة شنترين المسمى قاسم بن حسن ، ولم يشر إلى سنة تعيينه عليها والراجح أنه تولاها بعد عزل خطيب بن أيوب ، وكان عزله بمحمد بن عمرو ، إذ قال: ((وعزل قاسم بن حسن عن كورة شنترين ووليها محمد بن عمرو))[3] ، كما أن الأخير لم يستمر طويلاً إذ تم استبداله بمطرف بن جراح الذي عُزل أيضاً سنة٣٢٢هـ/٩٣٣م وعين بدلاً منه موسى بن محمد[4] ، ثم هو الآخر لم يستمر طويلاً فتم استبداله بعبد الوارث بن سعيد الذي عزل بسرعة في سنة٣٢٤هـ/٩٣٥م وعين مكانه مطرف بن براح[5] ، ولعل الأخير نفسه الوارد أعلاه مطرف بن

---

١) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٢٥٥.
٢) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٢٨٠.
٣) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ٣٣٢.
٤) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٣٥٦.
٥) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٣٩٢.

جراح وأن هناك تصحيف في الكلمة.

وعلى الرغم من عدم حصولنا على ترجمة هؤلاء الولاة ، إلا أن هذه التغييرات السريعة التي ذكرها ابن حيان تعكس أحد الأمرين ، أما قلق حكومة قرطبة من الأوضاع السياسية فيها ، أو للحيلولة دون تمكين الولاة عليها من اتخاذ نفوذ لهم هناك ، وفي كلا الأمرين تعكس الاهتمام الكبير الذي توليه حكومة قرطبة لمدينة شنترين.

إلا أن الأمور في المدينة لم تدم طويلاً ، ففي سنة٣٢٥هـ/٩٣٦م ، تمرد فيها عاملها أمية بن إسحاق[١] وخلع الطاعة لحكومة قرطبة المتمثلة بالخليفة الناصر ، وتحدث ابن الأثير عن سبب خلاف أمية بن إسحاق وخلعه الطاعة بقوله: ((وسبب ذلك أنّه كان له أخ اسمه أحمد ، وكان وزيراً لعبد الرحمن ، فقتله عبد الرحمن ، وكان أميّة بشنترين ، فلمّا بلغه ذلك عصى فيها ، والتجأ إلى ردمير[٢] ملك الجلالقة ، ودلّه

---

١) هو أمية بن إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مروان الأموي، سكن إشبيلية أيام الفتنة الأولى عند بني الحجاج، ولما وليها أحمد بن سلمة بن الحجاج اتهمه وقبض عليه وعلى ولده وصهره يحيى بن حكم بن هشام بن خالد بن أبان بن خالد بن عبد الله بن عبد الملك بن الحارث بن مروان فقتل الولد والصهر، وكان عنده سفير لابن حفصون فشفع في الشيخ إسحاق وولده أحمد، ولما ملك عبد الرحمن الناصر إشبيلية من يد ابن مسلمة، رحل إسحاق إلى قرطبة واستوزره الناصر واستوزر بنيه أحمد ومحمد وعبد الله وقربهم وعلت مكانتهم في الدولة، وتوفي أبوهم إسحاق فورثوا مكانه في كل رفيعة، وكان عبد الله مقدمهم عند الخليفة الناصر واستوزره ثم اتهمه الناصر بالخلاف وكثرة فيهم السعايات، وصاروا في مجال الظنون فسطا بهم الناصر ففرقهم في النواحي فانزوى أمية في شنترين سنة٣٢٥ هـ/٩٣٦ م وخلع الطاعة، ينظر: ابن خلدون، العبر، ١٧٨/٤.

٢) وهو ملك ليون راميرو الثاني الذي حكم للمدة(٣٢٠- ٣٣٩ هـ/٩٣٢-٩٥٠م)، ينظر: العلياوي، البشكنس، ص ١٥٣.

على عورات المسلمين ، ثم خرج أميّة في بعض الأيّام يتصيّد ، فمنعه أصحابه من دخول البلد ، فسار إلى ردمير فاستوزره))[1].

وعلى إثر ذلك قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بتجهيز حملة عسكرية ضده بقيادة نجدة بن حسين الصقلبي ، وتمكنت هذه الحملة من تحقيق بعض الانتصارات ، وقد تحدث ابن حيان عن ذلك بقوله: ((واستقبل الناصر لدين الله في مخرجه هذا خلاف أمية بن إسحاق القرشي المرواني ، عامله على مدينة شنترين ، قاصية الغرب عليه فيها ، فبادر بإخراج القائد نجدة بن حسين مولاه في قطعة من الجيش ، مبادراً فتقه ، وأمر بالإغذاذ[2] في سيره والطي لمراجله ، ومضى الناصر لدين الله لسبيله في مقصده ، ولم يثنه عنه ثناؤه ، تستقبله الفتوح في أوقاته ، وتتوالى البشائر في محلاته ، كأن فتق الخبيث أمية كان بلاء لصبره أو لقعه لعين الزمان في استعمال سعده ، عفى عليها ما توالى من تبشيره أو نصره))[3].

ويبدو أن الحملة أعلاه لم تأت بثمارها كما يبدو من نص ابن حيان الغامض أعلاه وأن الحملة لم تستطع إعادة مدينة شنترين ، وهو ما اضطر الناصر إلى إرسال حملتين أحداهما برية سنة٣٢٦هـ/٩٢٧م إلى مملكة ليون Leon بعد أن التجأ إليها المتمرد أمية بن إسحاق المرواني والأخرى بحرية في السنة نفسها إلى مدينة شنترين ، وكانت

---

١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢١٤ -٢١٥، إلا أنه ذكر ذلك في أحداث سنة ٣٢٧ هـ/٩٣٨ م

٢) من غذذ، وغذّ الجرح أي سال وورم، ينظر : الزبيدي، تاج العروس، ٤٤٧/٩.

٣) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٣٩٤.

هذه الحملة البرية بقيادة محمد بن إلياس الذي تمكن من هزيمة ملك ليون راميروا الثاني Ramiro II وحليفه أمية ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((وفيها أغزى الناصر لدين الله أحمد بن محمد بن إلياس إلى جلالقة الغرب ، أدمرهم الله ، وكان مقيماً بمدينة بطليوس لمغاورة الخبيث أمية بن إسحاق القرشي ، المنتوي يومئذ بمدينة شنترين قاصية غرب الأندلس ، فنفذ إليه الكتاب بالغزو ، فدخل إلى الكفرة من بطليوس بأصحابه ورجاله ذلك الثغر ، فلقيه جمع العدو بداخل جليقية يوم الأربعاء لسبع بقين من جماد الأولى فهزمهم وأدرع القتل فيهم ، وأنزل الله دائرة السوء عليهم ، وبعث بما حزّ من رؤوسهم من أهل سمورة خاصة ، بمائتي رأس ، كانوا معصومين بعون الله يتميز الدليل النازع إليهم ، وكان من أعظم الآفات على المسلمين ، فأتاح الله له فيه وفيهم فتحاً عظيماً))[1].

أما الحملة البحرية فكانت((يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من رجب منها تحركت السفن التي أنشئت بشاطئ نهر قرطبة أسفل منها ، سائرة إلى بحر الغرب لغزو أهل شنترين ، القائمين مع العدو أمية بن إسحاق القرشي المنتزي لديهم))[2].

ويبدو أن القوات الأندلسية لم تستطع دخول مدينة شنترين وأن الحملتين أعلاه لم يكن لهما تأثير كبير على الخارجين في المدينة ، ولكن تصرف أمية بن إسحاق بالانحياز بشكل كبير إلى ملك ليون

---

١) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٤٢٥.

٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٤٢٥ – ٤٢٦.

دفع أهالي المدينة إلى النفرة منه ، ويبدو أن القوات الأندلسية كانت تراقب الأحوال في المدينة عن كثب ، ولما أحسوا بتفرق الأهالي عن أمية قرروا اجتياحها وذلك سنة٣٢٧ هـ/٩٣٨م ، وقد أكد ذلك ابن حيان بقوله: ((سنة سبع وعشرين وثلاثمائة افتتحت مدينة شنترين قاصية غرب الأندلس ، المنتكثة بالخائن أمية بن إسحاق القرشي المنتزي فيها على الناصر لدين الله ، لما صار أمية مغوي أهلها عند الطاغية رذمير بن أردون ، مستجيشاً به على الإسلام ، فحالفوه ، وصاروا إلى الطاغية ، فدخلها الوزير الموكل بحربها أحمد بن يحيى بن إلياس ، وإبراهيم الخصي الفتى الكبير ، الممد له بالجيش السلطاني يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الأول ، وأمنا أهلها ، فعادوا في الجماعة ، وكشف به الله عنهم وبال الفرقة ، ...))[1].

وبعد هذه الأحداث ندم أمية بن إسحاق على فعلته وعونه النصارى على المسلمين فعاد إلى الطاعة ، فعفا عنه الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله وأحسن إليه ، وقد أكد ذلك المسعودي بقوله: ((ثم إن أمية بعد ذلك استأمن إلى عبدالرحمن ، وتخلص من رذمير ، فقبله عبد الرحمن أحسن قبول))[2] ، كما ذكر ذلك ابن الأثير بقوله: ((... ثم إن أمية استأمن إلى عبدالرحمن ، فأكرمه))[3].

وذهب عنان إلى أن الخليفة عبدالرحمن الناصر أسبغ عليه لقب

---

١) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠هـ/٩١٢ -٩٤١م)، ص ٤٣١.

٢) مروج الذهب، ٢/٢٧٧.

٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢١٦.

الوزارة ، وجعله قائداً للثغر ، وعاد إلى سرقسطة Saragosa ، وكان يزور قرطبة من آن لآخر ، واستمر والياً لسرقسطة حتى وفاته سنة٣٣٨هـ/٩٤٩م[١].

بعد ذلك عقد الخليفة الناصر معاهدة سلم مع النصارى الأسبان المتمثلين بمملكة ليون في سنة٣٢٩هـ/٩٤٠ م لإبعاد خطرهم عن المناطق الأندلسية لاسيما مدينة شنترين لأنهم كانوا يشكلون مصدر قلق لحكومة قرطبة بعد دعمهم المتمردين في شنترين ومساندتهم ، ومن أجل إنهاء ذلك وإيقاف هجماتهم تم عقد ذلك الصلح ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((وفي شهر ذي القعدة منها كمل صلح الطاغية رذمير بن أردون لعنه الله ، وعقده الناصر لدين الله مع الوفد الذين أشخصهم رذمير إلى الحضرة في هذا الوقت على الشروط التي أحبها الناصر لدين الله في العقد به على نفسه في مجلس حفلته ، حسبما صنعه الطاغية رذمير في ذلك بحضرته ، وتولى إبرام ذلك وإقامة حدوده حسداي بن إسحاق الإسرائيلي[٢] المقيم بحضرة رذمير ، فتم على أصلح الوجوه ، وارتهن به الحرب بين أهل الملتين ما بين مدينة شنترين إلى مدينة وشقة ، وأدخل رذمير فيه مع نفسه غرسيه بن شانجة[٣] صاحب بنبلونة وفرذلند بن غند شلب صاحب

---

١) دولة الإسلام في الأندلس، ٤٢١/٢ -٤٢٢.

٢) وهو كاتب أمير برشلونة الافرنجي، ينظر: عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٢٢/١.

٣) هو غرسيه شانجة الأول ملك نافار الذي حكم للمدة(٣١٤-٣٥٩هـ/٩٢٦-٩٦٩م)، ينظر: العلياوي، البشكنس، ص ٧٦ -٧٧، ١٥٢.

قشـــتيلة[1] ، وبـــني غـــومس[2] ، وغيرهـــم مـــن عظمـــاء القـــوامس بجليقية ،...))[3].

وقد قام الخليفة الناصر في السنة نفسها أي سنة٣٢٩هـ/٩٤٠م بإجراء تغييرات إدارية ، إذ عزل أبان بن عثمان عن كورة باجة وعين بدلاً عنه عمر بن عبد الله بن جودي ، وضم إليه أيضاً مدينة شنترين[4] ، إلا أن الأخير لم يستمر طويلاً بحكم مدينة شنترين ، إذ سرعان ما تم عزله سنة٣٣٠هـ/٩٤١م وعين على المدينة بدلاً عنه مطرف بن براخ[5] والراجح أنه نفسه الذي عين عليها سنة٣٢١هـ/٩٣٣م وأن هناك تصحيف في اسمه وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ /٩٦١-٩٧٦م) تعرضت مدينة شنترين وبقية مناطق الغرب الأندلسي لهجمات النورمان وذلك سنة٣٦١هـ/٩٧١م ، الأمر الذي دعا بالقوات الأندلسية التوجه لهم ومواجهتهم ، وفعلاً تمكنت هذه القوات من ملاحقتهم وأرغمتهم على الفرار ، وقد أكد ذلك ابن حيان بقوله: ((وفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة منها احتل مدينة الزهراء صاحب الخيل زياد بن أفلح ، وصاحب الشرطة العليا هشام بن محمد

---

١) وهو أمير قشتالة التي أصبحت في عهده إمارة مستقلة عن مملكة ليون، وبقي فرناند في حكم قشتالة حتى وفاته سنة ٣٥٩ هـ/٩٦٩ م، ينظر : الحسيناوي، قشتالة، ص ٥٠ -٦٠.

٢) وهم أبناء غومس دياث أحد زعماء مملكة ليون، ينظر : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥١٠/١ هامش (١).

٣) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٤٦٧.

٤) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٤٧٢.

٥) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، ص ٤٩٠.

قائد الصائفة ، قافلين من غزاتهما إلى ساحل الغرب لتتبع أخبار المجوس الأردمانيين – أهلكهم الله – المتوقعين بالناحية ، فتوصلا إلى أمير المؤمنين وأنبآه بما قضيا في وجههما ، وحيث بلغا من قصدهما ، وأنهما انتهيا إلى مدينة شنترين قاصية ذلك الصقع ، وتظاهرت لديهما الأنباء الصحيحة بأن الأردمانيين – لعنهم الله – نكصوا عن الأقدام على المسلمين عند تسمعهم بخبر الدلوف إليهم والاستعداد لهم براً وبحراً ، وانقلبوا على وجوههم وجدوا في نكوصهم ، وأن الجواسيس الذين أرسلوا لامتحان أخبارهم عادوا إليها بعد بلوغهم شنت ياقب[1] من قاصية بلد العدو ، ...))[2].

وخلال هذه المدة–أي حكم الحكم المستنصر– كان يحكم مدينة شنترين محمد بن عبدالله ، وربما استمر عليها إلى عهد الخليفة هشام المؤيد[3] ، وقد أوضح ذلك ابن الابار عند ترجمته له بقوله: ((هو محمد بن عبدالله بن عبدالواحد ، ويشتهر بفرحون ، كان والياً على

---

١) سميت المدينة بهذا الاسم نسبة إلى القديس شنت ياقب وهو أحد حواري السيد المسيح عليه السلام، وأصبحت لها مكانة مقدسة بعد وفاته، وادعت الرواية النصرانية أن قبره هناك في شمال اسبانيا وهو يزار من قبل الحجاج المسيحيين، ينظر: العتبي والعامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ص ٢٢٣.

٢) المقتبس، (للحقبة ٣٦٠ -٣٦٤هـ/ ٩٧٠ -٩٧٤م)، ص ٦٨ -٦٩.

٣) تولى حكم الأندلس بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ هـ/٩٧٦ م، ولم يبلغ الحلم، إذ كان عمره يومئذ عشر سنوات وقيل إحدى عشرة سنة، وهو ما فتح الباب على مصراعيه للتدخل في شؤون الحكم، واستمر يحكم الأندلس حتى سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٨ م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٤٤ -٤٥.

شـنترين في أيـام الإمـام الحكـم المستنصـر بـالله أو ابنـه هشـام المؤيـد بالله...))[1].

ومما يميز مدة حكم الخليفة المستنصر بالله هي كثرة المراسيم والاحتفالات العامة في الأندلس ، فبعد انتصار غالب بن عبد الرحمن الناصري[2] على بلاد المغرب ورجوعه إلى الأندلس بعدد كبير من الأسرى ومن ضمنهم زعيم الادارسة الحسن بن كنون[3]

---

١) الحلة السيراء، ١/ ٢٨٠.

٢) وهو غالب بن عبد الرحمن الناصري مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان أمير البحر في عهد الأخير، ثم أصبح من كبار رجالات الدولة في عهد الحكم المستنصر، أنيط به حكم منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، ثم ارتبط بعلاقة جيدة مع الحاجب محمد بن أبي عامر بعد وفاة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ هـ /٩٧٦ م ولكن ما لبث أن دبّ الخلاف بينهما انتهى بمقتله سنة٣٧١هـ /٩٨١م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب٢/٢٧٨ـ٢٧٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٦١ -٦٧.

٣) هو الحسن بن القاسم بن كنون الإدريسي آخر حكام دولة الادارسة في المغرب رفض بيعة الخليفة الحكم المستنصر، والاعتراف بالوضع الجديد، لذا قرر الحكم المستنصر إرسال قواته إلى المغرب معقل الادارسة سنة ٣٦١ هـ/٩٧١ م، وتمكنت تلك القوات من تشتيت جيش الحسن بن كنون، ولكنه ما لبث أن جمع قواته في السنة التالية وقام بهجوم عنيف مزق به قوات الأندلس وأدبرها على الانسحاب، وعلى إثر ذلك كلف الخليفة الحكم القائد غالب بن عبد الرحمن بقيادة الجيوش وأمره بالتوجه إلى المغرب، وقد حقق غالب رغبة الحكم وتمكنت جيوشه من سحق قوات الحسن بن كنون في مواقع عدة ثم حاصره في قلعة النسر سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م وأجبره على الاستسلام دون شرط واقتاده إلى قرطبة سنة ٣٦٤ هـ/٩٧٤ م، ينظر : ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٣٦٠ -٣٦٤ هـ/ ٩٧٠ -٩٧٤ م)، ص ١٠٢ ما بعدها ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ٩٨ وما بعدها ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٤٤ -٢٤٨.

أقيم له استقبال رسمي كبير سنة٣٦٤هـ/٩٧٤م للتهنئة له بقدومه وتكريمه بما حققه من انجاز عسكري ، وقد حضر هذا التكريم معظم وفود المدن الأندلسية المختلفة ومنها أهل شنترين وغيرها ، وهذا ما أكده ابن حيان بقوله: ((ففي يوم الأربعاء لثلاث خلون من المحرم احتل الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن في المحلة على وادي سوس ، قافلاً من بلاد العدوة ومعه بنو إدريس الحسنيون القرشيون ... حافين بشيخهم وكبيرهم المشتهر معرفته بـ(حنون) وعمّ الإنذار طبقات الأجناد والأولياء بالاستعداد للركوب لتلقي الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن والإقبال بين يديه وتجويز الجند بالإنذار إلى بياض الرعية من أهل كور الأندلس للإقبال إلى قرطبة لحضوره ، فاستبقوا إلى ذلك ، .... ، ثم أهل شنترين وشنترة والاشبونة ، ثم أهل مدينة الفرج[1] ، ثم طرطوشة القاصية ، فانقضى القعودان الرفيعان وقد تولى النهار ، ونفذ العهد إلى أهل البلاد المستقدمين بالانطلاق إلى بلدانهم ، ومكث تحدث الناس بينهم بفخامة هذا المشهد وجلالة يومه بقرطبة مدة))[2].

ويبدو أن مدينة شنترين وبعض مناطق الأندلس الأخرى تعرضت لهجمات النصارى في السنة نفسها(أي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م) ، الأمر الذي دعا الخليفة الحكم المستنصر إلى إرسال خيرة قادته لتلك

---

١) مدينة أندلسية وتعرف بمدينة وادي الحجارة أيضاً، وتبعد عن طليطلة خمسة وستون ميلاً، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦.

٢) المقتبس، (للحقبة ٣٦٠ -٣٦٤ هـ/٩٧٠ -٩٧٤ م)، ص ١٥٢ -١٥٨.

المناطق ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك على الرغم من أنه لم يذكر تفاصيل هذه الحملات ونتائجها بقوله: ((وللنصف من شهر رجب منها أخرج الحكم عدة من أصحاب الشرطة وكبار رجال المملكة إلى كور الأندلس محركين لأهلها في ارتباط الخيل المبتعثة للنهوض مع جيش الصائفة الآزف تجريدها في هذه السنة على العادة ، عند انتكاث أكثر طواغيت الجلالقة في هذا الوقت ، وجيشانهم على أهل الثغور الشرقية ، وانزعاج الخليفة لديهم عنها ، فكان ممن جرده لذلك صاحب الشرطة العليا[1] يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن إدريس ، أشخصه إلى الجوف ، وصاحب الشرطة العليا قائد البحر عبدالرحمن بن محمد ابن رمحاس ، أشخصه إلى كور الشرق تدمير وبلنسية وطرطوشة القاصية ، وصاحب الشرطة العليا أحمد بن محمد بن سعد الجعفري إلى شنترين وذواتها ، وصاحب الشرطة الوسطى إلى بقية كور الجوف والغرب كذلك ، في نفر سواهم))[2].

ويبدو أن النصارى تمكنوا من السيطرة على مدينة شنترين ، وأن الحملة الأندلسية الآنفة الذكر لم تستطع أن تحقق أهدافها في

---

١) يسمى صاحب الشرطة في الأندلس بصاحب المدينة، وقسمت الشرطة هناك إلى شرطة كبرى عليا، وشرطة وسطى، وشرطة صغرى، فأما الشرطة العليا فقد اقتصرت على الخاصة من أصحاب المراتب السلطانية والقابهم، وعلى أصحاب الوجاهة يتم محاسبتهم ومعاقبة منهم، وأما الشرطة الوسطى فقد اختصت بالأعيان والتجار وصغار الموظفين، أما الشرطة الصغرى فقد اقتصرت على العامة فقط، ينظر : ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ٢٨٩/١ -٢٩٠؛ الهاشمي، نظم وإدارة بني أمية في الأندلس، ص ٤٠٥.

٢) المقتبس، (للحقبة ٣٦٠ -٣٦٤ هـ/ ٩٧٠ -٩٧٤ م)، ص ١٦٩ -١٧٠.

استرجاع المدينة ، إلا بعد أن تولى الخليفة هشام المؤيد حكم الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) إذ برز المنصور بن أبي عامر وهو واحد من كبار الشخصيات المهمة في الدولة والذي كان له دور في تثبيت السيادة الإسلامية في معظم شبه الجزيرة الأيبيرية.

وقد تميزت السياسة التي اعتمدها المنصور بن أبي عامر تجاه النصارى بطابع جهدي متميز ، وقد أحصيت الحملات التي قادها ضد النصارى أكثر من خمسين حملة[١] ، ومنها أنه استطاع استرجاع مدينة شنترين ، وهو ما أكده الزهري عند حديثه عن جبال الأندلس وممراتها بقوله: ((... ، وعليه دخل المنصور بن أبي عامر حين أخذ مدينة شنترين وحصن شنت بط ، ...))[٢].

وبعد سقوط الدولة العامرية وفي عهد الفتنة[٣] التي امتدت من سنة٣٩٩هـ/١٠٠٨م إلى سنة٤٢٢هـ/١٠٣٠م لم يكن من الواضح حال مدينة شنترين ، فعندما تولى محمد المهدي(٣٩٩-٤٠٠ هـ/١٠٠٨-١٠٠٩م) الخلافة كانت الثغور من طرطوشة Tortosa إلى الاشبونة متمسكين بطاعته[٤] بما فيها شنترين ، إلا أن اضطراب أمور قرطبة بعد ذلك

---

١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤.

٢) كتاب الجغرافية، ص ١٠٤.

٣) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ /١٠٠٨م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ /١٠٣٠ م، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٥٥/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٣/٢.

٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٨.

واحتدام الصراع على السلطة فيها جعل أحوال الثغور هشة وعرضة للطامعين سواء من النصارى أم المسلمين ، وبخصوص شنترين فهناك رواية تشير إلى أن أهالي طليطلة هم من سيطروا عليها وكانوا بزعامة قاضيها محمد بن يعيش بن منذر الاسدي[1] وعمل الأخير على ضم مدينة شنترين إلى نفوذه ، وكان يساعد ابن يعيش في حكم المنطقة أحمد بن كوثر بن سعيد الأنصاري[2] ، وتشير الرواية إلى أن خلافاً حدث بين ابن يعيش وابن كوثر ما حدا بابن يعيش أن ينفي الأخير إلى شنترين حيث كانت من مناطق نفوذه وهناك دبر من قتله وذلك سنة٤٠٣هـ/١٠١٢م[3] ، والراجح أن مدينة شنترين بقيت تابعة إلى ولاة طليطلة حتى دخول إسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون إليها سنة٤٢٧هـ/١٠٣٥م ثم ابنه يحيى بن إسماعيل الملقب بالمأمون سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م ، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول بقوله إن المأمون ابن ذي النون(٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م) ملك إضافة إلى طليطلة: ((شنترين ومدينة سالم وقورية ووادي الحجارة وشنتجيلة))[4].

---

١) هو أبو بكر محمد بن يعيش الاسدي من أهل طليطلة كان عالماً فقيهاً تولى الأحكام ببلده وصارت إليه الرئاسة في عهد الفتنة، ثم خُلع ونفي إلى قلعة أيوب وتوفي سنة ٤١٨ هـ/١٠٢٧ م، ينظر : ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٥١.

٢) أبو عمر أحمد بن سعيد بن كوثر من أهل طليطلة صارت إليه رئاستها بالاشتراك مع محمد يعيش ثم اختلف الاثنان فنفى الأخير ابن كوثر إلى شنترين ودس إليه السم وقتله، ينظر : القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٤١/٨.

٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٤١/٨؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ٤١.

٤) تاريخ الأندلس، ص ٢٥٩.

ولم تسعفنا النصوص المتوفرة كيف انتهى نفوذ بني ذي النون في شنترين ، والراجح أن بني ذي النون تخلوا عن شنترين النائية في أقصى الغرب عندما انشغلوا في حروبهم مع بني هود[1] لصالح عبد الله بن الأفطس(٤١٣-٤٣٧ هـ/١٠٢٢-١٠٤٥م) الذي تمكن بما يمتلك من دهاء وسياسة من بسط نفوذه على معظم مناطق الغرب الأندلسي[2].

إلا أن ابن عذاري تحدث عن كيفية مآل غرب الأندلس إلى ابن الأفطس بقوله: ((... ، وكان بهذا الصقع بطليوس وشنترين والأشبونة وجميع الثغر الجوفي في أمد الجماعة رجل من عبيد الحكم المستنصر بالله يسمى سابور[3] فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الأمة انتوى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غيره من الثوار ، وكان سابور غفلاً عطلاً من سائر أنواع المعارف وكان هذا الرجل عبدالله بن محمد بن سلمة يدبر له أمره ويخدم له دولته خدمة سياسية إلى أن هلك سابور وترك ولدين لم يبلغا الحلم فاشتمل هذا الوزير ابن سلمة على الأمر كله واستأثر به على ولديه وحصل على ملك بلاد غرب الأندلس واستقام له بعد اعتساف وظلم إلى أن مضى

---

١) ينظر عن الصراع بين بني هود وبني ذي النون : ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٧٧ -٢٧٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٧٧.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٣٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٨١.

٣) وهو أحد صبيان فائق الخادم مولى الخليفة الحكم المستنصر والذي كان واليا على غرب الأندلس قبل بني الأفطس ويساعده عبد الله بن الأفطس في حكم المنطقة وبعد وفاة سابور استبد ابن الأفطس في حكم المنطقة دون أولاد سابور، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب٣/٢٣٦ ؛عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/٨٠-٨١.

لسبيله ، وكان مهلكه لإحدى عشرة ليلة بقيت لجماد الأولى من سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وأعقبه ابنه محمد))[1].

إلا أن الأوضاع في غرب الأندلس لم تستقر بعد سيطرة ابن الأفطس عليها لاسيما شنترين ولشبونة ، إذ لجأ إليهما أولاد سابور الفارسي وهما عبدالملك وعبد العزيز وأعلنا الثورة على بني الأفطس بسبب استيلائه على تراث والدهما ، وتمكنا من الاستيلاء عليهما ، واستمر عبدالعزيز بن سابور حاكماً هناك أعوام عدة ، وبعد وفاته تولى أخوه عبدالملك مكانه ، إلا أن الأخير كان سيء الحكم والإدارة فسادت الفوضى ، فكاتب أهل شنترين ولشبونة سراً عبد الله بن الأفطس بأن يرسل إليهم والياً من قبله ، فسير إليهم جيشاً بقيادة ابنه محمد الذي تمكن من إخضاع مناطق الغرب الأندلسي بمساعدة الأهالي هناك ، حيث قبض على عبدالملك بن سابور وأرسل إلى بطليوس[2] ، وبذلك عادت مناطق الغرب بما فيها شنترين ولشبونة إلى حكم بني الأفطس.

وفي عهد محمد بن الأفطس(٤٣٧-٤٦١هـ/١٠٤٥-١٠٦٨م) تعرضت الجهات الشمالية لإمارة بني الأفطس بما فيها مدينة شنترين إلى هجمات ملك قشتالةCastilla فرناندو الأول(٤٢٦-٤٥٨هـ/١٠٣٤-١٠٦٥م) ، إذ بعث حملة عسكرية كبيرة إلى تلك المنطقة تقدر بعشرة آلاف فارس ، وذلك على إثر رفض ابن الأفطس أداء الجزية له ، فسارت قوة

---

١) البيان المغرب، ٢٣٦/٣.

٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٣/٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٨٢/٢.

من فرسان النصارى باتجاه مدينة شنترين الواقعة على نهر التاجة والتي تعد من أهم قواعد بطليوس ، وعندما علم ابن الأفطس بتحرك النصارى ، هرعت قواته إلى شنترين قبل أن يصلوا إليها ، ولما أشرف النصارى عليها بعث قائدهم (القومس) إلى لقاء ابن الأفطس للمفاوضة ، وقد اجتمع الاثنان في نهر التاجة ، وانتهت المفاوضات بين الطرفين على عقد الهدنة ، تمخضت أن يدفع ابن الأفطس جزية سنوية مقدارها خمسة آلاف دينار مقابل كف النصارى عن مدينة شنترين[1].

وقد تحدث ابن عذارى عن ذلك بقوله: ((ولم يزل أمر العدو يقوى ويظهر على ملوك ثغور الأندلس إلى أن خرج الطاغية فرذلند بن شانجة ملك الجلالقة بأرض الأندلس بجيوشه النصرانية إلى ثغر المسلمين بأرض الجوف[2] قاصداً وضع محمد بن سلمة بن الأفطس لما منعه

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس٢/٨٥؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٢٦.

٢) وهناك عدة أماكن في الأندلس تدعى الجوف أو بلاد الجوف، وقد أشار مؤلف مجهول إلى عدد منها : بلاد الجوف في شمال شرق الأندلس حيث تقع قرية بليج مما يلي لاردة، تاريخ الأندلس، ص ٦٥ -٦٦؛ وبلاد الجوف شرق قرطبة حيث تقع مدينة شنتبريّة، تاريخ الأندلس، ص ١٠٧؛ وهناك بلاد الجوف غرب الأندلس حيث توفي عبد الرحمن الداخل بمدينة ماردة من بلاد الجوف، تاريخ الأندلس، ص ١٦٩؛ وأيضا بلاد الجوف في شمال الأندلس ففي سنة ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م غزا الخليفة الحكم المستنصر بلاد الجوف وقتل وسبى، تاريخ الأندلس، ص ٢١٣؛ والجوف لغة الجوف باطن البطن، وهو ما انطبقت عليه الكتفان والعضدان والأضلاع والصقلان، وجوف كل شيء داخله، والجوف من الأرض مااتسع واطمأن فصار كالجوف، والجوف من الأرض أوسع من الشعب تسيل فيه التلاع والأودية وله جرفة وربما كان أوسع من الوادي وأقعر وربما كان سهلا لا يمسك الماء وربما كان قاعا مستديرا فامسك الماء، ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم٧/٥٦٣ -٥٦٤ (مادة جوف).

الأتاوة من بين جميع أمراء الثغور ، فعاث في بلاد المسلمين وفتح حصوناً كثيرة وكانت خيله تزيد على عشرة آلاف فارس معهم من الرجال أكثر من مثلهم ، واتصل خلال ذلك بالأمير ابن الأفطس أن عدو الله جرد من خيله سرية ثقيلة أمرهم بقصد مدينة شنترين أفضل ذلك الثغر فقضى الله أن لحق بشنترين أميرهم المظفر بن الأفطس قبل أن يأتيهم عدو الله وقد كان خامرهم الجزع فقالوا لأميرهم لقد همنا أن نستسلم للعدو لو لم تأتنا لضعفنا عن دفاعه ، وقصد هذا القومس لعنه الله إلى شنترين للوجهة التي وجه لها أميره فرذلند أمير الجلالقة فأرسل ابن الأفطس إليه ليجتمع معه فيكلمه في أمره فالتقيا في الماء بنهر شنترين ، ابن الأفطس في زورق والعلج راكب فرسه في الماء إلى صدر فرسه وتكلما طويلاً فيما عرضه من السلم والإتاوة فامتنع المظفر من ذلك إلى أن وافقه بعد جهد مشقة على خمسة آلاف دينار يؤدها إليه في كل عام من ول هذه الهدنة))[1].

وعلى إثر ذلك عمّ استياء كبير معظم أهالي الأندلس بسبب تخاذل أمراء الطوائفTaifas ، Los ودفعهم الجزية لملك قشتالة ، فاتجهت الأنظار إلى المرابطينAlmoravides ، Los[2] ، وهم القوة الكبيرة في

---

١) البيان المغرب٣/٢٣٨.

٢) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وقد قامت الدعوة المرابطية سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلته لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١-٣١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/١١٧؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢ -١٢٧.

بلاد المغرب ، حيث وجهت الدعوة إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[1] (٤٥٣-٥٠٠هـ/١٠٦١-١١٠٦م) لإنقاذ الأندلس ومساعدتهم ضد النصارى الأسبان ، وبعد مراسلات جرت بين الطرفين اشترك فيها بنو الأفطس حكام الغرب الأندلسي[2] عبر يوسف بن تاشفين بقواته إلى الأندلس ، وانضمت إليه القوات الأندلسية ، حيث ألحقوا هزيمة كبيرة بالملك القشتالي الفونسو السادس(٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٨م) في معركة الزلاقة Sagrajas غرب الأندلس سنة٤٧٩ هـ/١٠٨٦م[3] ، إلا أن ذلك الانتصار لم يُستثمر بشكل جيد ، إذ عادت الخلافات بين أمراء الطوائف بعد رجوع الجيش المرابطي إلى بلاد المغرب ، كما أعاد أمراء الطوائف اتصالاتهم السرية مع الملك القشتالي مستعينين به في خلافاتهم الجانبية[4] ، عندها قرر الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين خلع أمراء الطوائف وجعل الأندلس ولاية مرابطية والاعتماد على

---

١) هو أمير المرابطين ومؤسس دولتهم التي وطد أركانها، وكان له دور كبير في فتح بعض مناطق المغرب ومن ثم الأندلس إذ عبر إليها بجيش كبير بعد استنجاد الأندلسيين به وتمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بقوات مملكة قشتالة بقيادة الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٦ م، بعدها قام بتوحيد بلاد الأندلس تحت حكمه وتوفي سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٧ م، ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦٨/٣ -٤٧٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس الطرب، ص ١٣٦ -١٥٦.

٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٣٣٦ -٣٥٢.

٣) لمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٠٢ -٣١٠؛ المراكشي، المعجب، ص ٩٤ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٠/٤ وما بعدها؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص ٢٩٧ وما بعدها؛ العلياوي، الحملات الصليبية، ٧٦ -٩٠.

٤) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٠.

نفسه في مواجهة الممالك النصرانية ، وهذا ما حدث بالفعل سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، إذ تمكن من الاستيلاء على مدينة إشبيلية وإسقاط دولة بني عباد[١].

وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك بقوله: ((ولما كان في سنة أربع وثمانين وأربعمائة تحرك يوسف بن تاشفين إلى سبتة لجواز عساكره اللمتونية إلى الأندلس لمنازلة لموك الطوائف ، وحصارهم في بلادهم ،... ، فقدم ابن عمه سير بن أبي بكر على عسكره وأمره بمحاصرة ابن عباد[٢] بإشبيلية ، وأوعز إليه إذا فرغ من شأنه يتقدم لبلاد المتوكل بن الأفطس لشبونة وشنترين وغير ذلك مما كان في يده))[٣].

وبعد ذلك شعر حكام بطليوس بالخطر الذي ينتظرهم بعد سقوط إشبيلية ، فعمد أميرهم أبو محمد عمر المتوكل(٤٦٠-٤٨٧هـ /١٠٦٧-١٠٩٤م) إلى الاستعانة بملك قشتالة الفونسو السادس وعقد معه صفة سياسية تضمنت فيها أن يساعده على مواجهة المرابطين مقابل تنازله عن مدينة شنترين ولشبونة وشنترة[٤] ، وعلى إثر ذلك

---

١) لمزيد من التفاصيل عن سقوط دولة بني عباد ينظر : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٣٩/٢ -٣٤٢.

٢) هو أبو القاسم محمد الملقب بالمعتمد بالله بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي حكم دولة إشبيلية من سنة ٤٦١ هـ/١٠٦٨ م حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م، وكان وفاته بأغمات سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م، ينظر : ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٤ -٢٧؛ العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ٢٥/٢ : ابن الابار، الحلة السيراء، ٥٢/٢ -٦٨.

٣) الحلل الموشية، ص ٧٢.

٤) ابن خلدون، العبر١٨٧/٦؛ عاشور، أوربا، ص٥٤٦؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ١٧٥.

تمكن ملك قشتالة الفونسو السادس من السيطرة على جميع حوض نهر تاجة من طليطلة حتى شنترين سنة٤٨٦هـ/١٠٩٣م ، وكان ذلك السقوط الأول لمدينة شنترين بيد النصارى.

وقد أثار ذلك الاتفاق حفيظة الأهالي على المتوكل بن الأفطس ، وقاموا بثورة عارمة ضده رافضة الخضوع لسلطة ملك قشتالة في شنترين والمدن المجاورة لها ، وقام الأهالي بمراسلة المرابطين لإنقاذهم[1] ، فأرسل المرابطون قوة عسكرية بقيادة سير بن أبي بكر الذي قام بمهاجمة بطليوس والقبض على عمر المتوكل بن الأفطس آخر أمراء بني الأفطس مع ولديه ، إذ تم إعدامهم بتهمة الخيانة ومراسلة النصارى[2] ، وبعدها زحفت القوات المرابطية نحو مدينة شنترين ولشبونة وتمكنوا من استرجاعهما من أيدي نصارى قشتالة وذلك سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م[3] ، وبذلك عادت شنترين إلى حكم المسلمين بعد أن بقيت حوالي مدة سنة تحت الحكم النصراني.

وقد أشار ابن الخطيب إلى هذه الأحداث بقوله: ((... ، فضيق الأمير سير بن أبي بكر ببطليوس بالسرايا والغارات ، والمتوكل يطمع

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٥٦/٢؛ العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٢٣٨ -٢٣٩.

٢) المراكشي، المعجب، ص ١٢٧ -١٢٨؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٩٦/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٥٦/٢.

٣) المراكشي، المعجب، ص ٢٢٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٥٦/٢؛ عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ص ٥٤٦؛ العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٢٣٩.

بالتمسك بها لقربه من حدود النصارى ، فلما عيل صبره ، وعجز عن مقاومتهم ، راسل أذفونش ملك قشتالة وأطمعه في المدينة ، وخرج له عن مدينة شنترين ، انحرفت عنه الرعية ، اتصل عليه الحمل ، وضاقت الصدور ، وراسل أهل بطليوس المرابطين ، فوصلت الجيوش ، وفتح الناس الأبواب ، فدخل القوم عنوة ، وقبض على المتوكل وعلى بنيه وعبيده ، ...))[1].

وهكذا دخلت مدينة شنترين وعدد من مدن غرب الأندلس تحت سيطرة المرابطين ، ولكنها كانت فترة حرجة لأنها شهدت ظهور دولة البرتغالPortugal على المسرح السياسي ، إذ كانت الأخيرة تابعة لمملكة قشتالة لاسيما في عهد أميرها هنري البرجوني(٤٨٨-٥٢٢هـ /١٠٩٥-١١٢٨م) صهر ملك قشتالة وزوج ابنته غير الشرعية تريسا ، وقد أخذت هذه الدويلة النصرانية الناشئة تنمو ويشتد ساعدها بسرعة وكانت قاعدتها يومئذ مدينة قلمرية[2] ، وعلى ما يبدو تمكنت هذه الدويلة من السيطرة على بعض مدن الغرب الأندلسي ومن ضمنها مدينة شنترين ، ما يعني سقوطها الثاني بيد النصارى ، الأمر الذي دعا المرابطين إلى تجهيز حملة عسكرية بقيادة الأمير سير بن أبي بكر بن تاشفين من أجل استرجاعها ، وفعلاً سار الأمير سير بقواته تجاه بطليوس ، ثم زحف على مدينة يابرة وافتتحها ، ثم قصد مدين لشبونة

---

١) أعمال الأعلام، ١٨٥/٢ -١٨٦.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٦٩/٣؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٨٩؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٥

واستولى عليها ، بعدها تمكن من السيطرة على مدينة شنترة ، ثم سار شمالاً باتجاه مدينة شنترين على نهر تاجة ، وقام المرابطون بمهاجمتها ، إلا أن المدينة استعصت عليهم في البداية ، بعدها ضربوا الحصار عليها حتى تمكنوا من دخولها بعد أن قتلوا عدد كبير من حاميتها النصرانية واستسلم من بقي منهم ، كما أسر عدد كبير بداخلها ، وبعدها واصل الأمير سير بقواته وتقدم نحو الشمال على مقربة من مدينة قلمرية عاصمة البرتغال ، ولم تستطع القوات البرتغالية بقيادة الكونت هنري من صد القوات المرابطية ، وكان افتتاح مدينة شنترين والقواعد الغربية الأخرى في سنة٥٠٤هـ/١١١٠م[١] ، فيما ذهب أحد الباحثين إلى أن ذلك كان سنة٥٠٥هـ/١١١١م[٢] ، والراجح أن ذلك كان سنة٥٠٤هـ/١١١٠م بدليل إلى قول ابن أبي زرع أن الأمير سير بن أبي بكر فتح في هذه السنة جميع بلاد غرب الأندلس وكتب بالفتح إلى أمير المسلمين علي بن يوسف (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م)[٣] وبذلك عادت شنترين إلى الحكم الإسلامي.

وقد تحدث المراكشي عن الفتح الثاني لمدينة شنترين وذكر رسالة طويلة وجهها الوزير أبو محمد عبدالمجيد بن عبدون[٤] إلى أمير

---

١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٧٠.

٢) السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٣٢.

٣) الأنيس المطرب، ص ١٦١.

٤) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري أديب وشاعر من أهل يابرة غرب الأندلس توفي سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٥ م، ينظر التفصيل عن حياته وشعره : ابن بسام، الذخيرة، ٤/٦٦٨ -٧٢٧.

المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين يخبره بفتح شنترين جاء فيها: ((أدام الله أمر أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ، خافقة بنُصرة الدين أعلامه ، نافذة في السبعة الأقاليم أقلامه ، من داخل مدينة شنترين ، وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك ، ويمن نَقِيبتك على المسلمين ، ... ، وأظهر العزيز – عزت أسماؤه ، وجلت كبرياؤه– دينه على جميع الأديان ، على رَغْم من الصلبان ، ووَقْم[1] من الأوثان ، وأنجز لنا تعالى وعده ، ونصرنا معه(صلى الله عليه وسلم) وبعده ، وجمع في هذه الجزيرة شمل الإسلام بعد انصرامه وانبتاته ، وقطع غِيل الإشراك بعد انتصابه وثباته ، وأنزل الذين كفروا من أهل الكتاب بأيدينا من صَيَاصيهم ، نأخذ بأقدامهم ونواصيهم ، وكانت قلعة شنترين –أدام الله أمر أمير المسلمين– من أحصن المعاقل للمشركين ، وأثبت المعاقل على المسلمين ، فلم نزل بسعيك الذي اقتفيناه ، وهديك الذي اكتفيناه ، نَخْضد شوكتها ، وننحت أَثْلَتها ، ونتناولها عَلَلًا بعد نَهَل ، ونطاولها عجلًا في مهل ، ... ، وكان القتل –كما قدمنا– قد أتى على صِيد أعيانهم ، وصناديد فرسانهم ، فلم تبق إلا شرذمة قليلة ، وعُصبة ذليلة ، لا تضر حياتهم مُوحِّدًا ، ولا تسر نجاتهم مُلحدًا ، نقلناهم من يمين المنون ، إلى شمال الهُون ، ومن أليم الحصار ، إلى لئيم الإسار ، وكانوا سألونا الإبقاء عليهم فأجبناهم ، بعد أن قدموا من

---

١) من وقم وهو القهر والذل، تقول: وقم الله العدو أي أذله، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٥٩/٣٤.

الخضوع صدقة بين يدي نجواهم ، ووهبنا أولاهم لأخراهم ، وجعلنا العفو عنهم تطريقًا لسواهم ، ممن يتقيل صنيعهم إذا نحن غدًا بإذن الله حاصرناهم ، وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها ، واستولينا على أقطارها ، أرحب المدن أمدًا للعيون ، وأخصبها بلدًا في السنين ، ... ، فأمكننا الله تعالى من ذِرْوتها ، وأنزل رُكابها لنا عن صهوتها))[1].

وعليه فقد امتد حكم المرابطين في عهد الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين من شرق الأندلس إلى غربها ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى ذلك بقوله: ((... ، وكان ملكه من مدينة أفراغه أول بلاد الإفرنج قاصية شرق بلاد الأندلس إلى آخر عمل شنترين والاشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الأندلس ، ...))[2].

إلا أن نصارى البرتغال لم يستكنوا طويلاً ، فحاولوا استرجاع مدينة شنترين وقادوا حملة عسكرية سنة٥٣٣هـ/١١٣٨م إلى المدينة ، إلا أن القوات المرابطية فيها تمكنت من صدهم ، وقتلت وأسرت العديد منهم ، كما حصلت على بعض الغنائم[3] ، وقد أشار ابن القطان إلى ذلك بقوله: ((... ، وغزوة عسكر شنترين ويابورة لعسكر من النصارى ، أرادوا دخول بلاد الأندلس ، فالتقوا على غير عدة ، فكانت للمسلمين جولة ، ثم كرّ المسلمون عليهم ، فانهزم النصارى –دمرهم الله تعالى– ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا منهم

---

١) المعجب، ص ١١٦ –١١٨.

٢) الأنيس المطرب، ص ١٣٦.

٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٥٢/٣.

جملة ، واحتوى المسلمون على أسلابهم وأنهابهم))[1].

كان المرابطون يمرون بمحنة عصيبة في ذلك الوقت ، ففي المغرب تعرضت جيوشهم إلى هزائم متكررة على أيدي الموحدين[2] Los Almohades ، [3] ، وفي الأندلس واجهوا ثورات عديدة منها ثورة أهل شرق الأندلس وأهل قرطبة ومالقةMalaga[4] ، ثم جاءت ثورة الجنوب الغربي للأندلس لتضع حدا لنفوذ المرابطين هناك[5] ، وفي الوقت ذاته شهدت الساحة السياسية في دولة البرتغال النصرانية تطوراً جديداً زاد من قوتها وطموحها ، فبعد وفاة هنري البرجوني سنة٥٠٥هـ/ ١١١١م تولت زوجته تيريزا الوصاية على ابنها الفونسو هنريكيز حتى سنة٥٠٣هـ/١١٠٩ م حيث نصب أميراً على البرتغال ، وقد عمد الفونسو هنريكيز (وتسمية المصادر العربية ابن الرنق أو الرنك أو الريق)[6] إلى العمل على استقلال البرتغال عن قشتالة وخاض معها قتالاً حتى

---

١) نظم الجمان، ص ٢٢٦.

٢) كانت بداية دولة الموحدين حركة دينية ظهرت في بلاد المغرب تزعمها محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، وسعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين في لمغرب والأندلس، وفعلاً تمكنوا من ذلك إذ دخلوا عاصمتهم مراكش سنة ٥٤١ هـ/١١٤٦ م وأحكموا سيطرتهم عليها ثم عبروا إلى الأندلس، لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٢٠ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٣ -١٤٩؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٧٢ وما بعدها.

٣) السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص ٢٨٨ -٢٨٩.

٤) انظر التفاصيل: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٧٦ -٢٨١.

٥) ينظر التفاصيل: دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ٧٠ -٧٥.

٦) ينظر : طه، دراسات أندلسية، ص ١٩٠.

تمكن من تحقيق هدفه حيث أعلن نفسه ملكاً على البرتغال سنة٥٣٧هـ /١١٤٢م[١] ، وتعهد أن يدفع بحدود دولته نحو الأراضي الإسلامية في غرب الأندلس[٢].

في ظل تلك الأوضاع المضطربة عمل بعض الشخصيات للاستقلال في حكم بعض مناطق غرب الأندلس ومنها مدينة شنترين إذ أصبحت خاضعة إلى نفوذ شخص يدعى لبيد بن عبدالله وغدا الحاكم الفعلي لها ، وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: ((وتعددت الثوار والمتزون في أعقاب هذه الدولة مثل ابن وزير شيخ أهل غرب الأندلس ، وأبي محمد سيدراي[٣] ، ويوسف البطروجي[٤] الثائر بلبلة ، ولبيد بن عبد الله صاحب شنترين ، وكل واحد من هؤلاء له خبر ودولة على قدره وقد عمله ، ...))[٥].

ولم يرد في المصادر التي بين أيدينا تعريف بلبيد بن عبدالله صاحب

---

١) مكي، البرتغال الإسلامية، ص ٢٦؛ عاشور، أوربا، ص ٥٤٨ وقد رجح تاريخ اتخاذه لقب ملك سنة ٥٤٠ هـ/١١٤٥ م.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٢٨/٣.

٣) أبو محمد سيدراي بن عبد الوهاب بن وزير القيسي من ثوار غرب الأندلس ثم لجأ إلى الموحدين وحظي عندهم، وقد اعتمده ابن صاحب الصلاة في بعض كتابه ينظر : ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٦٨، ١٥٢؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢٧١/٢ -٢٧٢.

٤) هو يوسف بن أحمد البطروجي احد الثوار في غرب الأندلس في نهاية المرابطين وكان قد ملك لبلة وحارب جيوش المرابطين واستولى عليها، ينظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ٢٠٤/٢ -٢٠٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١١٩/١؛ ابن خلدون، العبر، ٣١٢/٦.

٥) أعمال الأعلام، ٢٤٨/٢.

شنترين إلا أنه من المتغلبين الذين انضموا إلى الموحدين وأعلنوا بيعتهم وكان ضمن الوفد الذي حضر إلى إشبيلية للبيعة سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م[١] ، وهذا يعني أن شنترين كانت حتى الثاني عشر من شعبان من سنة٥٤١هـ/١١٤٦م كانت لا تزال بيد المسلمين كما ورد عند ابن عذاري[٢].

إن ما حدث من حركات تمرد في معظم مناطق الأندلس وبالأخص في الغرب أعطى فرصة ذهبية لملك البرتغال الطموح الفونسو هنريكيز في توسيع نفوذه والاستيلاء على المزيد من المدن في غرب الأندلس والتي بقيت فريسة سهلة بيده بعد أن انهارت الجيوش المرابطية في المغرب على أيدي الموحدين وفي الأندلس على أيدي ثوارها وبقيت تلك المدن تقاوم بإمكانياتها الذاتية وبدافع الجهاد في سبيل الله دون أي دعم سياسي أو عسكري من دولة تجمعهم ، أو خارجي ، من دولة تساندهم.

وبخصوص استيلاء الملك البرتغالي على مدينة شنترين وبقية مدن الساحل الغربي عند مصب نهر تاجة ، هناك روايتان ، جاءت الأولى عند ابن الأثير في أحداث سنة٥٤٠هـ/١١٤٥م أشارت إلى أن مدينة شنترين ولشبونة وعدد من مدن الغرب الأندلسي سقطت بيد النصارى في هذه السنة ، إذ قال: ((وفيها ملك الفرنج ، لعنهم الله ، مدينة شنترين وباجة وماردة وأشبونة ، وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الأندلس ، وكانت للمسلمين فاختلفوا ، فطمع العدو ، وأخذ هذه المدن

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٦.
٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٥ -٣٦.

وقوي بها قوة تمكن معها وتيقن ملك سائر البلاد الإسلامية بالأندلس ...))[1] ، أما الأخرى فذكرها ابن أبي زرع في سنة ٥٤٣هـ /١١٤٨م قال: ((فيها ملك الروم مدينة أشبونة والمرية وطرطوشة وماردة وأفراغة وشنترين وشنتمرية ملكوا ذلك كله على يد رذريق))[2].

أما بخصوص رواية ابن الأثير عن سقوط مدينة شنترين وبقية مدن مصب نهر تاجة سنة٥٤٠هـ/١١٤٥م فالراجح أنها غير دقيقة ومما يُضعفها رواية ابن عذاري عن وجود وفد مدينة شنترين للتهنئة بتوحيد إشبيلية في شعبان من سنة٥٤١هـ/١١٤٦م[3] ، أما رواية ابن أبي زرع عن سقوطها سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م فيُضعفها أحداث سقوط مدينة لشبونة التي تمت سنة٥٤٢هـ/١١٤٥على أيدي الملك البرتغالي الفونسو هنريكيز بمساعدة حملة صليبية كانت متجهة إلى الشرق رست عند المدينة في أواخر سنة٥٤١هـ/١١٤٧م فقام الفونسو بالتفاوض معهم من أجل مساعدته في اقتحام لشبونة ووعدهم بحصة من الغنائم ، وأطمعهم بما ينالونه من ثواب في مقاتلة المسلمين ، فالجهاد ضد المسلمين هو واحد سواء في فلسطين أم في الأندلس ، عندها استجابوا لطلبه فسارت السفن الصليبية وضيقت الحصار على المسلمين من جهة البحر مما أدى إلى انقطاع الإمدادات عنها ، وقد آثر السكان أول الأمر الدفاع عن المدينة أملاً في وصول مساعدات إليهم ، ولكن حال باقي مناطق الأندلس الأخرى ليس بأحسن حال منهم ، كما أن الموحدين لم يتمكنوا بعد من دخول الأندلس ، وأمام نقص الأقوات وشدة الحصار وحالة اليأس

---

١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٢٦.

٢) الأنيس المطرب، ص ٢٦٣.

٣) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٥ -٣٦.

اضطر سكان المدينة إلى التسليم مقابل الأمان والرحيل بأنفسهم على أن يتركوا أموالهم وأسلحتهم ، فوافق الطرفان على ذلك وتم تسليم المدينة بعد حصار دام أربعة أشهر[1].

من خلال ذلك نستنتج بأن مدينة شنترين سقطت بيد ملك البرتغال الفونسو هنريكيز قبيل سقوط مدينة لشبونة أي في طريقه إليها سنة٥٤٢هـ/١١٤٧م وذلك لأن زحفه نحوه لشبونة كان من جهة البر فيما طوقتها السفن الصليبية من جهة البحر ومن غير المعقول أن يترك شنترين وشنترة خلفه بيد المسلمين ، والراجح أنه لم يجد مقاومة كبيرة فيها بسبب انهيار سلطة المرابطين آنذاك في الأندلس كما أن القوات الموحدية تصل بعد إلى مناطق غرب الأندلس مما سهل على الملك البرتغالي اقتحامها ، كما لم تشر المصادر المتوفرة إلى دور أو مصير حاكمها لبيد بن عبدالله.

---

١) أشباخ، تاريخ الأندلس١/٢٣٦ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٤٦١ ؛ عاشور، أوربا، ص ٥٤٨ ؛ سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية٢/١٩١ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية، ص ١٢٩ ؛ الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم(٣)، ص ٢١١-٢١٣ ؛ العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٢٣٩ .

المبحث الثالث

الصراع الإسلامي النصراني على شنترين
(٥٤٢ -٥٨٥ هـ/١١٤٧ -١١٨٩م)

بعد أن دخلت مدينة شنترين تحت نفوذ مملكة البرتغال سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، أصبحت تشكل تهديداً كبيراً إلى المناطق الإسلامية لاسيما في غرب الأندلس ، إذ اتخذها النصارى قاعدة لشن هجماتهم ، ففي سنة٥٥٦هـ/١١٦٠م هاجمت قوات الملك البرتغالي الفونسو هنريكيز بطليوس الواقعة جنوب شرق شنترين وتمكن من اقتحامها والدخول إلى جامعها[١] ، إلا أن القوات الموحدية تمكنت من هزيمتهم في السنة نفسها وإخراجهم من بطليوس ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى ذلك بقوله: ((وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة ويابرة وحصن القصر))[٢].

ثم تكررت هجمات نصارى شنترين على مناطق غرب الأندلس ففي سنة٥٥٧هـ/١١٦١م غزا نصارى مدينة شنترين مدينة باجة الأندلسية

---

١) أشارت سحر عبد العزيز سالم إلى نقش على شاهد قبر للفقيه أبي القاسم خلف الذي استشهد عند اقتحام النصارى مدينة بطليوس في الأول من ربيع الأول من سنة ٥٥٦ هـ/١١٦٠ م، ينظر: تاريخ بطليوس ، ١٩٤/٢.

٢) الأنيس المطرب، ص ١٣١.

وتمكنوا من اقتحامها والسيطرة عليها ، ومكثوا بها أربعة أشهر ، ثم غادروها بعد أن دمروا ربوعها وخربوا أسوارها[1] ، وقد أشار ابن أبي صاحب الصلاة إلى هذه الغزوة بقوله: ((... ، وقد كان النصارى أهل شنترين–أهلكهم الله– غدروا مدينة باجة ليلة السبت الثاني والعشرين م ذي الحجة الموافقة أول ليلة دجنبر ، من عام سبعة وخمسين وخمس مائة ، سكنوها أربعة أشهر وثمانية أيام ، ثم هدموا أسوارها وأقفروها ، ...))[2].

كما أشار ابن الابار إلى تلك الغزوة عند ترجمته لأحد أعيان باجة المدعو أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن صاحب الصلاة بقوله: ((استشهد عند باب الجامع في غدر العدو بلده وذلك ليلة السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وخمسين وخمسمائة))[3] ، وهو ما دفع الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤–٥٥٨هـ/١١٢٩–١١٦٢م) إلى الاستعداد والتجهز للجهاد في الأندلس إلا أن المنية وافته قبل أن يحقق ذلك[4].

وفي سنة٥٦٠هـ/١١٦٤م في عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ٥٥٨–٥٨٠هـ/١١٦٢–١١٨٤م) قامت قوة من نصارى شنترين مدينة بطليوس مرة أخرى ، وكرد فعل من قبل

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٣٩٣.

٢) تاريخ المن بالإمامة، ص ٣٦٩.

٣) التكملة، ١/٦١.

٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٧٩.

الموحدين فقد قامت قوة مؤلفة من خمسمائة فارس إلى بطليوس لتعزيز حاميتها والتصدي لهجمات النصارى المتكررة نحوها ، وقد تحدث ابن أبي صاحب الصلاة عن ذلك بقوله: ((... ، وبعثوا عند وصولهم إشبيلية منهم جملة مباركة نحو الخمس مائه فارس إلى مدينة بطليوس لحماية صيفتها فيسر الله لهم غزو شرذمة ذميمة من النصارى من أهل شنترين ، أعادها الله ، وهزموهم وغنموهم فاستأصلوهم قتلاً وسبياً ، ...))[1].

وفي سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م ، هاجمت قوة من نصارى شنترين مدينة طلياطة Tliata الواقعة جنوبي شرقي لبلة التابعة لإشبيلية ، وعلى إثر ذلك جهز والي إشبيلية الموحدي الشيخ أبو عبد الله بن أبي إبراهيم إسماعيل حملة عسكرية لردهم مكونة من الحفاظ والعرب وجند إشبيلية الين كانوا بقيادة أبي العلاء بن عزون[2] ، وتمكنت من ملاحقتهم وهزيمتهم ، واستنقذت منهم الأسرى ، وأسرت العديد منهم ، كما حصلت على الغنائم ، وبعث والي إشبيلية بخبر هذه الوقعة إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف يبشره ، فسر به ، وبعث إليه يشكره[3].

وقد تحدث ابن أبي صاحب الصلاة عن ذلك بقوله: ((....وضربت

---

١) تاريخ المن بالإمامة، ص ٢٧٥.

٢) كان شيخ الرؤساء بالأندلس والمستشار الناصح لعبد المؤمن بن علي ولابنه من بعده، وكان ينعت بناصح الدولة المهدية، وحضر غزوة وبذة مع الخليفة الموحدي أبي يعقوب، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة،ص٦٩ هامش(١).

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٩٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٢٠.

جملة ذميمة من نصارى شنترين –أعادها الله– على نظر طلياطة جهز في اتباعهم الحفاظ الواصلين معه وأبا العلاء بن عزون في جند إشبيلية وجملة من العرب الواصلين معه فأدركوهم ، وأنقذوا الغنائم منهم وهزموهم وغزوهم ، واستاقوا من سلبهم مائة فرس وجملة أعلاج ، وعرف الأمير بهذا الفتح فشكر اجتهاده وجهاده))[1]

وفي تلك المدة ظهر فارس برتغالي مغامر يدعى جيرالدو سيمبا فور Geraldo Sem Pavor وتطلق عليه المصادر الإسلامية العلج جراندة الجليقي[2] وأخذ يجمع المرتزقة بمساعدة الملك البرتغالي الفونسو هنريكيز ويهاجم مدن غرب الأندلس ويقتل ويسبي المسلمين على غرار ما كان يفعله السيد القمبياطور[3] أيام دويلات الطوائف بمساعدة الفونسو

---

١) تاريخ المن بالإمامة، ص ٣٠٤.

٢) ينظر : ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٢٣٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٠١، ١٠٤، ١٠٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٣٢١/٦.

٣) وهو فارس قشتالي مغامر تزعم فرقة من الفرسان النصارى، وأخذ يجوب شرق الأندلس ويستأجر نفسه لحكامها، ثم يضرب بعضهم ببعض من أجل إضعافهم، وكانت له صداقة مع أحمد المقتدر بن هود، ثم مع ولده يوسف المؤتمن، ولعب دوراً كبيراً في الصراع بين حكام بين هود، ثم لما رأى اختلال الأمور في بلنسية توجه إليها بصحبة المستعين الأصغر بن هود وضرب عليها الحصار مما اضطر أهلها إلى الاستسلام بعد أن عقدوا معه معاهدة تصب في صالحه وأسياده حكام قشتالة، وكان ذلك سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م، وصادر أموال القادر بن ذي النون، ثم نقض الصلح مع أهالي المدينة وقتل القاضي ابن جحاف الذي وقع معه المعاهدة بعد أن عذبه حرقاً بالنار، ثم أمر بإحراق جماعة من أهل المدينة وسام أهلها العذاب، مما اضطر الكثير منهم إلى مغادرتها، ولم ينقذ ذلك الوضع إلا وفاته سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٧٣/٥ وما بعدها ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣١/٤ –٤٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، /٢٣١ –٢٣٨.

السادس Alfonso VI ملك قشتالة(٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٨م)[١] ، ففي سنة٥٦٤هـ/١١٦٨م قاد الفارس البرتغالي المغامر جراندة حملة عسكرية اشترك فيها عدد كبير من نصارى شنترين ، اتبع فيها نظام الكمائن في مواضع عدة ، ثم هاجموا أحواز مدينة بطليوس القريبة منها ، وعلى إثر ذلك خرج الوالي الموحدي أبو يحيى بن أبي حفص[٢] بقواته لمواجهتهم ،وما كاد الموحدون يتصدون لهم حتى تظاهر النصارى بالفرار والهزيمة ، فلاحقهم الموحدون حتى وصلوا إلى مقر الكمائن ، عندئذ أطبق النصارى على الموحدين وأسروا عدداً كبيراً من خيرة رجالهم ، وقد افتدوا منهم فيما بعد ، وكان ذلك أواخر سنة٥٦٤هـ/١١٦٨م[٣].

وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((وفي مدة إقامته فيها دارت بينه وبين جراندة النصراني حروب صبر فيها أبو يحيى واستبد بدفاع اللعين ودام على جهاده شهوراً ، إلى أن احتال العلج في خدعة من الحرب صنعها وأوقعها ، واستدعى جملة ذميمة من النصارى أهل شنترين ووصل بهم إلى موضع كمنهم فيه ، ومشى هو في جملته المعلومة له وأغار على جهة بطليوس فركب الحائط أبو يحيى وأصحابه والأجناد معه مسرعين في اتباعه وفرّ أمامهم

---

١) سالم، تاريخ بطليوس، ١٩٨/٢ -١٩٩.

٢) هو أبو يحيى بن أبي حفص عمر بن تمصيلت أحد قادة الموحدين ولي بطليوس سنة ٥٦١ هـ/١١٦٥م وباجة سنة ٥٧٠ هـ/١١٧٤ م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٠٩، ١٣٣ -١٣٤.

٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١/٤.

العلج مظهراً الروع وطلب النجاة في إسراعه حتى وصل موضع الكمين ، فخرج على المسلمين ، فأسروا جملة منهم إلى أن فدى أكثرهم بماله ، وبعد هذا انصرف إلى بطليوس))[1].

ويبدو أن هذا الانتصار الذي حققه النصارى شجعهم على مهاجمة مدينة بطليوس مرة أخرى ، ففي شهر رجب من سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م كثرة هجمات القائد البرتغالي سيمبا فور(جراندة) على بطليوس ، واشتد في مضايقتها وقطع المؤن عنها ، فلما علم بذلك الموحدون في إشبيلية قرروا أن يرسلوا إليها مدداً ، فجُهزت إليها قافلة من نحو خمسة آلاف دابة تحمل الطعام والسلاح والعلوفات ، وقام بحراستها الحافظ أبو يحيى زكريا بن علي في قوة من جند الموحدين بإشبيلية ، ولما اقتربت هذه الحملة من بطليوس خرج إليها القائد البرتغالي(جرادة) في قواته وقوات من أهل شنترين وحدثت بين الطرفين معركة شديدة انتهت بهزيمة كبيرة للموحدين وقتل فيها العديد منهم ، ومن بينهم القائد الحافظ أبو يحيى ، كما استولى النصارى على قافلة المؤن ، وكان ذلك في يوم٢٦ شعبان سنة٥٦٥هـ/١١٦٩م ، فكان لهذه النكبة صدى كبيراً على الموحدين بإشبيلية وقرطبة وبعثوا بخبرها إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن في مراكش[2].

وقد علق ابن أبي صاحب الصلاة على هذه الأحداث بقوله: ((وفي

---

١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٠٩.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٠؛ سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ٢١٨/٢

شهر رجب الفرد من هذه السنة زاد ضعف مدينة بطليوس من عدم القوت فيها بإلحاح العلج اللعين جراندة بالفتنة وقطع الداخل بالمرافق إليها ، فنظر لها الموحدون الذين كانوا بإشبيلية في ميرة موفورة من الطعام والآلات والمحلات للحمل إليها ، فاجتمع في ذلك نحو خمسة آلاف دابة موفورة بما ذكر ، وتقدم عليها للتوصيل الحافظ أبو يحيى زكريا بن علي بعسكر إشبيلية وجهاتها من الموحدين وبالعسكر معها إلى مقربة من بطليوس فخرج اللعين جراندة بجمعه الذميم من النصارى وأهل شنترين النصارى معه ، فتحابوا مدة طويلة من النهار ، ثم انهزم المسلمون وقتلوا وأسروا وانتهبت الميرة وذهبت بكليتها ، وكان ذلك في يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان المبارك من سنة خمس وستين المؤرخة ، واستشهد في ذلك اليوم الحافظ زكريا المذكور ...))[1].

وبعد ذلك تكررت هجمات النصارى من البرتغاليين ونصارى أهل مدينة شنترين على مناطق الغرب الأندلسي ، فقد هاجم ملك البرتغال الفونسو هنريكيز مدينة باجة سنة٥٧٣هـ/١١٧٧م ، وانتسف زروعها ، ثم تركها وسار نحو الجنوب الشرقي قاصداً وادي إشبيلية ، ووصل في تقدمه إلى ضاحيتها الغربية طريانة Trana ، فدخلها ودمرها ، وعاث في أحواز إشبيلية ، وبعدها عاد إلى مدينة باجة مرة أخرى فوجدها خراباً وقد أقفرت من أهلها ، وذلك أن واليها عمر بن تيمصلت[2] خرج منها

---

١) تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٣.

٢) هو أبو علي عمر بن تيمصلت التينملي أحد قادة الموحدين ومن الحفاظ=

بجندها وفرسانها وانظم إليه علي بن وزير حاكم شرية في قواته ، وأغار على فحص أبي دانس Alcacer do sal ، وحدث القتال بينهم وبين النصارى ، وفي أثناء ذلك قدمت قوة من نصارى مدينة شنترين فجأة وانضموا إلى النصارى في مواجهة الموحدين ، وانتهت بهزيمة عمر بن تيمصلت وحليفه علي بن وزير وأسر عدد من الفرسان والرجالة ، وقتل الباقون ، وكان ذلك سنة٥٧٤هـ/١١٧٨م ، وقد حُمل ابن تيمصلت وزميله ابن وزير إلى مدينة قلمرية ، وعُذب ابن تيمصلت ثم أعدم ، وافتدى الخليفة الموحدي أبي يعقوب ابن وزير بأربعة آلاف دينار[١].

وتحدثت الرواية البرتغالية عن هذه الغزوة بشكل آخر ، إذ أن الذي قام بغزو إشبيلية هو سانشو ولد الفونسو هنريكيز وولي عهده وذلك في سنة ١١٧٨م(٥٧٤هـ) وأنه بعد أن هزم الموحدين في ظاهر طريانة ، سار لغزو مدينة لَبلة ، ولكنه علم عندئذ أن جيشاً موحدياً قد سار لمحاصرة باجة ، فبعث قوة مختارة من فرسانه ردت المهاجمين ، ثم لحق بها بباقي قواته ، وهزم الموحدين مرة أخرى ، وبقيت باجة في حوزة البرتغاليين[٢].

وعلى إثر ذلك جهز الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف حملة عسكرية بحرية ضد النصارى المتمثلين بمملكة البرتغال سنة

=تولى بطليوس لهم سنة ٥٦٤ هـ/١١٦٨ م كما ولي باجة أيضا، وقتل سنة ٥٧٣ هـ/١١٧٧ م عندما كان يتصدى للبرتغاليين في مدينة قصر أبي دانس، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٠٩، ١٢٨، ١٣٤ -١٣٥.

١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٣٤ -١٣٥.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٩٨/٤.

٥٧٦هـ/١١٨٠م ، وكانت الحملة بقيادة غانم بن مردنيش[١] وأخوه أبو العلاء ، وسارت إلى مياه البرتغال الشمالية ، ورست عند ميناء سان مارتن دي بورتو شمالي لشبونة ، ونفذ المسلمون إلى الداخل ، وحاولوا مهاجمة((بورتو دي موس)) التي تقع على مقربة من الشاطئ ، ولكن حاكمها البرتغالي الأميرال روبينو استنجد لمعاونته أهالي مدينة شنترين ، فهرعوا لإنجاده ، ودبر البرتغاليون كميناً للمسلمين في جبال منديجا ، وانقضوا عليهم ، فمزقت صفوفهم ، وأسر غانم وأخوه أبو العلاء ، وجملة من أكابر الموحدين ، واحتوى البرتغاليون على أسلابهم ومتاعهم ، واستولوا على السفن الموحدية وأسروا من كان فيها ، وساروا بها إلى لشبونة ، وبعد ذلك كتب غانم من موضع اعتقاله إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف يلتمس منه تخليصه ، وعلى إثر ذلك عهد الخليفة إلى أخيه هلال بن مردنيش[٢] بالنظر في فداء أخيه ،

---

١) هو ابن الأمير محمد بن سعد بن مردنيش أمير منطقة شرق الأندلس، وقد كان غانم ذو دراية بالبحر فقد جعله الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن قائداً للقوات الأندلسية في مدينة إشبيلية، ثم جعله قائداً للأسطول الموحدي في مدينة سبتة بعد أن اشتدت هجمات النصارى البحرية، فغزا مدينة لشبونة وهزم سفنهم، ثم تعرض للهزيمة ووقع في الأسر سنة ٥٧٦ هـ/١١٨٠ م، فأمر الخليفة أخاه هلال أن يفتديه من الأسر بأموال كبيرة وتم فكاكه، ينظر : ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٥٥ -٥٥٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٤٣، ٢١٥ -٢١٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤١؛ السلاوي، الاستقصا، ١/٢٨٠؛ جابر، بنو مردنيش، ص ١١٣، ١١٥.

٢) هو ابن الأمير محمد بن سعد بن مردنيش وولي عهده، يكنى أبا القمر، تولى الأمر بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١ م، ولكنه بادر بالطاعة إلى الخليفة يوسف=

فجمع المال اللازم لذلك ، وبعث به إلى إشبيلية ، فحُمل إلى النصارى ، وأفرج عن غانم وأخيه وبقية أصحابه[1].

وقد أشار ابن عذاري إلى هذه الحملة مع الاختلاف في تفاصيلها بعض الشيء بقوله: ((وفي هذه السنة وهي سنة ست وسبعين أسر غانم بن مردنيش قائد الأسطول بسبتة وأخوه أبو العلا وجملة من أصحابه واستشهد باقي إخوانه وجماعة من المسلمين رحمهم الله تعالى واحتوى النصارى على كثير من القطائع وعلى من كان فيها من المسلمين وانصرفوا إلى أشبونة وذلك في منتصف محرم فتقاطع غانم بمال عظيم وكتب لأمير المؤمنين من موضع اعتقاله بوصف أسره ، وسوء حاله فوصل كتابه إلى تلمسان في أول صفر فأمر في الحين لأبي القمر هلال بن محمد أخي غانم أن ينصرف إلى حضرة مراكش لينظر في فداء أخيه وأمر بإنشاء الأسطول ، فلما وصل أبو القمر إلى مراكش حظر المال وبعث به إلى إشبيلية فانصرف الفكاك به ودفعه إلى النصارى ، وانطلق غانم المذكور وأخوه من الأسر ومن كان بقي من أصحابه ، ثم كثر كلب العدو في هذه السنة في البحر ، وكان النصارى

=بن عبد المؤمن فأكرمه وجعله من خاصته وتزوج أخته زائدة بنت سعد وزوج ابنه يعقوب من أختها صفية بنت سعد، ينظر : ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٠٦ -٥٠٧، ٥٥٣ -٥٥٥؛ المراكشي، المعجب، ص ١٨٠ -١٨١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٢١ -١٢٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٠؛ الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٨٣ -١٨٤.

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/١٠٠؛ سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٦٦ -٦٧؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٥١ -٣٥٢.

من أهل طليطلة وشنترين طول مدة مغيب أمير المؤمنين قد ألحوا على بلاد الأندلس بالنكاية وشن الغارات على القرب والبعد من بلاد الإسلام فلما وصلت البشائر بوفادة أمير المؤمنين نشطت النفوس لجهاد أعداء الله الكفار فأبلوا فيه بلاء من أخذ بالثأر))[1].

وفي سنة٥٧٧هـ/١١٨١م عاود نصارى أهل شنترين هجماتهم على المناطق الأندلسية لاسيما على إقليم الشرف التابع لمدينة إشبيلية ، وتصدى لهم المسلمون ، وحدثت معركة شديدة بين الطرفين قتل فيها عدد كبير من النصارى ، وبعدها استخدم النصارى الكمائن ، فانهزم المسلمون وقتل عدد منهم ، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((وألح خيل النصارى أهلكهم الله من أهل شنترين بالضرب على بعض بلاد المسلمين بالشرف وغيره فخرج إليهم عسكر المسلمين من إشبيلية فتقاتلوا قتالاً شديداً وقتل فيه من النصارى نحو مائة وسبعين ثم خرج كمينهم فانهزم المسلمون واستشهد منهم جماعة ، ...))[2].

لم يستكن نصارى أهل مدينة شنترين جراء حملتهم السابقة ، بل سرعان ما تكررت في سنة٥٧٨هـ/١١٨٢م ، ولكن هذه المرة توحدوا مع نصارى مدينة لشبونة ، وهاجموا قرية شلوقة Sanlucar من إقليم الشرف وقتلوا أعداداً من المسلمين وأسروا البعض الآخر ، وبعدها هجموا على حصن القصر(أبي دانس) وانصرفوا عن طريق مدينة لبلة ، وقد أشار ابن عذاري إلى هذه الأحداث بقوله: ((وفي سنة ثمان

---

١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٤٣.

٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٤٥.

وسبعين وخمس مائة وقعت بالأندلس أحداث قبيحة فمن ذلك أن خيل النصارى من جهة شنترين وأشبونة وصلوا إلى قرية شلوقة من الشرف فضربوا عليها في ألف فارس وألف راجل وقتلوا من وجدوا من المسلمين وأسروا وغنموا وأغاروا على حصن القصر وغيره وانصرف هذا العدو دمره الله على طريق لبلة موفورون والمسلمين بين أيديهم مأسورون))[1].

إن كثرة هجمات نصارى شنترين شكلت تهديداً حقيقياً على المناطق الأندلسية لاسيما غرب البلاد القريبة منها ، الأمر الذي دعا الخلافة الموحدية بضرورة صدهم ووقف اعتداءاتهم المتكررة ، وعلى إثر ذلك جهز الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب حملة عسكرية كبيرة سنة٥٨٠هـ/١١٨٤م من بلاد المغرب وتوجه إلى الأندلس ، إلا أنه لم يعلن عن مقصدها ولم يحدد هدفها في بداية الأمر ، ولعله يريد أن يحيط تحركاته بالسرية لكي يحتفظ بعنصر المباغته ، وقد فصل ابن عذاري عن تحركات هذه الحملة وعبورها إلى الأندلس بقوله: ((ففي يوم الثلاثاء الرابع من شهر محرم تحرك الخليفة أبو يعقوب يوسف من مدينة فاس على الهيئة المذكورة إلى أن وصل مدينة سبتة فأقام بها شهر محرم ثم عبر البحر يوم الخميس لصفر فحلّ بجبل الفتح ، ثم سار من جبل الفتح إلى الجزيرة الخضراء إلى أن برز بعساكره على إشبيلية في يوم الجمعة الثالث عشر لصفر وخرج جميع أهل إشبيلية إلى لقائه والتبرك

---

١) البيان المغرب، قسم الموحين، ص ١٤٥.

برؤيته فمن تواضعه وشرفه واعتنائه بالعلم أنه لما أبصر ابن الجد[1] رحمه الله وهو يسرع في مشيه ليسلم عليه ترجل عن فرسه وتلاقيا فترامى ابن الجد على يد أمير المؤمنين وقبلها ومسح بها وجهه وقال: الحمد لله الذي جمعني بك يا حبيبي وحبيب الناس فتبسم الخليفة من قوله ، وهذا من تواضعه وفضله))[2].

أما ابن أبي زرع فقد تحدث بشيء أكثر تفصيلاً في سير هذه الحملة والتحشيد لها بقوله: ((ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمئة في اليوم الرابع منها خرج أمير المؤمنين من مدينة فاس ، فسار حتى وصل سبتة ، فأقام بها بقية شهر محرم ، وأمر الناس بالجواز فجازت قبائل العرب أولاً ثم قبائل زناتة ثم قبائل المصامدة ، ثم غمارة وصنهاجة وأوربة وأصناف البربر ، ثم جازت جيوش الموحدين والاغزاز ، والرماة ، فلما كمل الناس بالجواز هو في إثرهم في العبيد والدائرة ، وكان جوازه في يوم الخميس الخامس لصفر من العام المذكور ، فنزل بمرسا جبل الفتح ، ثم ارتحل منه إلى الجزيرة الخضراء ، فسلك منها إلى جبل الصوف إلى قلعة خولان[3] إلى

---

١) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد الفهري من أهل إشبيلية كان عاماً فقيهاً ومحدثاً وأديباً، وانتهت إليه رئاسة الفتوى في مدينته، توفي سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م، ينظر : ابن الابار، التكملة، ٢/٦٤ -٦٥.

٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٥٩ ؛ ينظر أيضاً : ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٧٩.

٣) وهي قلعة كبيرة تقع بين مدينتي الجزيرة الخضراء وإشبيلية، ينظر : أرسلان، الحلل السندسية، ١/٢٩٧.

أركش[1] إلى شريش[2] إلى نبريشة[3] إلى إشبيلية ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر نزل في وادي برتقال ، فخرج إليه السيد أبي إسحاق وولده وفقها إشبيلية وأشياخها للسلام عليه ، فبعث إليهم يأمرهم بالوقوف بآخر المنية حتى يصل إليهم فلما صلا الظهر ركب وجاز إليهم ، فلما قرب منهم نزلوا عن دوابهم ، فوقف إليهم حتى سلموا عن آخرهم وركبوا ، ...))[4] ، وقد أقام الخليفة الموحدي بمدينة إشبيلية بعض الوقت لاستكمال الاستعدادات العسكرية وتنظيم الحشود وترتيبها قبل القيام بحملته[5].

ويبدو أن هدف الحملة كان مدينة شنترين على الرغم منه أنه لم يحدد هدفها في بداية انطلاقها ، ويعلل عنان مدينة شنترين بالذات هدفاً للحملة لأسباب عدة مادية ومعنوية ، فقد كانت البرتغال في عهد أبي يعقوب أول مملكة نصرانية في شبه الجزيرة ناصبت الموحدين العدوان ، وكانت مدينة شنترين بالذات أهم قواعد هذا العدوان ، فمنها خرجت الحملات العدوانية المتوالية التي شنها الفارس المغامر جيرالدو سمبافور على بلاد ولاية الغرب وحصونها في قطاع بطليوس ، وهي

---

١) مدينة أندلسية قديمة تقع على وادي لكة وتشتهر بكثرة الزيتون، ينظر: الحميري، الروض المطار، ص ٢٧.

٢) مدينة أندلسية على مقربة من البحر وتعد من كورة شذونة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٠.

٣) لم نجد لها ترجمة.

٤) الأنيس المطرب، ص ٢١٤ -٢١٥.

٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٥٩.

ترجالُه Trujillo وقاصرش ، ومنتانجش وشربة ، وجلمّانية Juremena ، ثم كانت بعد ذلك قاعدة لمهاجمة ملك البرتغال وجيرالدو سمبافور لمدينة بطليوس ذاتها ، واستيلائهما عليها ، ولو لم يتعاون فرناندو[1] ملك ليون مع الموحدين على إنقاذ المدينة ، لبقيت في أيدي البرتغاليين ، وكانت شنترين أخيراً مركزاً للحملات المخربة التي شنها البرتغاليون في أحواز إشبيلية ، والتي وصلت في سيرها مرة إلى طُريانة ، وأخرى إلى الشّرف ومدينة شلوقة ، وعلى الجملة فقد كانت شنترين هي المركز الرئيسي لعدوان البرتغاليين على قواعد ولاية الغرب وأراضيها ، وقد اضطلع فرسانها وجندها بأعظم دور في هذه الحملات العدوانية ، والغزوات المخربة ، وكان الخليفة وقادته يرون أن الاستيلاء على شنترين يلحق بالبرتغاليين وملكهم ألفونسو هنريكيز ضربة شديدة ، ويقضي على أهم مراكز العدوان في البرتغال ، ومن ثم كان اختيارها هدفاً للغزوة الموحدية الكبرى[2].

أما الرواية النصرانية فأشارت إلى أن خطة زعيم الموحدين تقضي بمهاجمة مملكة البرتغال أولاً من البر والبحر ثم الزحف منها على ضفاف نهر التاجة ودويرة إلى قلب مملكتي قشتالة وليون ، وأن تقوم قوات إسلامية أخرى بمشاغلة قوات النصارى في الجنوب[3].

---

١) وهو فرناندو الثاني ملك ليون الذي حكم المملكة للمدة(٥٥٢-٥٨٤ هـ /١١٥٧ -١١٨٨م)، ينظر: الحسيناوي، قشتالة، ص ٢١٦.

٢) دولة الإسلام في الأندلس، ١١٦/٤ -١١٧.

٣) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٧٢/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٨/٤ -١١٩.

بعد ذلك تحركت الجيوش الموحدية من مدينة إشبيلية وعلى رأسها الخليفة أبو يعقوب يوسف غازياً إلى مدينة شنترين حتى وصلت إلى مدينة بطليوس ، وتم النزول بها والاستعداد وانضمت لهم قوات أخرى ، وهو ما أشار إليه ابن عذاري بقوله: ((وأقام أمير المؤمنين بإشبيلية على ما ذكرته من تنفيذ الأوامر فيما يصلح له ولجميع العساكر إلى أن تحرك غازياً إلى مدينة شنترين صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين لصفر على ما عهد في حركاته وترتيب هيئاته وتمادي المشي من منزل إلى منزل إلى حصن العرجة فوصله يوم الجمعة الرابع لربيع الأول ورحل منها وقد استكملت عليه العساكر من كل أفق وقد تزيا الجميع بأحسن الزيّ وتبخترا في المشي وتوشحوا بالسيوف الهندية والدرق اللمطية والقسي الخطية وسالوا في بطاح الأرض بتبريز يسخط الكفار حتى وصلوا مدينة بطليوس فأمر بالنزول عليها وميّز العساكر وأمرهم بلباس السلاح فامتثلوا ذلك وجددوا ما نقصهم من الزاد وكان إدريس بن جامع[1] مغرباً مع بنيه بماردة وابن حيون الكومي[2] كذلك ببطليوس فرغبوا من الخليفة أن يأذن لهم في حضور هذه الغزوة فأذن لهم في الحين

---

١) هو أبو العلا إدريس بن إبراهيم بن جامع والي الوزارة للخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف واستمر حتى قبض عليه سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م ونفاه، ينظر: المراكشي، المعجب، ص١٨٠.

٢) هو أبو زكريا بن حيون الكومي شيخ قبيلة كومة البربرية كان من خواص الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي ثم نكبه ونفاه إلى بطليوس، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٣٠ -١٣١؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٢/٤.

ومشوا في جملة المجاهدين))[1].

استمرت الجيوش الموحدية بالتقدم نحو مدينة شنترين بعد أن غادرت بطليوس ، ووصلت إلى الناحية اليسرى من نهر تاجة ، وتمكنوا من العبور بقيادة السيد أبي إسحاق والي إشبيلية ، ووصلوا إلى مشارف مدينة شنترين ، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله : ((ورحل يوم الخميس العاشر لربيع الأول من بطليوس ولما وصل إلى وادي تاجة أمر أمير المؤمنين أن يتقدموا حتى يقفوا على باب شنترين ونهض معهم السيد أبو إسحاق الوالي على إشبيلية حتى وقفوا على باب شنترين يوم الأربعاء السادس عشر لربيع الأول إلى وقت الظهر ولم يشتعل أحد بقتال ولا رمي بنبال إنما كان الغرض في رؤية أسوارها وفهم حال كفارها ونزل أمير المؤمنين بجميع عساكره بالجبل المطل على شنترين القريب إليها وأمر العساكر أن يبرزوا على الكفار فتأهبوا للتبريز والمجالدة والدفاع ثم وقفوا على بابها والكفار أهلها قد انجحروا داخلها بجموعهم وحشودهم وقد ملئت قلوبهم ذعراً وحسرة وأمير المؤمنين يأمر الناس بالتكبير والتهليل ، ...))[2].

كما تحدث المراكشي عن تلك الحشود حول شنترين بقوله: ((... ، ثم خرج يقصد مدينة شنترين -أعادها الله للمسلمين- وهذه المدينة - أعني شنترين- بمغرب الأندلس ، وهي من أمنع المدائن ،... ، حتى نزل عليها ، فضايقها وأخذ في قطع ثمارها وإفساد زروعها وشن الغارات على

---

١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٥٩ -١٦٠.

٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٠.

نواحيها ، وكان ابن الريق -لعنه الله- حين سمع بحركة أبي يعقوب إليه وصح عنده أنه يقصده ، نظر في أمره ، فلم ير له طاقة بدفاعه ولا نهضة لمقاومته ، فلم يكن له هم إلا أن جمع وجوه دولته وأعيان جنده وذوي الغناء من قواده وسائر أتباعه ، ودخل بهم مدينة شنترين ، واثقًا بحصانتها وشدة منعتها ، هذا بعد أن ملأها أقواتًا وسلاحًا وجميع ما يحتاج إليه ، وجلل أسوارها مقاتلة معهم الدَّرَق والقسي والحراب ، إلى غير ذلك مما يحتاج إليه))[1]

ويبدو أن عدد القوات الإسلامية وحشودها كانت كبيرة جداً ، وهو ما أشار إليه الحميري بقوله: ((وكان يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب اجتاز عليها في حركته الأندلسية بعسكره وهو أربعون ألفاً من أنجاد العرب الفرسان ، ومن الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الأندلس وأجنادها ما ينيف على مائة ألف فارس ،...))[2] ، وأشارت الرواية النصرانية أن ما حشده أبو يعقوب يوسف من الجيوش تفوق في الكثرة أي جيش آخر ، وهو أعظم جيش قاده المسلمون إلى الأندلس منذ عهد طارق بن زياد[3].

وبعد أن وصلت القوات الموحدية إلى ظاهر مدينة شنترين أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بمحاصرتها ، وفعلاً تم ذلك ، وضربوا حولها الحصار ، إلا أن النصارى تحصنوا بها واستعدوا للدفاع عنها ،

---

١) المعجب، ١٨٢.

٢) الروض المعطار، ص ٣٤٦.

٣) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٧٢/٢.

وهو ما أكده المراكشي بقوله: ((فبالغ أبو يعقوب في التضييق عليها وانتساف معايشها وقطع المواد والمدد عنها ، فما زاد ذلك أهلها إلا صرامة وشدة وجَلَداً ، ...))[1].

كما علق ابن أبي زرع على ذلك بقوله: ((... ، فنزل بها وأدار عليها الجيوش والعساكر وشدّ عليها بالقتال وضيق عليها بالحصار ، وبالغ في ذلك جهده ، فأقام محاصراً لها مضيقاً عليها ، ...))[2] ، وذكر ابن الأثير أن حصار مدينة شنترين استمر مدة شهر[3] ، في حين أشار عنان نقلاً عن الرواية النصرانية أن الحصار لم يدم سوى عدة أيام[4].

ومن أجل منع المسلمين من دخول المدينة قام النصارى بوضع حواجز لكي يستطيعون الاعتصام بها ، والدفاع منها ، إلا أن الموحدين تمكنوا من اقتحام الربض وهدموا أحياءه المتصلة بالسور وهدموا الكنيستين اللتين به ، وقتل كثير من المدافعين عنه ، وارتد الباقون إلى القصبة ، واعتقد القادة الموحدون أن السبيل ممهد لاقتحام المدينة والسيطرة عليها ، وأعدت بالفعل السلالم اللازمة لاقتحام الأسوار ، وفي يوم الجمعة١٩ ربيع الأول ، هاجم الموحدون الأسوار ، واشتبكوا مع قوة من النصارى خرجت لقتالهم فهزموها وردوها صوب القصبة ، وفي صبيحة اليوم التالي -السبت- تجدد

---

١) المعجب، ص ١٨٢.
٢) الأنيس المطرب، ص ٢١٤؛ ينظر أيضاً : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٦٩.
٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٧٩.
٤) دولة الإسلام في الأندلس، ٤/١٢٤.

القتال بين الموحدين وبين النصارى ، واستمر القتال بين الفريقين حتى يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول ، ونشبت بينهما خلال ذلك عدة معارك عنيفة[1].

وقد علق ابن عذاري على هذه الأحداث بقوله: ((... ، وهدم ربضهم المتصل بالسور وأوقدت النيران فيه ، وطمع الناس في دخول المدينة وأمر النجارين بعمل السلاليم وبات الناس أحسن مبيت في ليلة الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول ، ولما صلى الناس الصبح يوم الجمعة المذكور أمر الناس بالتأهب لقتال الكفار في الأسوار فتقاتلوا حيناً حتى تمكنوا من الربض المذكور ، ومن خرج من جيش النصارى هزم حتى كانوا يترجلون عن خيولهم ويطلعهم إخوانهم بالحبال من أعلى سور القصبة وعاين الكفار في هذا اليوم ما أذهلهم وهالهم ، وقرت أعين الإسلام بما نالهم ، وهدمت الكنيستان اللتان بالمدينة البرانية وخربت دورها وأقفر معمورها ،... ، وبات الناس ليلة السبت على الحالة المرغوبة ، من الأمل في فتح شنترين خربها الله ، وفي صبيحة السبت تأهب الناس للقتال ودام القتال بينهم إلى يوم الاثنين الحادي والعشرين لربيع الأول فكانت بين المسلمين والنصارى حروب وخطوب ،...))[2].

كما أشارت الرواية النصرانية إلى هذه الأحداث ، فمنها من وافقت الرواية الإسلامية واقتربت منها ، ومنها من ابتعدت عنها في

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٢/٤.

٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦١.

تفاصيلها ، فالرواية التي اقتربت من الرواية الإسلامية تقول : إن المعارك لبثت تضطرم بين النصارى والموحدين في الربض الخارجي للمدينة خمسة أيام ، وأن الموحدين بالرغم من خسائرهم لبثوا يجددون هجماتهم ، حتى حطمت سائر الحواجز والتحصينات بالربض ، وأضحى الموقف مستحيلاً ، واضطر النصارى إلى اللجوء إلى ناحية القصبة[1].

أما الرواية النصرانية الأخرى فقد ابتعدت عن ذلك وقدمت مزاعم لا يستطيع أن يسيغها العقل ، إذ بينت أن الموحدين وصلوا إلى شنترين في يوم القديس خوان ، أي في يوم٢٤ يونيه ، وحاصروها ، وأنهم بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال من القتال المستمر ، نجحوا في اقتحام المدينة من ثلمة أحدثوها ، ولكن وصل في اليوم التالي أسقف بورتو وابن الملك وقتلوا من الموحدين خمسة عشر ألفاً ، وسدوا تلك الثلمة بجثثهم ، وفي اليوم الذي يليه وصل أسقف شنت ياقب ومعه عشرون ألف مقاتل ، وفي الفجر قتلوا ثلاثين ألفاً من الموحدين[2].

إلا أن المواجهات العسكرية بين الطرفين –الإسلامي والنصراني– لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما توقف القتال في اليوم نفسه ، وهو يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة٥٨٠هـ/١١٨٤م ويشكل مفاجيء وبأمر من الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف ، إذ أمر الأخير بالتوقف عن الاستمرار بالقتال ، كما أمر الجيش الإسلامي بالتحرك

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٢/٤.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٢/٤

من موضع نزوله إلى موضع آخر ، أو من شرقي مدينة شنترين إلى غربها وشمالها ، وهو ما أكده ابن عذاري بقوله: ((... ، فأمر الخليفة في هذا اليوم أن يرفع الناس أيديهم عن القتال وكان قد أمرهم أن يرحلوا من منزلهم وينزلوا في منزل آخر ، ...))[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، لماذا انسحبت القوات الإسلامية من مدينة شنترين وبأمر من الخليفة الموحدي بعد أن حققت انتصاراً كبيراً على النصارى وأجبرهم على الاعتصام بداخل قلعتها ، وكادت على وشك فتح المدينة والسيطرة عليها؟.

لم توضح الرواية الإسلامية أي تعليل أو شرح لهذا الارتداد المفاجئ للجيش الموحدي الكبير الذي كان محاصراً لمدينة مرهقة بعد أن سقطت أرباضها وأنهكتها المعارك المستمرة ولجأت حاميتها في النهاية إلى قصبتها ، إلا أن جميع القادة والمقاتلين أصيبوا بالذهول لهذا القرار المفاجئ وغير الحكيم ، فقد نقل ابن عذاري عن ابن أبي صاحب الصلاة الذي كان مرافقاً للحملة قوله: ((... ، فتعجب الناس من هذا الرأي في الانتقال والارتحال ، وتعطلت في النفوس جميع الآمال ، وظهر الخلل في جميع الأحوال ، ... ، وحدث في هذا اليوم على عسكر أهل مرسية حدث مروع ، وذلك أنهم خرجوا للإغارة في بسائط النصارى ، فخرجوا عليهم وهزموهم بعد حروب شديدة ووصلوا للمحلة مهزومين مفلولين فأخذت من دواب المسلمين خمسين دابة خرجت برسم العلف وبات الناس في

---

١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦١.

المحلة على حذر ، ومن الوجل في ألم وضرر))[1].

كما تحدث مؤرخ موحدي آخر عن سبب نكوص الخليفة وضجر الجيش من ذلك ، وهو القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمر كان مرافقاً للحملة بقوله: ((فلما استراثت من جهاتها الأنباء ، وطال لغير طائل الثواء ، عزم أمير المؤمنين على الارتحال ، وترويح الجيوش والنفوس من السآمة والكلال ، فأمر بالرحيل ليلاً ،...))[2].

كما أشار المراكشي الذي يعد من مؤرخي الموحدين إلى انسحاب الجيش الموحدي برواية يمكنها أن تبدد بعض الغموض حول الانسحاب بقوله: ((... ، فخاف المسلمون هجوم البرد – وكان في آخر فصل الخريف– وخافوا أن يعظم النهر فلا يستطيعوا عبوره وينقطع عنهم المدد ، فأشاروا على أمير المؤمنين بالرجوع إلى إشبيلية ، فإذا كان وجه الزمان عادوا إليها أو بعث من يتسلمها ، وصوروا له أنها في يده ، لا يمنعه منها مانع ، فقبل ذلك منهم ووافقهم عليه ، وقال: نحن راحلون غدًا إن شاء الله ، ولم ينتشر هذا القول كل الانتشار ، لأنه كان قاله في مجلس الخاصة ، فكان أول من قوض خباءه وأظهر الأخذ في أهبة الرحيل ، أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالرحمن المعروف عندهم بـ المالقي– وكان أبو الحسن هذا خطيبهم ومعتبرًا عندهم ، يدعى خطيب الخلافة ، وكان له حظ جيد من الفقه ومعرفة الحديث ، وقسم وافر من قرض الشعر وصناعة الكتابة ، فلما رآه الناس قوض خباءه

---

١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦١ -١٦٢.
٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٣.

قوضوا أخبيتهم ثقة به ، لمكانه من الدولة ومعرفته بأخبارها ، فعبر في تلك العشية أكثر العسكر النهر يريدون التقدم خشية الزحام وحرصًا على أخذ جيد المواضع واختيار المنازل ، ولم يبق إلا من كان بقرب خباء أمير المؤمنين ، وبات الناس يعبرون الليل كله وأمير المؤمنين لا علم له ذلك ...))[1].

كما فسر ابن أبي زرع رواية أخرى حول انسحاب الجيش الموحدي من مدينة شنترين قبل فتحها بقوله: ((... ، فانتقل من موضع نزوله بجوف شنترين إلى غربيها ، فأنكر المسلمون ذلك ولم يعلموا له سبباً ، فلما جنّ الليل وصلا العشاء الأخيرة بعث إلى ولده السيد أبي إسحاق والي إشبيلية فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة إلى غزو مدينة لشبونة وشن الغارات على أنحائها وأن يسير إليها بجيوش الأندلس خاصة ويكون رحيله نهاراً ، فأساء الفهم وظن أنه أمره بالرحيل في جوف الليل ، وصرخ الشيطان في محلات المسلمين أن أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هاذه الليلة فتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ، فرحل من الناس طائفة بالليل ، فلما كان قرب الفجر ، أقلع السيد أبو إسحاق وأقلع من كان يليه وتابع الناس بالرحيل ، فارتحلوا وأمير المؤمنين مقيم بمكانه لا علم عنده بذلك ، ...))[2].

أما الرواية النصرانية حول انسحاب الجيش الموحدي ، فيبدو أنها أكثر وضوحاً واتفاقاً مع الأحداث ، إذ ذهبت معطياتها بأن الموحدين

---

١) المعجب، ص ١٨٢ -١٨٣.

٢) الأنيس المطرب، ص ٢١٤.

بعد أن اشتبكوا مع البرتغاليين في ربض مدينة شنترين وسلسلة من المعارك الطاحنة استمرت بضعة أيام ، واستولوا خلالها على أرض الربض وحطموا تحصيناته الخارجية ، أدركوا أن المدينة من المناعة ، وأن المدافعين عنها من الاستعداد والكثرة ، بحيث يتعذر اقتحامها ، ولابد لأخذها من الاعتماد على حصار طويل صارم ، وفي أثناء ذلك وقع حادث كان له فيما يبدو تأثير حاسم في تطور الموقف ، ذلك هو مقدم فرناندو الثاني(٥٥٢-٥٨٤هـ/١١٥٧-١١٨٨م) ملك ليون وقواته ، وكان فيما سبق عندما تحرك الجيش الموحدي من إشبيلية صوب بطليوس ، كان فرناندو الثاني يحاصر مدينة قاصرش الواقعة شمال شرقي بطليوس محاولاً الاستيلاء عليها ، فلما وقف على حركة الجيش الموحدي ، رفع الحصار عن قاصرش ، وارتد إلى قاعدته القريبة مدينة ردريجو ، ولما تعينت وجهة الجيش الموحدي بالسير إلى شنترين وحصارها ، سار فرناندو في قواته صوب ميدان المعركة لإنجاد المدينة المحصورة ، وذلك تنفيذاً للعهد الذي قطعه على نفسه بقتال الموحدين ، كما تقول الرواية النصرانية أيضاً إن الفونسو ملك البرتغال كان متوجساً في البداية من مقدم فرناندو وجيشه ، فلما علم أنه قادم لإنجاده وإنجاد إخوانه النصارى ، اطمأنت نفسه وأيقن بالخلاص))[1].

ويميل أشباخ في تعليله انسحاب الجيش الموحدي إلى رواية ابن أبي زرع إلا أنه أضاف عليها بعض التفاصيل إذ ذكر أن الخليفة الموحدي كان مستبداً برأيه ولم يعر اهتماماً لرأي قادته بل عليهم أن ينفذوا ما

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٥/٤.

يقوله ، فعلى الرغم من اعتراض القادة على خطته إلا أنه أصر على رأيه فأمر ابنه أبو إسحاق والي إشبيلية أن يسير بقوات أهل الأندلس في اليوم التالي ليهاجم لشبونة وذلك لكي يحمي الهجوم على قلعة شنترين من التعرض للمفاجئة من هذه الناحية ، فوقع سوء فهم ، ذلك أن أبا إسحاق سار في الليل بدلاً من أن يسير في الصباح ، وبدلاً من أن يسير في اتجاه لشبونة عاد فعبر نهر تاجة وسار بقوات الأندلس باتجاه إشبيلية ، وما كان هذا النبأ يذاع بين بقية الجيش حتى انتشر الاضطراب والروع في جميع المعسكر الإسلامي ، وتفاقم الأمر حينما زحف سانشو بن ملك البرتغال على شنترين ليلاً في جيش يبلغ خمسة عشر ألف مقاتل وفي تلك الأثناء كان أبو يعقوب يوسف قد شرع بتنفيذ خطته لمهاجمة مدينة الكوبازة ، وأمر بذبح جميع الأسرى النصارى الذين كانوا في معسكره وكان عددهم عشرة آلاف ، لكي لا تعوقه حراستهم ، بيد أنه حينما تحول بمعسكره إلى المواقع الجديدة القى نفسه إمام الجيش البرتغالي وجهاً لوجه ، وكان تغيير مواقع العسكر الذي أمر به أبو يعقوب وحده دون قواده ، ووجود الجيش البرتغالي في مركز يهدد المسلمين ، ومسير القوات الأندلسية وغيرها إلى ما وراء نهر التاجة ، وهو ما بدا كأنه حركة انشقاق ، وأخيراً ذيوع نبأ ما لبث أن تأيد بمقدم جيش آخر من النصارى أعظم من سابقه ، كل هذه الأمور بثت في معسكر المسلمين نوعاً من الرعب العام ، ترتب عليه أن غدت أوامر الخليفة لا قيمة لها ، وفي صباح اليوم التالي وصل جيش من النصارى يبلغ عشرين ألف بقيادة أسقف شنت ياقب ،

وانضم إليه الجيش البرتغالي الذي يقوده ولي العهد سانشو ، وبادرت النصارى بمهاجمة الموحدين وهم في اضطرابهم واختلال نظامهم ، وعاونت حامية قلعة شنترين مواطنيها بالخروج من القلعة ومهاجمة المسلمين[1].

إن تطور الأحداث على هذا النحو ، وهو الذي دعا الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف على اتخاذ قراره الفجائي بالانسحاب ، وذلك خشية أن يعمل نصارى مملكة ليون على إعاقة عبور النهر إلى الضفة اليسرى ، لاسيما بعد أن اقتنع بصعوبة الاستيلاء على شنترين[2].

كما أن الخليفة الموحدي ومعاونيه أرادوا أن يكون الانسحاب وفق خطة منظمة مدروسة كي لا تؤدي إلى أي اضطراب في الجيش المنسحب ، وهذا ما وضحه القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمر المرافق للجيش بقوله: ((... ، وقد كان ثقات الخليفة تطوفوا أول الليل على الرؤوس والجموع ، وأوعزوا إليهم ترتيب التحرك وكيفية القلوع ، وأن يكون كل قبيل من جهتهم ثابتين مرصدين حتى ترحل الحمولة والأثقال ، وتتخلص إلى السعة من المضايق والأوحال ، ...))[3].

إلا أن الذي حدث كان عكس ذلك ، إذ حدثت الفوضى والإرباك في الجيش الموحدي المنسحب ، فقد أشار القاضي أبو الحجاج الذي

---

١) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٢/٧٣ -٧٤.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/١٢٥ -١٢٦.

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٣.

كان شاهد عيان إلى ذلك بقوله: ((... ، فاضطرب إقلاع الناس اضطراباً شنيعاً وكثر الضجيج واختلاط الأصوات وتهولت المحلات وأخذ العموم على شتى المسالك فلا ترى سميعاً ولا مطيعاً ، ...))[1] ، ولعل هذه الفوضى التي حدثت في الجيش الموحدي متأتية من المفاجئة في قرار الانسحاب لاسيما بعد أدركوا أن النصر قريب منهم ، فضلاً أن الكثير منهم لم تصله نبأ الحشود النصرانية مما جعل التوجس من المجهول أكبر.

ويبدو أن نصارى مدينة شنترين استغلوا هذه الأوضاع والإرباك الحاصل في الجيش الموحدي المنسحب ، بادروا بالخروج من المدينة ، وهجموا على القوات المنسحبة ، وأدركوا ساقة الخليفة ، وتمكنوا من قتل العديد من أكابر الموحدين ، ووصل النصارى إلى مقر الخليفة الذي جرح في المعركة ، إذ أصابه بعضهم بجراح خطيرة ، وبعد انتهاء المعركة أمر الخليفة الجريح وهو ملزم فراشه برجوع كل جندي إلى قبيلته ، وأمر بتخريب الوادي وانتساف زروعه ، وبعد أيام عدة توفي الخليفة على إثر الجراح التي أصيب بها في السنة نفسها أي سنة ٥٨٠هـ/١١٤٨م ، وهذا ما تحدث به القاضي أبي الحجاج يوسف بن عمر وكان مرافقاً للجيش المنسب بقوله: ((وحضرت يوم الإقلاع وليله ، فما رأيته في تاريخ قبله ، ولا يحضر واصف هوله ، ولما عرف الخليفة بدنو الروم من ساقته وباجترائهم على الافتراس بأكناف ساحته ، أمر بضرب الطبول واشراع الألوية في النصول فأقبلوا لأصوات

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٣.

الطبول مهطعين ، ودفع من كان بجناحي الساقة على من وجدوا من الروم منبسطين ، وغادروهم في مصارعهم مجدلين ، وحان لهم شر يوم ما ظنوا أنه يحين ، وأخذ ثأر الشهداء في الحين ، ونزل أمير المؤمنين بعدوة الوادي ، وقد بدت من جرحه البوادي ، وأمر بتفرق الجموع ورجوع كل واحد منهم إلى قبيلته من العموم ، واستقبل موسطة البلاد وأباح فيها مبالغة الفساد ، وأمر بتخريب ما وجد من المباني وتغوير المياه واستيصال الأشجار وانتهاب الزروع وتحريق كل ما يمكن تغييره وإزالة عينه بالنار ، وتمادى المشي على هذا النحو إلى حصن طرش فأقام بذروة جبله وأمر بشن الغارات عليه وتقسيم السرايا على الجنبات إلى جلب الأقوات وأمر السيد أبا زيد بن الأخ أبي حفص على معظم البعوث فاستاق من الغنائم ما وقف العجز عن سوقها ووصلوا والخليفة ملتزم الفراش وكان له أيام لم يخرج لأحد ، ثم أمر بالرحيل وخرج على مطيته مضطجعاً على فراشه وتمادى القفول وضعفه يتزايد والأطباء حاضرون ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم ملازمون له حتى حازوا وادي تاجة وضعف عن الجلوس على الدابة فصنع له سرير ورواق عليه يحجبه من الهواء والخدمة مطيفون به يتفقدون فيما يحتاج إليه من صلاح شأنه ، فذكر أنه تفقد بعد أميال فوجد قد توفي رحمه الله وذلك في الثامن عشر لربيع الأول من سنة ثمانين وخمس ماية))[1].

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٤.

كما أشار المراكشي إلى هذه الأحداث بقوله: ((... ، فلما رأى الروم عبور العساكر وبلغهم من جهة عيونهم الذين بالعسكر ما عزم عليه أبو يعقوب والمسلمون من الرحيل ، ورأوا انفضاض الأجناد وافتراق أكثر الجموع ، خرجوا منتهزين للفرصة التي أمكنتهم ، في خيل كثيفة ، فحملوا على من يليهم من الناس ، فانهزموا أمامهم ، حتى بلغوا الخباء الذي فيه أمير المؤمنين أبو يعقوب ، فقتل على باب الخباء من أعيان الجند خلق كثير ، أكثرهم من أعيان الأندلس ، وخُلص إلى أبي يعقوب فطعن تحت سرته طعنة ، مات منها بعد أيام يسيرة))[1].

كما تحث ابن أبي زرع برواية أخرى حول الانسحاب ومقتل الخليفة مختلة بعض الشيء في تفاصيلها ، إذ قال: ((... ، وتطلع النصارا المحصورون من سور المدينة على المحلة وقد أقلعت وارتحلت ولم يبق حول المدينة غير أمير المؤمنين وعبيده وحشمه وأهل دائرته وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحوا أبواب المدينة وخرج جميع من فيها خرجة منكرة وهم ينادون الراي؟ الرأي ، أي اقصدوا السلطان ، فضربوا في محلة العبيد إلى أن وصلوا أخبية أمير المؤمنين فمزقوها واقتحموا عليه فيها ، فقاتلهم بسيفه حتى قتل من رجاله ستة رجال وطعنوه طعنات نافذات ، وقتل ثلاث من جواريه كن قد انصببن عليه حتى طعن ووقع بالأرض ، فتصايح الناس والفرسان والعبيد والأجناد والموحدون وقواد الأندلس وتراجع المسلمون فقاتلوهم عليه حتى أقلعوهم عن الخباء بالسيف ، واشتد القتال بينهم وتواقفوا ساعة في قتال

---

١) المعجب، ص ١٨٣.

شديد ، ثم انهزم أعداء الله ومنح الله عز وجل المسلمين أكتافهم ، فركبوهم بالسيف حتى أدخلوهم المدينة عنوة ، وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف ، واستشهد من المسلمين جماعة ، فركب أمير المؤمنين والأمر قد فات فيه ، وارتحل الناس لا يدرون إلى أين ، ثم اهتدوا بالطبول فساروا إلى إشبيلية ، فاشتد به آلامه وطعناته فمات بالطريق ، وكانت وفاته يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمائة ، ...))[1].

وقد علق عنان عن فشل حملة مدينة شنترين وأرجعها إلى عدة أسباب ، كما شبهها بغزوة مدينة وبذة Huete[2] السابقة لها بقوله: ولقد كان انسحاب الجيش الموحدي من أمام أسوار شنترين نكبة مؤلمة ، تفوق في نتائجها الخطيرة المروعة ، نكبة انسحابه من وبذة قبل ذلك باثنى عشر عاماً ، ونستطيع هنا أن نستشف نفس الأسباب ، ونفس وجوه الضعف التي انتابت الجيش الموحدي ، وعصفت بتماسكه ونظامه ، وجعلته بالرغم من ضخامته ، ووفرة استعداده وعدته ، أشبه بكتلة بشرية مفككة ، لا تجمعها أية قيادة حازمة ، ولا هدف مشترك ، وفتت في قواه المعنوية ، فانهارت لديه فكرة الجهاد التي حشد من

---

١) الأنيس المطرب، ص ٢١٥.

٢) حدثت غزوة مدينة وبذة سنة ٥٦٨ هـ/١١٧٢ م التي فشل فيها الخليفة الموحدي أبو يعقوب في تحقيق أهدافه فيها، ينظر التفاصيل : ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٢٣ -٥٤٤؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٨٧؛ المراكشي، المعجب، ص ١٧٧ -١٧٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣١٨/١٥؛ الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم (٥)، ص ١٩٣ -٢٠٧.

أجلها ، وأضحت كل طائفة من طوائفه تبحث فقط عن سلامتها ، وترقب أول فرصة للانسحاب ، ومن الواضح أيضاً أن استئثار الخليفة بتوجيه حركات جيشه دون الاعتماد على رأي قواده ، كان له أكبر الأثر فيما حدث من سوء فهم للأوامر الصادرة ، بل ربما نستطيع أن نستشف من ذلك أثر الانشقاق وعصيان الأوامر الصادرة من الخليفة دون دراسة ودون تدبر ، وقد كان منها الأمر بنقل مواقع الجيش الموحدي من شرقي وجنوب شنترين إلى الشمال والغرب ، وهو أمر عارضه القواد الموحدون ، لأنه يضع الجيش الموحدي في مواقع تعرضه لخطر التطويق ، ثم أمر الانسحاب المفاجىء الذي استأثر الخليفة بإصداره ، فكان نذيراً بكارثة الانسحاب المروع ، وما اقترن به من شنيع الاضطراب والفوضى ، وما انتهى الأمر إليه من فقد الاتصال بين الفرق المنسحبة ، وبين حرس الخليفة وخاصته ، وكانت النكبة المروعة ، باقتحام محلة الخليفة وإصابته القاضية ، أضف إلى ذلك كله ما كان يعانيه الجيش الموحدي من نقص في تمويناته ، حتى اضطر حين الانسحاب أن يبحث عن أقواته بشن الغارات على الأراضي التي يخترقها خلال مسيره ، وقد أثبت الخليفة أبو يعقوب وقواده بذلك كله ، أنهم لم يتعلموا شيئاً من دروس حملة وبذة ، ولم يحاولوا إصلاح جيوشهم ، على ضوء ما تبين من وجوه النقص فيها ، واستمر اعتمادهم في حشدها على التفوق العددي دون سواه[1].

---

١) دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٩/٤ -١٣٠؛ وينظر أيضاً : العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ١٩٢ -١٩٣.

أما أشباخ فقد عزا الانسحاب إلى خيانة وقعت في الجيش هدفها تسليم الخليفة إلى أعدائه إذ قال: لما كان قسم كبير من قوى الموحدين ، قد عبر نهر التاجة ، فإنه لم يبق لدى أبي يعقوب سوى حرسه وقليل من القوات الأخرى ، وقوافل العتاد والمتاع ، لم تستطع لحاقاً بباقي الصفوف لسرعتها ، ورأى زعيم الموحدين وهو يضطرم سخطاً ، أنه وقع ضحية الخيانة وأسلم إلى الأعداء ، لكنه لم يرد أن يركن إلى الفرار شأن الجبان ، وهكذا نشبت الموقعة وهجم النصارى على معسكر الموحدين وهم يصيحون إليهم ، إليهم ، إليه ، أي أين هو؟ ثم نفذوا إلى خيام الحرس وقتلوا رجاله جميعاً ، ووثبوا إلى خيمة الأمير ، ومزقوا كل ما حوت من الستور ولبسط والفراش ، وقتلوا بعضاً من جواريه أشنع قتل ، أما أبو يوسف فقد وثب إلى فرسه ، وأسقط منه ثلاث مرات ، وهو يقاتل بسيفه ستة من الفرسان النصارى ، وأخيراً طعنه أحدهم بسيفه طعنة نافذة فسقط إلى الأرض مضرجاً بدمائه[1].

مما تقدم يمكن أن نجمل فشل حملة شنترين إلى أسباب عدة منها:

١- إن استبداد الخليفة برأيه في وضع خطة الهجوم دون الأخذ برأي القادة الآخرين جعله يقع في أخطاء عسكرية جاءت نتائجها في غير صالحه.

٢- لا نستبعد سخط القادة عليه دفعهم إلى الانسحاب على غير نظام وهو واضح من الفوضى التي حلت بالجيش الإسلامي الكبير

---

١) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٧٤/٢.

عندما أعطيت لهم أوامر الانسحاب.

٣- قد لا يخلوا الانسحاب المفاجئ من مؤامرة وإلا بماذا نفسر السرعة في الحركة دون التحقق من حركة الخليفة وهو القائد العام للجيش.

٤- مما يثير الشكوك أيضاً إخفاء موت الخليفة طول الطريق إلى إشبيلية من قبل ابنه أبي يوسف يعقوب حتى حضور بقية إخوته وأكابر الموحدين فأخذوا البيعة له.

٥- ونحن لا تنفق مع رواية ابن أبي زرع من أن ابن الخليفة أبو إسحاق أساء فهم أوامر أبيه بالحركة نحو لشبونة فعبر النهر ورحل نحو إشبيلية ، إذ أن هذه الرواية لا يقبلها العقل في مثل تلك المواقف المصيرية.

٦- كما أن تبرير قرار الانسحاب خوف هجوم البرد كما في رواية المراكشي غير مبررة أيضاً كون الهجوم على شنترين كان في ربيع أول الصيف وليس آخره.

٧- كما لا نتفق مع ما نقله ابن عذاري عن أحد المقربين من الخليفة أنه ((لما استراثت من جهاتها الأنباء ، وطال لغير طائل الثواء ، عزم أمير المؤمنين على الارتحال ، وترويح الجيوش والنفوس من السآمة والكلال))[1] ، ونرى العكس من ذلك فإن المسلمين كانوا تواقين لمواصلة القتال لما حققوه من تقدم وحصر النصارى في قلعة المدينة ، كما أن حصارهم لمدينة شنترين لم يدم سوى خمسة أيام بين يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول ويوم الاثنين ٢١ ربيع الأول إذ قرر الخليفة الانسحاب ، وهذه المدة قصيرة بالقياس إلى حصار المدن آنذاك.

---

١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٣.

٨- إن ما يرجح وجود خيانة في صفوف الموحدين هو ما ذكره المراكشي عن شخصية أبي الحسن علي بن عبد الرحمن المالقي الذي وصفه المراكشي بأنه كان خطيب الموحدين ومعتبر عندهم وكان يدعى خطيب الخلافة والناس يرونه أنه من المقربين من أصحاب القرار لاسيما الخليفة ، فكان المالقي أول من قوّض خباءه وارتحل فلما رأوه الناس لم يشكوا بشيء لقربه من الخليفة ، ويضيف المراكشي أن الخليفة الموحدي حقق في أمر الانسحاب فأخبروه بما صنع المالقي فتوعده بالعقوبة فلما علم بذلك هرب المالقي والتحق بمعسكر النصارى فأكرمه الملك النصراني وقربه ، ثم إن المالقي ندم على فعلته وأراد أن يتقرب إلى الموحدين فأسل كتاباً يدلهم فيه على عورات مدينة شنترين ويحثهم بالرجوع إليها وأوهم الملك النصراني أنه يريد أن يرسل كتاباً إلى أهله يعلمهم بسلامته وإكرام الملك له إلا أن الملك النصراني اطلع على حقيقة الأمر عن طريق أحد عيونه فألقى القبض على المالقي وأحرقه[1].

٩- إن رواية المراكشي عن الخطيب المالقي تدفع كل ما ورد من تأويلات عن قرار الانسحاب ، وأن خيانة المالقي كانت السبب الرئيس وراء الهزيمة التي حلت بالجيش الموحدي أمام مدينة شنترين ، وصرح الدواداري عن ذلك بقوله: ((وفيها عدى أبو يعقوب بن عبد المؤمن ملك المغرب إلى جزيرة الأندلس ، فنزل على شنترين يحاصرها ، وكان عدة عسكره مائتي ألف وستين ألف ،

---

١) المعجب، ص ١٩٠ -١٩١؛ ينظر أيضاً : الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٢٣/٤٠.

فخامر عليه وزيره ابن المالقى ، فرحل عنها ، ولم يبلغ أربا منها))[1].

إن خسارة المسلمين لمعركة شنترين سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤ م ، وما أظهرته هذه المعركة من عجز الجيوش الموحدية واختلال نظامها شجع أطماع ملك البرتغال الفونسو هنريكيز في انتزاع ما تبقى من مدن الغرب الأندلسي ، إلا أن وفاته سنة٥٨١هـ/١١٨٥م حالت دون تحقيق ذلك ، فتولى ابنه سانشو الأول Sancho I(٥٨١-٦٠٩هـ/١١٨٥-١٢١٢م) تولى مهمة ذلك ، فأخذ الملك البرتغالي الجديد منذ توليه على إصلاح الحصون التي خربتها الحرب وتعميرها بالسكان ، وبعدها أخذ يعد العدة من أجل استئناف هجماته على مناطق غرب الأندلس ، وكانت الظروف مهيأة له بالإمدادات العسكرية خلال تلك المدة ، وهي الإمدادات الصليبية التي كانت تتجه نحو المشرق من ناحية المحيط الأطلسي[2].

وخلال مدة حكم ملك البرتغال سانشو الأول قاد الخليفة المنصور الموحدي(٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) حملة عسكرية لمناطق غرب الأندلس الخاضعة للنصارى لاسيما مدينة شنترين ولشبونة وذلك في سنة٥٨٥هـ/١١٨٩م إلا أنها كما يبدو جاءت كرد فعل على هزيمة الموحدين إمام شنترين ، وقد أشار ابن أبي زرع إليها بقوله: ((وفيها تحرك إلى الأندلس برسم غزو بلاد غربها ، وهي أول غزو للروم ، فجاز إليها من قصر المجاز إلى الجزيرة الخضراء ، وذلك يوم

---

١) كنز الدرر وجامع الغرر، ٧٤/٧.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٧٠/٤.

الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة ، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الاشبونة وأنحائها ، فقطع الثمار وقتل وسبا وأضرم النيران في القرا وحرق الزرع وبالغ في النكاية ، وانصرف إلى العدوة بثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية ، ...))[1] ، وواضح أن هذه الغزوة كانت عبارة عن استعراض للقوة وانتقامية إلا أنها لم تكن لها نتائج ملموسة على الأرض في الغرب الأندلسي ، وأشار أشباخ أنها جاءت كرد فعل على هزيمتهم السابقة أمام شنترين ومقتل والده[2].

أما الجانب النصراني فكان أكثر استغلالا للوقت وانتهازاً للفرص ، ففي السنة نفسها ، أي سنة٥٨٥هـ/١١٨٩م ، وصل أسطول صليبي كبير يتكون من خمسين سفينة ، يحمل عدداً كبيراً من الجند الألمان والفلمنك إلى مياه إسبانيا الغربية ، ورسا في مياه جليقية قبالة مدينة شنت ياقب Santiago de compostela المقدسة عند النصارى ، ونزلت منه بعض الجند لتزور قبر القديس ياقب ، وعلى ما يبدو أن أهالي المدينة توجسوا شراً من مقدم أولئك الجند ، ودخلوا معهم في مواجهة عسكرية قتل فيها عدد من الجانبين ، وعلى إثرها انسحب الجند الصليبيون إلى سفنهم ، فسارت بهم نحو الجنوب ، وفي الوقت نفسه تقدم أسطول صليبي آخر من انجلترا وبلاد الفلاندر بالقرب من مدينة لشبونة ، ثم انضمت إليه السفن القادمة من مياه جليقية ، وخلال

---

١) الأنيس المطرب، ص ٢١٨.

٢) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٧٨/٢.

تواجدهم في مياه لشبونة تلقاهم سانشو ملك البرتغال ورحب بهم ، وقد وجد في ذلك فرصة مناسبة من أجل الاستعانة بهم في غزو المناطق الأندلسية الجنوبية ، واتفق مع القادة الصليبيين على تسيير حملة عسكرية مشتركة إلى مدينة شلب ، لانتزاعها من المسلمين ، لأنهم كانوا يتخذونها قاعدة للخروج إلى شواطىء المحيط يغزونها ، وينهبون ثغورها ، ويأسرون كثيراً من النصارى ، وبالفعل استجاب إليه الصليبيون ، وتمت محاصرة المدينة والسيطرة عليها في السنة نفسها[1].

وقد أشار المراكشي إلى ذلك بقوله: ((ولما كان في سنة ٥٨٥ ، قصد بِطْرُو بن الريق–لعنه الله– مدينة شلب ، من جزيرة الأندلس ، فنزل عليها بعساكره ، وأعانه من البحر الإفرنجُ بالبُطْس والشواني ، وكان قد وجه إليهم يستدعيهم إلى أن يعينوه ، على أن يجعل لهم سبي البلد ، وله هو المدينة خاصة ، ففعلوا ذلك ، ونزلوا عليها من البر والبحر ، فملكوها وسبوا أهلها ، وملك ابن الريق –لعنه الله–البلد))[2].

كما علق ابن عذاري على استيلاء ملك البرتغال على مدينة شلب وبمساعدة حملة صليبية كانت متجهة إلى بيت المقدس بقوله: ((وفي هذه السنة كانت غلبة ابن الرنك اللعين على قاعدة شلب وإخراج أهلها ، ... ، وكان من موافقة قدرالله وصول جملة من القراقير الرومية مجتازين على عادتهم إلى بيت المقدس مذ انتزع من أهل ملتهم ،

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/١٧٠ –١٧١؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في المرابطين والموحدين، ٢/٧٩ –٨٠.

٢) المعجب، ص ١٩٩.

فيصلون أبداً في كل سنة إليه ليزيلوا عن أعناقهم بزعمهم عهداً في أديانهم ويخرجوا عن عهد شرط عليهم ونفذ إليهم من رهبانهم فعلقت الأنواء القراقير المذكورة بجهة أشبونة فألفى الكافر ابن الرنك مادة لعونة على كفره ، وجيشاً ميسراً لما دبره من ختله وعذره ، ووجد منهم قبولاً لجهاد المسلمين فأحدقوا بشلب من كل الجهات وبالغوا في حصارها إلى أن تملكوها وأخروا أهلها ، ...))[1].

ولما سمع الخليفة الموحدي المنصور بسقوط مدينة شلب عبر إلى الأندلس في جيش كبير في محرم من سنة٥٨٦هـ/١١٩٠م واتجه صوب قرطبة ووجه قسم من قواته بقيادة السيد يعقوب بن أبي حفص والي إشبيلية لمحاصرة شلب ، واتجه الجيش من هناك ، ورافقتها تحركات سفن الأسطول الموحدي أمام السواحل وضربوا حصاراً حول المدينة ، ثم خرج المنصور من قرطبة بعد أن ميّز قواته واتجه غرباً صوب أراضي البرتغال لكي يخفف ضغط النصارى على القوات الموحدية المحاصرة لمدينة شلب ، فوصل إلى ضفاف نهر التاجة شمال مدينة شنترين ، وأثخن الموحدون في تلك المنطقة فانتسفوا زروعها ، وخربوا ضياعها ، بعدها عبروا النهر وساروا لمهاجمة قلعة طرش Torrox الواقعة على مقربة من مدينة شنترين فحاصروها بشدة ، حتى عرض قائدها على التسليم بالأمان ، فوافق الخليفة المنصور وغادر القلعة من كان فيها من النصارى ، بعدها خرب الموحدون القلعة وسائر متعلقاتها ، ثم ساروا شمالاً وهاجموا مدينة طومار Tomar ، وهي من القواعد المنيعة ،

---

١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٠١ -٢٠٢.

وحاصروها ، إلا أنهم لم يستمروا طويلاً في حصارها ، إذ رفعوا الحصار عنها ، وكان الملك البرتغالي آنذاك في مدينة شنترين لا يجرؤ الخروج منها لمواجهة الموحدين[1].

إلا أن الجيش الموحدي لم يستمر طويلاً في حصار طومار ، فسرعان ما أمر الخليفة بالكف عن القتال والانسحاب إلى إشبيلية فوصلها في جماد الآخرة من سنة٥٨٦هـ/١١٩٠م[2] ، ويعلق عنان على هذه الغزوة وارتدادها دون تحقيق أي نتائج بقوله: ونستطيع أن نقول إن غزوة المنصور لأراضي البرتغال لم تسفر عن نتائج ذي شأن ، وأنها كانت بالعكس غزوة فاشلة ، فلم تؤخذ طومار ، ولم تُسترد شلب ، وهي غاية الغزو الأولى ، ونستطيع أيضاً أن نلاحظ مرة أخرى أن اختلال شئون التموين في الجيوش الموحدية ، كان دائماً في مقدمة أسباب فشلها في تحقيق أغراضها العسكرية ، على أننا نستطيع أن نلاحظ في نفس الوقت ، أن ما تذرع به المنصور من الحزم في تنظيم الارتداد في الوقت المناسب ، كان كفيلاً بسلامة الجيش الموحدي ، وعدم تعرضه لكارثة أخرى ، من طراز كارثة شنترين[3].

وعليه كانت حملة المنصور الموحدي سنة٥٨٦هـ/١١٩٠م نحو نهر تاجة هي الأخيرة التي لامست مدينة شنترين ومنطقتها ولم نعد نسمع بعد هذا التاريخ عن محاولات إسلامية للتقدم نحو تلك المناطق.

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٠٣ -٢٠٧.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٠٦.

٣) دولة الإسلام في الأندلس، ١٧٨/٤.

المبحث الرابع

الحركة الفكرية في مدينة شنترين الأندلسية

حكم المسلمون مدينة شنترين منذ فتحها سنة٩٥هـ/٧١٣م حتى سقوطها بيد النصارى سنة٥٤٢هـ/١١٤٧م أي مايقارب٤٤٧سنة ، واستوطنها العديد من القبائل العربية والبربرية ، وطيلة تلك المدة طُبِعت المدينة بالطابع العربي الإسلامي ، فظهر فيها العديد من رجال الفكر في مختلف حقول المعرفة ، ومما ساعد على ازدهار الحركة الفكرية فيها أنها كانت منطقة ثغرية مواجهة لأعداء المسلمين طيلة تلك المدة ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المرابطة فيها للجهاد ، لذا قال ابن الخطيب[1]: ((لو لم يكن لأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً))[2] ، ولما كانت مدينة شنترين هي قاصية ثغور المسلمين في غرب الأندلس

---

١) هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني القرطبي اللوشي ولد في لوشة سنة ٧١٣ هـ/١٣١٣ م ونشأ بغرناطة وتلقى علومه فيها، وخدم سلاطين بني الأحمر وخاض غمار السياسة التي كلفته حياته فقتل سنة ٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م، وله العديد من المصنفات تربو على الستين أشهرها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة وكتاب أعمال الأعلام، ينظر : المقري، نفح الطيب، ٥/٥ وما بعدها.

٢) المقري، نفح الطيب، ١٨٧/١.

لذا فقد استوطنها العديد من العلماء للمرابطة فيها ، فضلاً عن أن رسوخ قدم المسلمين هناك جعل منها حاضرة لهم طيلة تلك المدة ، فنبغ فيها العديد من العلماء في مختلف مجالات المعرفة لاسيما القراء والمحدثين والفقهاء واللغويين والأدباء ، ومما شجع على ذلك المكانة العالية التي يحتلها العالم عند الأندلسيين ، وقد أشار المقري إلى ذلك قائلاً: ((... ، والعالم عندهم معظّم من الخاصة والعامة ، يُشار إليه ويُحال عليه ، ويُنبه قدره وذكره عند الناس ، ويُكرم في جوار أو ابتياع حاجة ، وما أشبه ذلك))[1].

أما مراكز التعليم هناك فهي متعددة إلا أن أشهرها المساجد إذ لم تكن هناك مدارس خاصة بالمفهوم الحديث ، فأشار المقري إلى ذلك بالقول: ((ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميع العلوم في المساجد))[2] ، فقد كانت المساجد آنذاك مقر العلم والتعليم وهي تؤدي رسالتها في تعليم الناس معارفهم الدينية والدنيوية ، وقد اشتهر الأندلسيون في بناء المساجد في مدنهم منذ فتح البلاد ، فقد نُقل عن الرازي[3] أنه قال: ((لما افتتح المسلمون الأندلس ، استدلوا بما فعل أبو عبيدة[4]

---

١) نفح الطيب، ١/٢٢٠.

٢) نفح الطيب، ١/٢٢٠.

٣) هو أحمد بن محمد بن موسى الرازي الأندلسي مؤرخ له كتاب عن أخبار ملوك الأندلس، وآخر في صفة قرطبة وخططها، توفي سنة ٣٤٤ هـ/٩٥٥ م، ينظر : الحميدي، جذوة المقتبس، ١٠٤؛ بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص ١٠١ -١٠٤.

٤) هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري صحابي أسلم قديماً وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله (ص)، كما اشترك في فتوح الشام=

وخالد[1] -رضي الله عنهما- عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً))[2] ، فقد كان في قرطبة وحدها أيام عبد الرحمن الداخل ٤٩٠ مسجداً[3] أي بعد حوالي نصف قرن من فتحها ، والراجح أن في شنترين مساجد بناها المسلمون عند الفتح والاستقرار فيها ، وذُكر أن فيها الجامع الأعظم الذي بناه الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) ، وقد أشار مؤلف مجهول إليه بقوله: ((وبها الجامع الأعظم الذي بناه الإمام الحكم))[4] ، وكان هذا الجامع مركزها الذي تعقد فيه حلقات العلم[5].

كما كانت دور العلماء أماكن تعقد فيها حلقات العلم والتدريس ، فقد كان الفقيه أحمد بن سعيد بن كوثر الطليطلي يستقبل في بيته أربعين من تلاميذه ويهيأ لهم الفراش والطعام وأسباب الخدمة ، وقد أشار ابن بشكوال عن أحد تلامذته قوله: ((... ، وكنا نيفا على أربعين تلميذاً ، فكنا ندخل في داره في شهر نونبر ، ودجنبر ، ويبير في مجلس قد فرش بسط الصوف مبطنات ، والحيطان باللبود من كل حول ،

=وتوفي هناك سنة ١٨ هـ/٦٣٩ م، ينظر : ابن الأثير، أسد الغابة، ١٢٥/٢.

١) هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي صحابي أسلم بعد صلح الحديبية سنة ٦ هـ/٦٢٧ م، ثم اشترك في فتح مكة وحروب الردة وفتوح الشام وتوفي سنة ٢١ هـ/٦٤١ م، ينظر : ابن الأثير، أسد الغابة، ١٤٠/٢.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٩/٢.

٣) المقري، نفح الطيب، ٥٤٠/١.

٤) تاريخ الأندلس، ص ٩٩ -١٠٠.

٥) ابن الابار، التكملة، ١٣٦/٤.

ووسائد الصوف ، وفي وسطه كانون في طوله قامة الإنسان مملوءاً فحماً يأخذ دفئه كل من في المجلس ، فإذا فرغ الحديث أمسكهم جميعاً وقدمت الموائد عليها ثرائد من بلحوم الخرفان بالريفق العذب ، وأياماً ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد فتأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ، ويقدم بعد ذلك لوناً واحداً ونحن قد روينا من ذلك الطعام ، فكنا ننطلق قرب الظهر مع قصر النهار ولا نتعشى حتى نصبح إلى ذلك الطعام الثلاثة الأشهر ، فكان ذلك منه كرماً وجوداً وفخراً))[1] ، ولما اختلف الفقيه ابن كوثر مع حاكم طليطلة نفاه إلى شنترين وبقي هناك حتى مقتله[2] ، ولا يستبعد أن الفقيه ابن كوثر كان قد اتخذ بيته في شنترين يستقبل فيه تلامذته ويعقد فيه دروسه ، كما كان والي شنترين أيام الحكم المستنصر يستقبل ضيوفه من العلماء والأدباء في ديوانه[3] ، وكان المحدث عبدالله بن عبدالله الشنتريني الزاهد يستقبل رواده في داره يُسمعهم الحديث[4].

وقد ساهم العديد من الولاة والحكام في تشجيع الحركة العلمية في مناطقهم كون بعضهم كانوا من العلماء ولهم إسهاماتهم العلمية والأدبية والبعض الآخر يرى في العلماء والأدباء وسيلة للشهرة وزيادة النفوذ ، فكان بلاط بني الأفطس في بطليوس كغيرهم من حكام الطوائف في الأندلس يزخر بالعلماء والأدباء ، ونذكر بهذا الخصوص

---

١) الصلة، ص ٤١.

٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٤١/٨.

٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ٢٨٠/١.

٤) ابن الابار، التكملة، ٢٨٥/٢.

المظفر بن الأفطس(٤٣٧-٤٦١ هـ/١٠٤٥-١٠٦٨م) الذي وصفه ابن الخطيب بأنه ((كان فاضلاً عالماً ، وشجاعاً فارساً ، وله التأليف الكبير المسمى بالمظفر في نحو خمسين مجلداً))[١] ، فاستقدم أبا عمر يوسف بن عبدالبر[٢] وولاه قضاء شنترين[٣] ، وصنف فيها كتابه بهجة المجالس وأنس وأنس المجالس[٤] ، كما كان المتوكل بن الأفطس (٤٦١-٤٨٨هـ /١٠٦٨-١٠٩٥م) عالي القدر مشهور بتقريب العلماء والأدباء[٥] ، وكان قاضيه على شنترين الأديب أبو زيد بن مقانا[٦] وكان له مجلس خاص يستقبل به العلماء والأدباء[٧].

والملاحظة الجديرة بالذكر قبل استعراض أهم العلماء وإسهاماتهم هو أن العديد منهم غادر مسقط رأسه شنترين سنة٤٨٦هـ/١٠٩٣م إثر

---

١) أعمال الأعلام، ١٨١/٢.

٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، فقيه ومحدث ومؤرخ ولد بقرطبة وتجول في الأندلس ثم لحق ببلاط بني الأفطس فولاه المظفر بن الأفطس قضاء لشبونة ثم شنترين وتوفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، وله العديد من المؤلفات منها الاستيعاب في معرفة الأصحاب وجامع بيان العلم وغيرها: ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٤٠-٦٤٢؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ١٢٧/٨ -١٣٠.

٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥٨/١٨؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ٢٦٩/٢.

٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦٧/٧.

٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٢/٢.

٦) هو أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني القبذاقي من أهل قرية قبذاق قرب شنترين أحد شعراء الأندلس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ينظر : ابن بسام، الذخيرة، ٧٨٦/٤-٧٩٦؛ ابن سعيد، رايات المبرزين، ص ١٠٢-١٠٣.

٧) ابن دحية الكلبي، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٢٣؛ البونسي، كنز الكتاب ومنتخب الآداب، ٥٧٦/٢.

سقوطها الأول بيد النصارى في ذلك العام وآثر البقاء والعيش في المناطق الأندلسية الأخرى ، ومن أهم العلماء ورجالات الفكر الأندلسيين الذين انحدروا من مدينة شنترين:

أولاً : علوم القرآن والحديث

القرآن الكريم كتاب الله المنزّل على الرسول محمد ﷺ ، وهو المصدر الأول للتشريع عند المسلمين ، والملاحظة الجديرة بالذكر هنا أن عدداً لا بأس ممن أشارت إليهم المصادر من العلماء من أهل شنترين كانوا مهتمين بعلوم القرآن والحديث ، ولعل ذلك يرجع في تقديرنا إلى أنها منطقة رباط وأغلب من يرتادها المجاهدون وهم بحاجة إلى شحذ الهمم وتقوية الحماسة في مواجهة الأعداء ، ومن أشهر ممن ساهم في علوم القرآن والحديث من أهل شنترين:

- أحمد بن محمد بن عبدالرحمن القرشي ، محدث من أهل شنترين ، يكنى أبا العباس ، قال ابن عبدالملك المراكشي: روى عن شريح[1] ، ولم نجد له ترجمة غيرها ، فإذا كان المقصود شريح قاضي الكوفة في العصر الراشدي فهذا يعني أن أحمد بن محمد بن عبدالله القرشي دخل الأندلس مع الفاتحين وسكن شنترين عند فتحها.

- أحمد[2] بن محمد بن عمر بن خلف بن سعدان القيسي ،

---

١) الذيل والتكملة، ٦٢٧/١؛ وشريح هو شريح بن الحارث بن قيس بن جهم الكندي تولى قضاء الكوفة لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وتوفي سنة ٧٨ هـ/٦٩٧ م، ينظر أخباره: وكيع، أخبار القضاة، ١٨٩/٢ -٢٩١.

٢) وقيل اسمه إسماعيل ولذلك ترجم له ابن الابار مرتين وكذلك قال ابن=

يكنى أبا العباس ، من أهل شنترين ، محدث روى عن عدد من محدثي الأندلس منهم جعفر بن أحمد بن سفيان[1] ، والسهيلي[2] ، روى عنه إسماعيل بن خلفون[3] ، قال عنه ابن عبد الملك : كان خيِّرًا فاضلًا واعظًا صادقَ النّصيحة كثيرَ التجَوُّل ببلاد الأندَلُس للتذكير والوَعْظ[4] ، وكان وعظه على تفسير كتاب الله وتفهم معانيه[5] ، وقال ابن الابار: زار بلنسية Valencia مدة ثم سافر إلى لورقة Lorca ولقيه في طريقها سنة٥٨٦هـ/١١٩٠م[6] ، كان حياً سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م[7].

– شعيب بن يوسف الخولاني ، يكنى أبا عمر ، من أهل شنترين ، كان عالماً بالقراءات بصيراً بالعربية ، أخذ القراءات عن علي بن محمد الأنطاكي[8] ، ومكث في بلده شنترين خمسين سنة يصلي

=عبد الملك المراكشي : إنه يسمى إسماعيل أيضاً، ينظر أدناه.

١) هو أبو أحمد جعفر بن محمد بن أحمد بن سفيان المخزومي من أهل جزيرة شقر توفي سنة ٦٠٨ هـ/١٢١١ م، ينظر : ابن الابار، التكملة، ١٩٧/١.

٢) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي الخثعمي من أهل مالقة كان عالماً باللغة والسير، وأشهد كتبه الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، توفي سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م، ينظر : الضبي، بغية الملتمس، ص ٣٦٧؛ ابن الابار، التكملة، ٣٢/٣ -٣٣.

٣) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلفون من أهل أونبة سكن إشبيلية، كان من أهل الحديث بصيراً به، وله مصنفات منها كتاب المنتقى في رجال الحديث وكتاب المفهم في شرح البخاري ومسلم ، توفي سنة ٦٣٦ هـ/، ينظر : ابن الابار، التكملة، ١٤١/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠٣/٤٦.

٤) الذيل والتكملة، ٦٣٥/١.

٥) ابن الابار، التكملة، ١٥٧/١.

٦) التكملة، ١٥٧/١.

٧) ابن الابار، التكملة، ٨٦/١.

٨) هو أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشير الأنطاكي التميمي من أهل أنطاكية نزل الأندلس سنة ٣٥٢ هـ/٩٦٣ م فأكرمه الخليفة=

ويخطب بالناس ويعلم القراءات ، وكان يوصف بالعلم والفهم والثقة والعدالة[1] ، وهو من أبناء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي.

- عبدالله بن عبدالله الشنتريني الزاهد ، يكنى أبا محمد ، محدث من أهل شنترين سكن إشبيلية ، صحب أبا عبد الله بن المجاهد[2] ثلاثين سنة وسلك طريقته في الزهد ، وكان فقيهاً مفتياً يبيع الزيت ، ثم لزم داره وانقطع للعبادة والتعليم فيها ، سمع منه أبو بكر بن قسوم[3] فيها ، وتوفي سنة٦٠٦هـ/١٢٠٩م[4].

- عبدالله بن علي الكفيف ، يكنى أبا محمد ، من أهل شنترين ، كان عالماً بالقراءات روى عن أبي إسحاق الشلوني[5] روى عنه أبو الحسن النقرات[6] ، سكن في آخر عمره مدينة سلا

=المستنصر، كان عاماً بالقراءات بصيراً بالعربية، توفي بقرطبة سنة ٣٧٧ هـ/٩٨٧ م، ينظر : ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٥٦٥/١.

١) ابن الابار، التكملة، ١٣٦/٤ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٤/٢.

٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاري من أهل بطليوس سكن إشبيلية كان محدثاً حافظاً تولى قضاء شلب ثم سبتة، وله كتاب الأنوار جمع فيه بين المنتقى والاستذكار وكتاب جمع فيه بين سنن الترمذي وأبي داود، توفي سنة٥٨٦هـ/ينظر:ابن الابار، التكملة، ٦٤،٦٣/٢.

٣) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن قسوم اللخمي الزاهد من أهل إشبيلية، اشتهر بالزهد وله كتاب فيها اسماه محاسن الأبرار في معاملة الجبار، توفي سنة ٦٣٩ هـ/١٢٤١ م، ينظر : ابن الابار، التكملة، ١٤٤/٢.

٤) ابن الابار، التكملة، ٢٨٥/٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٤/٤٣.

٥) لم نجد له ترجمة.

٦) هو علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف الأنصاري من أهل جيان نزل فاس أخذ القراءات عن أبي محمد الشنتريني وولي الخطبة بجامع القرويين بفاس، كان حياً سنة ٥٩٣ هـ/١١٩٦ م، ينظر : ابن الابار، التكملة، ٢١٩/٣ ؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٣٢٦.

المغربية[1] ، كانت وفاته سنة٥١٧ هـ/١١٢٣م[2].

- عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل الزهري الشنتريني ، من أهل شنترين ، محدث سمع في الأندلس من أبي الوليد الباجي[3] وطبقته ، ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن كريمة المروزية[4] وآخرين ، وكان كثير الخشوع إذا قُرئ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي بكاءً كثيراً ، سكن العدوة وتوفي نحو سنة٥٣٠هـ/١١٣٥م[5] ، ولعله غادر شنترين في أعقاب سقوطها بيد النصارى سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م.

ثانياً : علوم اللغة والأدب

جاء الإسلام بالعربية ونزل القرآن الكريم بالعربية مما أضفى عليها روعة وسحراً وبياناً ، وكان العرب هم أهل البلاغة والفصاحة ، ولكن لما حمل المسلمون راية الإسلام إلى الأمم الأخرى واختلطوا بالأعاجم

---

١) ابن الابار، التكملة، ٢/٢٦٠.

٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٦/٨٩.

٣) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي التجيبي المالكي من أهل قرطبة لو رحلة إلى المشرق وتلقى علوم الفقه والحديث على جلة من العلماء، ثم رجع إلى الأندلس وتولى الدعوة إلى توحيد الأندلس لمواجهة النصارى في عصر الطوائف، وتوفي سنة ٤٧٤ هـ/١٠٨١ م، ينظر : ابن بشكوال، الصلة، ص ١٩٧ -١٩٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٣٠٣؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٣٣٦ -٣٤٤.

٤) هي كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية من أهل مرو جاورت بمكة اشتهرت برواية الحديث، وكانت من أهل الخير والتعبد، توفيت سنة ٤٦٥ هـ/١٠٧٢ م، ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/٣٩٨.

٥) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤١٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٦/١٨٤.

ظهر اللحن في لغتهم وتسربت العجمة إلى لسانهم وهو ما دعت الحاجة لصون اللغة ، فوضعوا علم النحو ، حرصاً منهم أولاً على سلامة النطق بالقرآن الكريم[1] ، ولما اتسع نطاق الفتوحات الإسلامية ، ودخل المسلمون شبه الجزيرة الأيبيرية ، أخذ الأعاجم هناك يتعلمون العربية حتى يستطيعون العيش في المجتمع الجديد ، ومن هنا ازداد الاهتمام بعلوم اللغة العربية وآدابها لأنها مصدر فهم القرآن والحديث وتعاليم الإسلام ، فضلاً عن أنها لغة السلطة والإدارة ، ومن هذا المنطق نرى اهتمام الأندلسيين بعلوم اللغة وآدابها ، ولعل في جمال المدينة ومنطقتها ساعد على تفجر قرائح الأدباء والشعراء في وصف تلك المناظر الخلابة وهم يتجولون في بين المياه والخضرة والنسائم الطيبة.

وقد وصف الشاعر والوزير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون[2] جمالية مدينة شنترين في رسالة بعثها إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) بقوله: ((... ،أرحب المدن أمدًا للعيون ، وأخصبها بلدًا في السنين ، لا يريمها الخِصب ولا يتخطاها ، ولا يرومها الجدب ولا يتعاطاها ، فروعها فوق الثريا

---

١) اهتم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالنحو وعلم أبا الأسود الدؤلي أسس علم النحو، وعندما ازداد اللحن في العصر الأموي بدأ تنقيط القرآن الكريم على عهد زياد بن أبيه، فكلف أبو الأسود بذلك، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٦١ -٦٢.

٢) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري أديب أندلسي، من أهل مدينة يابرة، استوزر لبني الأفطس ثم خدم المرابطين توفي سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٥ م، ينظر : ابن بسام، الذخيرة، ٦٦٨/٤ -٧٠٠؛ المراكشي، المعجب، ١٢٤ -١٢٩.

شـا مخة ، وعروقهـا تحـت الثـرى راسـخة ، تبـاهي بأزهارهـا نجـوم السـماء ، وتنـاجي بأسـرارها أذن الجـوزاء ، مواقـع القطـار في سـواها مغبرَّة مربدَّ ة ، وهي زاهرة تَـرِفُ أنـداؤها ، ومطالع الأنـوار في حشـاها مقشعرة مسودة ، وهي ناضرة تَشِفُ أضواؤها ، ...))[1].

كما وصف حُسن المدينة القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمـر[2] عند حديثه عن غزوة مدينة شنترين سنة٥٨٠هـ/١١٨٤م[3] بقولـه: ((... ، والبلـد لحسـن عمارتـه والتفـاف أشـجاره وانضـال جناتـه وإينـاع ثمراتـه ليس له مسلك إلا من خلال تلك الأغصان وفي أثناء منعرجات ما أحدق به مـن اشـتباك الكـروم والتفـاف الغيطـان ، فكانـت أشـخاص الفرسان عند رؤيتهم تتوارى بالظلال ويستر ظهور حسن هيئتها فروع الأشجار وأسنمة الجبال))[4].

كما أشار المقري إلى جمالية المدينة بقوله: ((... ، شـنترين قاصـية أرض الإسلام ، السامية الذرا والأعلام ، التي لا يروعها صرف ، ولا يفرعهـا طـرف ، لأنّهـا متـوعّرة المراقـي ، معفّـرة للراقـي ، متمكّنـة الرّواسـي والقواعـد ، مـن ضـفة نهـر اسـتدار بهـا اسـتدارة القلـب بالساعد ، قد أطلّت على خمائلها ، إطـلال العـروس مـن منصّـتها ،

---

١) المراكشي، المعجب، ص ١١٨.

٢) وهو أحد قضاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن له كتاب في تاريخ الموحدين، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢٠؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٠٥.

٣) لمزيد من التفاصيل عن غزوة مدينة شنترين ينظر : الفصل الثالث، ص

٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦٢.

واقتطعت من الجوّ أكثر من حصّتها ، ...))[1].

ووصف عنان (ت١٩٨٦م) طبيعة مدينة شنترين الخضراء عند زيارته لها بقوله: وتحتل مدينة شنترين ربوة عالية تطل على بسائط خضراء يانعة تغطيها المحاصيل والحدائق وغابات الزيتون[2] ، ما يعني ديمومة جماليتها عبر التاريخ.

ومن هنا نرى أن بين ربوعها وفي مهدنا نبغ العديد من رجالات اللغة والأدب كان منهم يعد من كبار رجالات عصره ، نذكر منهم:

- خلف بن يوسف بن فرتون الملقب بالأبرش النحوي ، ويكنى أبا القاسم[3] ، وصف بأنه كان رأساً في العربية واللغة ، وكان يحفظ كتاب سيبويه[4] في النحو ، ثم طاف في بلاد الأندلس معلماً للعربية ، وكان الأبرش النحوي أيضاً شاعراً ، وله العديد من المقطوعات الشعرية ، منها قوله يفخر بعلمه:

لو لم يكنْ ليَ آباء أَسودُ بهم

ولم يُثبِّتْ رجالُ العُرْبِ لي شَرفا

---

١) نفح الطيب، ٦٦٤/١.

٢) الآثار الأندلسية الباقية، ص ٤٢٥.

٣) قال ابن خير الإشبيلي هو من شيوخي الذين رويت عنهم، ينظر : فهرسة ابن خير، ص ٤٠٨.

٤) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ولد بشيراز من بلاد فارس ونشأ بالبصرة وأخذ النحو من علمائها في مسجد البصرة كالخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان إمام النحاة، وصنف كتاب سيبويه في النحو، وتوفي بشيراز سنة١٨٠هـ /٧٩٦ م، ينظر: المفضل، تاريخ العلماء النحويين، ص ٩٠ -١١٢.

ولم أنــلْ عنــد مَلْــكِ العصــر منزلــةً

لكـان في سـيبويهِ الفخـرُ لـي وكفـى

فكيــفَ عِلْــمٌ ومجــدٌ قــد جمعتهُمــا

وكــلُّ مختلــقٍ في مثــلِ ذا وَقَفــا[1]

وله يمتدح بلده شنترين ونهرها وحُسنهما بقوله:

رأيــــتُ ثلاثــــةً تَحكــــي ثلاثــــاً

إذا مــا كنــتَ في التشــبيهِ تنصِــفْ

فتــــاجو النّيــــلُ منفعــــةً وحُســــناً

ومصــرٌ شــنترينُ وأنــت يوسُــفْ[2]

وله في الرثاء يرثي غلاماً وسيماً مات غرقاً ، فقال:

الحمــــدُ للهِ علــــى كــــلِّ حــــالْ

قــد أطفــأَ المــاءُ سِــراجَ الجَمــالْ

أطفــأهُ مــا قــد كــانَ مَحْيــا لــه

قــد يطفــئُ الزيــتُ ضــياءَ الــذُّبالْ[3]

قال الذهبي: لم يقرأ عليه كثير أحد لأخلاقه[4] ، وكانت وفاة ابن الأبرش في قرطبة سنة٥٣٢هـ/١١٢٧م[5].

---

١) ابن الابار، تحفة القادم، ص ٢٢ -٢٣.

٢) ابن الابار، تحفة القادم، ص ٢٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٢٨/١٣.

٣) ابن الابار، تحفة القادم، ص ٢٣.

٤) تاريخ الإسلام، ١٨٠/٣٦.

٥) الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٨٩ ؛ ابن الابار، تحفة القادم، ص ٢٢ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٥٥٧/١.

- سعيد بن عبدالله العروضي يعرف بالشنتريني ، ويكنى أبا عثمان ، سكن قرطبة ، كان عالماً بالآداب وشاعراً له مسائل على كتاب سيبويه ناظر فيها بمحضر المصحفي[1] ، وله تصانيف[2] منها تأليف في العروض ، ومسائل من كتاب سيبويه[3] ، ومن شعره يصف فرساً:

من الظلمان آباؤه فورثته الساق والجؤجؤا
حسرت دهمته عن غرة كشفت ظلمتؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى وتحلى خده بالفلق
وانبرى تحسبه أجفل عن لسعه أو جنة أو أولق
مدركا بالمهل ما لا ينتهي لاحقا بالرفق ما لم يلحق
ذو رضى مستتر في غضب ووقار منطو في خرق
وعلى خد كعضب أبيض وأذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعا ندب الشهب إلى مسترق
حاردت حرد شبا خطية لا تجيد الخط ما لم تمشق
كلما شامت غراري حده خفقت خفق فؤاد الفرق

---

١) هو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي مولى الخليفة الناصر وحاجب الخليفة الحكم المستنصر، قبض عليه المنصور بن أبي عامر ونكبه حتى وفاته سنة ٣٧٢ هـ/٩٨٢ م، ينظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ٢٥٧/١ -٢٥٩.
٢) الضبي، بغية الملتمس، ص ٣٠٩؛ ابن الابار، التكملة، ١١١/٤.
٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٦/٢.

في ذرا ظمآن فيه هيف لم يدعه للقضيب المورق

يتلقاك بكعب مصقع يقتفي شأو غرار مفلق[1]

وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

- أبو عامر ابن سوار الشنتريني ذكره ابن بسام بأنه من أهل شنترين بلده وأنه له شعر في صفة النفس ذهب فيها مذهب أهل الكلام إذ قال:

يا لقومي دفنوني ومضوا

وبنوا في الطين فوقي ما بنوا

ليت شعري إذ رأوني ميتاً

وبكوني أي جزأي بكوا

أنعوا جسمي فقد صار إلى

مركز التعفين أم نفسي نعوا

كيف ينعون نفوساً لم تزل

قائمات بحضيض وبجو

ما أراهم ندبوا في سوى

فرقة التأليف إن كانوا دروا

قال: ((وهذا معنى فلسفي قلما عرج عله عربي))[2] ، ولم نجد ذكر في المصادر التي بين أيدينا وهو معاصر لابن بسام.

---

١) ابن بسام، الذخيرة، ٦/٨٧٠ -٨٧١.

٢) الذخيرة، ٣/٤٧٩.

- عبدالله بن محمد بن سارة(صارة) البكري ، يكنى أبا محمد ، من أهل شنترين ، وهو عربي من قبيلة بكر بن وائل الذين نزل بعضهم في شنترين ، كان شاعراً ونحوياً ، وصف ابن بسام شعره ونظمه بقوله: ((ناثر وشاعر مفلق ، وشهاب متألق ، نثر فسحر ، ونظم فنمنم ، وأولع بالقصار فأرسلها أمثالاً ، ورشق بها نبالاً ، لاسيما قوارع كدرها على مردة عصره ، وسم بها أنوف أحسابهم ، وتركها مثلاً في أعقابهم ، وأوصاف أبدع فيها ، واخترع كثيراً من معانيها ، وملحٍ في شكوى زمانه ، دل بها على علو شانه))[1] ، كما وصفه ابن الابار بقوله: ((كَانَ أديبًا ماهرًا شَاعِرًا مفلقًا مخترعًا مولدًا قَائما عَلَى جمهرة من اللُّغَة والنحو وَرِوَايَة الشّعْر وَحسن الْخط جيد النَّقْل والضبط))[2] ، ولما سيطر نصارى البرتغال على شنترين اضطر ابن سارة أن يخرج منها ، وفي ذلك قال ابن دحية : ((وانتقل من بلده شنترين إلى مدينة إشبيلية ، وهو أوحش حالاً من الليل ، وأكثر انفراداً من سهيل))[3] ، تجول في بلاد الأندلس لتعليم العربية وامتدح الرؤساء والولاة للتكسب ثم ألجأته الحياة للتكسب في العمل بالوراقة ، وقد وصف ابن خلكان ضيق حاله بقوله: ((كان شاعراً ماهراً ناظماً ناثراً ، إلا أنه كان قليل الحظ إلا من الحرمان ، لم يسعه مكان ، ولا اشتمل عليه سلطان))[1] ،

---

١) الذخيرة، ٨٣٤/٤.

٢) التكملة، ٢٥١/٢.

٣) المطرب في أشعار أهل المغرب، ص ٨٧.

١) وفيات الأعيان، ٩٣/٣.

ثم نزل إشبيلية[1] ، له ديوان شعر[2] ، ومن مقطوعاته الشعرية ، منها في ذم الدنيا قوله:

بَنـــو الـــدُّنْيَا بجهـــلٍ عظموهـــا
فعـــزت عِنْـــدهم وَهِـــي الحقيـــرة
يهـــارش بعضُـــهم بَعْضًـــا عَلَيْهَـــا
مهارشـــة الْكـــلاب عَلَـــى العقـــيرة[3]

ومن شعره في الزهد:

يـــا مـــن يصـــيخ إلى داعـــي الســـفاه وقـــد
نـــادى بـــه الناعيـــان الشـــيب والكبـــر
إن كنـــت لا تســـمع الـــذكرى ففـــيم ثـــوى
في رأســـك الواعيـــان الســـمع والبصـــر
لـــيس الأصـــم ولا الأعمـــى ســـوى رجـــل
لم يهـــده الهاديـــان العـــين والأثـــر
لا الـــدهر يبقـــى ولا الـــدنيا ولا الفلـــك الـــ
أعلـــى ولا الـــنيران الشـــمس والقمـــر
ليرحلـــن عـــن الـــدنيا وإن كرهـــا
فراقهـــا الثاويـــان البـــدو والحضـــر[4]

---

١) ابن الابار، التكملة، ٢٥١/٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٥٩/١٩.
٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٩٥/٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨٩/٦.
٣) ابن الابار، التكملة، ٢٥١/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/٤.
٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٩٥/٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٠٥/١٧؛ شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، ٢٠/٤ -٢١ ببعض اختلاف اللفظ.

وله أيضاً في ذم البخل قوله:

اِسْـعَدْ بِمَالـك فِـي الْحَيَـاة وَلَـا تكـن

تبقـي عَلَيْـهِ حـذار فقـر حَـادث

فالبخـل بَـين الحـادثَيْن وَإِنَّمَـا

مَـال الْبَخِيـل لحـادث أَوْ وَارِث[1]

وقوله في غلام وسيم قام وجلس مكانه أسود:

مَضَـت جنَّـة المـأوى وَجَـاءَت جَهَـنَّم

فهـا أَنـا أَشْـقَى بعـد مَـا كنـت أنعـم

وَمَـا كَـانَ إِلَّـا الشَّـمْس حَـان غُرُوبهَـا

فأعقبهـا جـنح مـن اللَّيْـل مظلـم[2]

وله في ذم مهنة الوراقة التي عمل بها:

أمـا الوراقـةُ فهـي أيكـةُ حرفـةٍ

أوراقهـا وثمارهـا الحرمـانُ

شـبَّهت صـاحبها بصـاحب إبـرةٍ

تكسـو العـراة وجسـمها عريـانُ[3]

وكانت وفاته سنة٥١٧هـ/١١٢٣م في إشبيلية[4].

---

١) ابن الابار، التكملة، ٢/٢٥١.

٢) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١/٤٢٠.

٣) ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٨٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٩٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/٣٠٤؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٢/٥٧.

٤) ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٨٧؛ ابن الابار، التكملة، ٢/٢٥١.

- علي بن بسام التغلبي الشنتريني المكنى أبا الحسن ، من أهل شنترين ، على الرغم من شهرة ابن بسام بسبب مؤلفه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة إلا أن ما كُتب عنه في كتب التراجم ما يشفي الغليل ولا يوازي شهرة مؤلفه الكبير ، فابن سعيد المغربي أشار إليه متعجباً ومستكثراً على مدينة شنترين أن يكون منها هذا الرجل بالقول: ((إنه لم يكن في حساب الآداب الأندلسية أنه سيُبعث من شنترين قاصية الضرب ومحل الطعن من ينظمها قلائد في جيد الدهر ويطلعها ضرائر للأنجم الزهر وَلم ينشأ بِحَضْرَة قرطبة وَلَا بِحَضْرَة إشبيلية وَلَا غَيرهمَا من الحواضر الْعِظَام من يمتعض امتعاضه لأعلام عصره ويجهد فِي جمع حَسَنَات نظمه ونثره وسل الذَّخِيرَة فَإِنَّهَا تعنون عَن محاسنه الغزيرة))[1] ، وقال عنه في كتاب آخر: ((الرئيس الفاضل الأديب المؤرخ))[2] ، وقال عنه ياقوت: ((علي بن بسام أبو الحسن ، من أهل الأندلس ، له كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، يعني جزيرة الأندلس ، في سبعة أسفار))[3] ، وقال عنه الصفدي: ((صَاحب الذَّخِيرَة عَليّ بن بسام أَبُو الْحسن الشنتريني صَاحب كتاب الذَّخِيرَة فِي محَاسِن أهل الجزيرة يَعْنِي جَزِيرَة الأندلس وَلَا أعرف فِي الْأَدَب كتابا مثله فِي بَابه فِي الاستطراد بالنظائر والأمثال والأشباه وَذكر السرقات وَأما نثره فِي تراجم من ذكره فِيهَا فَإِنَّهُ كالمدام وَصفا والنسيم

---

١) المغرب في حلي المغرب، ٤١٧/١.

٢) رايات المبرزين، ص ٦٢.

٣) معجم الأدباء، ١٦٦٧/٤.

لطفاً))[1] ، وقال عنه المقري: ((أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة ، وشهرته تغني عن ذكره ، ونظمه دون نثره ، ...))[2] ، وعلى الرغم من أهمية هذه الأقوال إلا أنه لم تفصح الكثير عن سيرة هذا الرجل.

ومن اسمه فهو عربي النسب من قبيلة تغلب العربية[3] ، وقد افتخر ابن بسام في كتابه الذخيرة بنسبه فقال: ((وقد كنا غنينا هنالك بكرم الانتساب ، عن سوء الاكتساب ، ...))[4] ، وهذا يعني أنه عندما نشأ في شنترين كان ميسور الحال كريم النسب ، ورجح بعض الباحثين مولده في العقد الخامس من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كون المصادر لم تشر إلى عمره حين وفاته[5] ، كما لم تشر المصادر إلى تعليمه ومؤدبيه ، ولعله تلقى تعليمه في بلده شنترين كونه من عائلة ميسورة ، ثم غادرها لتلقي العلم في مدينة لشبونة سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م ، وقد أشار إلى ذلك عند ذكره الأديب أبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي[6] إذ قال: ((هو أحد من لقيته وشافهته ، وأملى

---

١) الوافي بالوفيات، ١٦٢/٢٠.

٢) نفح الطيب، ٤٥٨/٣.

٣) وتغلب هو دثار بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب لعرب، ص ٣٠٢.

٤) الذخيرة، ١٩/١.

٥) عبد المحمود، ابن بسام ومنهجه في كتابه الذخيرة، ص ٢٥

٦) أبو جعفر أحمد بن الدودين شاعر وأديب من أهل بلنسية كان معاصراً لابن بسام وأورد له الأخير رسالة في الرد على ابن غرسيه، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٧٠٣/٦ -٧١٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٣٢٢/٢.

عليّ نظمه ونثره بالأشبونة ، سنة سبع وسبعين ، ...))[1].

ولكن ابن بسام اضطر أن يغادر مدينته شنترين بعد أن استولى عليها النصارى سنة٤٨٦هـ/١٠٩٣م ، إذ قال في مقدمة كتابه: ((كان من شنترين قاصية الغرب ، مفلول الغرب ، مروع السرب ، بعد أن استنفد الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاد ، بتواتر طوائف الروم ، علينا في عقر ذلك الإقليم ، وقد كنا غنينا هنالك بكرم الانتساب ، عن سوء الاكتساب ، واجتزأنا بمذخور العتاد ، عن التقلب في البلاد ، إلى أن نثر علينا الروم ذلك النظام ، ولو ترك القطا ليلاً لنام ، وحين اشتد الهول هنالك ، اقتحمت بمن معي المسالك ، على مهامه تكذب فيها العين الأذن ، وتستشعر فيها المحن... حتى خلصت خلوص الزبرقان[2] من سراره ، وفزت فوز القدح عند قماره ، فوصلت حمص[3] بنفسٍ قد تقطعت شعاعاً ، وذهب أكثرها التياعاً ، وليتني عشت منها بالذي فضلا! فتغربت بها سنوات أتبوأ منها ظل الغمامة ، وأعيا بالتحول عنها عي الحمامة ، ولا أنس إلا الانفراد ، ولا تبلغ إلا بفضلة الزاد ، والأدب بها أقل من الوفاء ، حامله أضيع من قمر الشتاء ، وقيمة كل أحد ماله ، وأسوة كل بلد جهاله ، حسب المرء أن

---

١) الذخيرة، ٧٠٣/٦.

٢) هو أبو عياش الزبرقان بن بدر التميمي السعدي صحابي أسلم السنة التاسعة للهجرة وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ينظر : ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٠٣/٢.

٣) وهو اسم يطلقه الأندلسيون على إشبيلية، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١١٨.

يسلم وفره ، وإن ثلم قدره ، وأن تكثر فضته وذهبه ، وإن قل دينه وحسبه))[1] ، فهو هنا يصور ما لاقاه من هول النزوح عن بلده شنترين عندما هاجمت قوات النصارى المدينة واستيلائهم عليها ، إذ غادرها نحو إشبيلية ولاقى فيها ذل الاغتراب وما أصابه من عوز وفقر بسبب ذلك ، والراجح أن ذلك دفعه إلى الذهاب إلى قرطبة إذ صرح قائلاً: ((ولما ابتدأت بتحرير هذا الكتاب ، وأنا يومئذ بقرطبة[سنة ثلاث وتسعين ، ...))[2] ، وفي قرطبة ابتدأ في كتابة الذخيرة ، واستمر في قرطبة عاكفاً على التأليف ، فهو يشير إلى فتح المرابطين مدينة بلنسية سنة٤٩٥هـ /١١٠١ م عند حديثه عن بلنسية إذ قال: ((والحال بين العدو وبين عساكر أمير المسلمين في ذلك إدبار وإقبال ، حتى رخص عارها ، وغسل شنارها ، وكان آخر أمراء أجناده ، المجهزين إليها في جماهير أعداده ، الأمير أبو محمد مزدلي[3] ، ظبة حسامه ، وسلك نظامه ، ففتحها الله عليه ، وأذن في تخلصها على يديه ، في شهر رمضان سنة خمس وتسعين))[4] ، وكان انتهاءه من تأليف كتابه الذخيرة سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م وهو في قرطبة لم يغادرها إذ قال: ((كنت قد انفردت

---

١) الذخيرة، ١٩/١ -٢٠.

٢) الذخيرة، ٥٣٦/٤.

٣) هو أبو محمد مزدلي بن تيولتكان الصنهاجي اللمتوني أحد قواد المرابطين، وهو من تولى فتح مدينة بلنسية وضمها إلى الدولة المرابطية كما تولى قرطبة ليوسف بن تاشفين، وتوفي في إحدى غزواته سنة٥٠٨هـ/١١١٥م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٧/٣.

٤) الذخيرة، ١٠١/٥.

لتحرير هذه النسخة من هذا المجموع في شهور سنة ثلاث وخمسمائة ، ...))[1].

وقد وافق انتهائه من كتابه الذخيرة عزم القائد المرابطي سير بن أبي بكر[2] على استعادة مدينة شنترين من أيدي نصارى البرتغال فأهدى كتابه إليه ، إذ قال: ((ولما سمعت صوت المهيب ، وتنسمت ريح الفرج القريب ، ووجدت لسبيل التأمل مدرجاً ، وجعل الله لي من ربقة الخمول مخرجاً ، طالعت حضرته المقدسة بهذا الكتاب على حكمه ، مطرزاً بسمته واسمه ، مستدلاً بمجده ، متوسلاً إليه بكرم عهده ، ولعلمي أن الأدب ضالة اهتباله ، ونتيجة خلاله ، وأن أهله على ذكر من إجماله ، وبمكان مكين من كماله))[3] ، إلا أن ابن بسام لم يعد إلى شنترين بعد استرجاعها من قبل المرابطين ، ولعله تحسن حاله بعد اتصاله بالأمير المرابطي إذ كان يصفه بالأمير الأجل[4] ، والراجح أنه بقي في قرطبة حتى آخر حياته إذ توفي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م.

أما مؤلفاته فلم تشر المصادر إلى ذلك إلا أنه ذكر في الذخيرة بعضها منها : كتاب الاعتماد على ما صح من شعر المعتمد بن

---

١) الذخيرة، ٧٨٧/٦.

٢) سير بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين اللمتوني من قادة المرابطين اشترك معركة الزلاقة ثم تولى القضاء على دويلات الطوائف في غرب الأندلس كما قاد الجيوش المرابطية في مواجهة النصارى منها فتحه مدينة شنترين سنة ٥٠٤ هـ/١١١١ م، وكانت وفاته سنة ٥٠٧ هـ/١١١٣ م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/ ٥٦، ١٢١ -١٢٢.

٣) الذخيرة، ٢١/١.

٤) الذخيرة، ٣٨٨/١.

عباد([1]) ، وكتاب سلك الجواهر من نوادر ترسيل ابن طاهر[2] ، وكتاب نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عامر[3] ، وكتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل[4] ، وكتاب سر الذخيرة[5] ، وكتاب ذخيرة الذخيرة[6].

– محمد بن عبدالبر الشنتريني ، يكنى أبا عبدالله ، شاعر من أهل شنترين ، ذكره ابن سعيد وأورد له بيتين من الشعر في الغزل ، قال:

أحب الَّذِي يهوى عَذَابي دَائِما
وَمَا لي فِيهِ مَا حييت نصيب
هِلَال على غُصْن يميس على نقاً
وكل مَعَاني حسنه فَغَرِيب[7]

وله في الغزل أيضاً:

فعلى المحيا كوكب متلألئ
وعلى القطاة بنات نعش تسطح
وكأنما عمر على صهواته
قمر تسير به الرياح الأربع[1]

---

١) الذخيرة، ٨١/٣؛ والمعتمد بن عباد
٢) الذخيرة، ٤٧٧/٣؛ وابن طاهر هو
٣) الذخيرة، ٤٧٧/٣؛ وأبو بكر بن عمار
٤) الذخيرة، ٤٧٧/٣؛ عبد الجليل
٥) الذخيرة، ١١٧/٥.
٦) الذخيرة، ٨٣٥/٤.
٧) المغرب في حلي المغرب، ٤١٨/١.
١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦٦/٣.

- محمد بن عبدالله بن عبد الواحد المعروف بابن الوبلة والمشهور بفرحون ، كان والياً على مدينة شنترين في خلافة الحكم المستنصر وابنه هشام ، ذكره ابن الابار من شعراء المائة الرابعة ، وذكر قصته مع الشاعر الرمادي[1] ، ذلك أن الأخير زاره في شنترين في وقت كان الوالي فرحون خارجاً في غزوة له ، فنزل في قصر الأمير إلا أن المتولي قصّر في ضيافته ولم يُحسن استقباله فأرسل إلى فرحون يعاتبه ، فندما ورد عليه العتاب أجابه فرحون بالاعتذار عن ما بدر ولبى طلبه وأمر له بجارية جميلة ثم كتب إليه قائلاً:

أَيهَا السَّيِّد أَهلا ... بِالَّذِي أهديت أَهلا
مَا يناويك مناو ... إِن وصلت القَوْل وصلا
شَاعِرًا ندبا نبيلاً ... محسناً جدا وهزلا
مَا تولى الشّعْر إِلَّا ... رد مِنْهُ الوعر سهلا
شعره سح ووبل ... إِذْ يكون الشّعْر طلا
مُحكم غض بديع ... لَا يكَاد الدَّهْر يبْلى
فَلهُ مَا قلت أَهلا ... ثمَّ رحباً ثمَّ سهلا
أَيهَا السَّيِّد مهلا ... بأخيك الْمَحْض مهلا
إِن شكواك إِلَيْنَا ... ولدت فِي النَّفس خبلا

---

١) هو أبو عمرو يوسف بن هارون الرمادي من أكابر شعراء الأندلس، من أهل قرطبة، امتدح المنصور بن أبي عامر، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م، ينظر : ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٣٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٣٩٢/١ -٣٩٣.

ونفـــت نـــومي فَلَمَّـــا تكتحـــل عَيْنَـــايَ كحـــلا
مَـــا علـــى عمـــد ولكنمـــا جهلنـــا الْـــأَمر جهـــلا
وظننـــــا بالعكـــــازى إِنَّـــــه أكْـــــرم بـــــذلا
فابســـطن عُـــذْري وَإِن لم أك للأعـــــذار أَهـــــلا
يَـــا أخـــي أَنْـــت وَمـــولى وَقَلِيـــل لَـــك مولـــى
قـــد بعثنَـــا بفـــراش فـــاهجرن وَجـــه الْمصـــلى
ووصـــــلناه بغيـــــداء كبـــــدر يتجلـــــى
فتفضـــــل بِقبـــــُول لَـــا عـــدمت الـــدَّهْر فضـــلا
وورا ذَلِـــــك منـــــى ســـترى فضـــلا وفضـــلا[1]

– محمـد بـن عبـد الملـك بـن محمـد الشـنتريني المعـروف بـابن السراج والمكنى أبا بكر ، كان عالماً بالعربية ، رحـل إلى المشـرق سـنة ٥١٥هـ/١١٢١م وأخـذ عـن علمـائهم ، ولـه تصـانيف عـدة منـها : كتـاب تنبيـه الألبـاب علـى فضـائل الإعـراب ، وكتـاب العـروض والقـوافي ، وكتاب اختصار العمـدة لابـن رشـيق وتنبيـه علـى أغلاطـه[2] ، وتـوفي في مصر سنة٥٥٠هـ/١١٥٥م[1].

– محمد بن عبيد بن ملطون الأمـوي المقـرئ الشـنتريني ، يكنـى

---

١) الحلة السيراء، ٢٨١/١ –٢٨٢.

٢) ابـن خـير، فهرسـة ابـن خـير، ص ٤٨٨ ؛ الفيروزآبـادي، البلغـة في تـراجم أئمـة اللغة، ص ٢٧٢ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١٦٣/١.

١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٥/٤؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١٦٣/١.

أبا بكر ، كان عالماً بالقراءات[1] ، وتجول يعلم الناس القراءات ، وسكن إشبيلية وتوفي في حدود الستمائة للهجرة[2] ، وهذا يعني أنه ربما غادر مدينة شنترين في أول حياته.

– مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني ، يكنى أبا الخيار ، من أهل شنترين سكن قرطبة ، حدث عنه أبو مروان الطبني[3] قال: ((ولم يزل أبو الخيار هذا طالباً متواضعا عالماً متعلماً إلى أن لقي الله عز وجلّ))[4] ، وكان داودي المذهب[5] ولا يرى التقليد[1] ، توفي سنة٤٢٦هـ/١٠٣٤م[2].

---

١) وهو العلم الذي يعني بقراءة القرآن الكريم من حيث النطق والتلفظ مع الموافقة لرسم المصحف وثبوت الإسناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ينظر: الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص ١٧١.

٢) ابن الابار، التكملة، ٨٥/٢.

٣) هو أبو مروان عبد الملك بن زياد الله بن علي التميمي من أهل قرطبة وأصله من طبنة إفريقية، محدث له رحلة إلى المشرق زار فيها مكة ومصر، وكانت له عناية بالأدب والشعر واللغة، توفي سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م، ينظر : ابن بشكوال، الصلة، ص ٣٤٤ –٣٤٥.

٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٨٣.

٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٤٥٠؛ والمذهب الداودي نسبة داود بن علي بن خلف الاصبهاني صاحب مذهب الظاهر الذي يرى الأخذ بظاهر الكتاب والسنة بعيد عن التأويل والقياس والرأي، توفي في بغداد سنة ٢٧٠ هـ/٨٨٤ م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٤٢/٩ –٣٤٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٥٩/٤ –٢٦١.

١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٨٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٦٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٤/٢٩.

٢) ابن بشكوال، الصلة / ص ٥٨٣.

- هذيل بن محمد بن تاجيت البكري يكنى أبا عبد الصمد أصله من شنترين ، وهو عربي من بكر بن وائل ، ثم آثر الرحلة في طلب العلم فرحل إلى المشرق سنة٣٨٠هـ/٩٩٠م وسمع من العديد من العلماء ثم عاد إلى قرطبة فولاه الخليفة محمد المهدي(٣٩٩-٤٠٠هـ/١٠٠٨-١٠٠٩م) الخطبة والصلاة في جامع الزهراء ثم قتل أثناء الفتنة في قرطبة سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م ، وقد وصف بأنه كان رجلاً فاضلاً ديناً[١].

١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٢٣؛ ابن الابار، التكملة، ١٤٧/٤.

مدينة لوشة Loja الأندلسية

٩٢ – ٨٩١ هـ/ ٧١٠ -١٤٨٦ م

المبحث الأول

الجغرافية التاريخية لمدينة لوشة Loja

لوشة مدينة بالأندلس تلفظ((بالفتح ثم السكون ، وشين معجمة))[1] ، وتقع إلى الجنوب من قرطبة Corodoba والى الشمال الغربي من غرناطة Granada ، قال ياقوت: ((مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيراً))[2] ، وهي اليوم على الطريق الممتد بين إشبيلية Sevilla وغرناطة[3].

ذهبت بعض المصادر إلى أنها من أعمال كورة البيرةElvira[4] ، فيما ذهب آخرون أنها من أعمال غرناطة[5] ، وكلا القولين صحيح إذ أن الخلاف حول أن لوشة ضمن البيرة أم غرناطة هو خلاف ترتيب زمني لا خلاف مكاني ، إذ كانت غرناطة مدينة صغيرة تابعة إلى كورة البيرة فلما خُربت البيرة في أحداث الفتنة التي

---

١) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢.

٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢.

٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٥.

٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٨.

٥) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٦٨؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٢٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢١٤/٥؛ المقري، نفح الطيب، ١٤٨/١ .

أعقبت سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عُمرت غرناطة وضمت جميع مناطق البيرة وغلب اسمها عليها ، فذكر الإدريسي ((ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها منها إلى اغرناطة))[1] ، وإلى ذلك أيضاً أشار الحميري بقوله: ((وكانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة فخُربت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فهي اليوم قاعدة كورها))[2] ، فيما أشار ابن الخطيب إلى أن الانتقال من البيرة إلى غرناطة كان بعد سنة٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م بقوله: ((ولم تزل الأيام تخيف ساكنها ، والعفاء يتبوّأ مساكنها ، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها ، حتى شملها الخراب ، وتقسّم قاطنها الاغتراب ، وكلّ الذي فوق التّراب تراب ، وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربريّة سنة أربعمائة من الهجرة ، فما بعدها ، ولجأوا إلى مدينة غرناطة ، فصارت حاضرة الصّقع ، وأمّ المصر ، ...))[3] ، ويُرجح أن تكون البيرة هي المكان نفسه الذي تقوم عليه غرناطة الحديثة[4].

أما المسافات فإن بينها وبين البيرة ثلاثين ميلاً[5] ، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً[6] وبينها وبين غرناطة عشرة فراسخ[7] ، فيما أشار

---

١) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢.

٢) الروض المعطار، ص ٢٨.

٣) الإحاطة، ١٤/١.

٤) الطويل، مملكة غرناطة، ص ٥٥.

٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٣؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر : هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.

٦) الفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر : هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.

٧) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣٥٢.

الإدريسي إلى أن بينها وبين غرناطة على النهر خمسة وعشرين ميلاً[1] ، وقيل إنها على مرحلة[2] من غرناطة[3] .

أما تسميتها فإن لفظة لوشة أسبانية تعني بلاط مربعة ، وتعني أيضاً فخ لصيد العصافير[4] ، ولعل المعنى الثاني الأقرب إليها نظراً لطبيعتها –كما سنرى– المكتظة بالجبال والأنهار والأشجار ، وحكى مؤلف مجهول في هذا المعنى رواية أقرب إلى الأسطورة قال : إن في قرية بالقرب من لوشة ((أقسام عالية عليها عقبان تعشعش ولا يعلم قدمها هناك ، وهي لا تترك في سائر القرى دجاجة ولا براكا ، ولا تضر أهل تلك القرية التي هي بها ساكنة ، فإذا حصرها الثلج ، منعها من السرح في طلب قوتها صاحت من ألم الجوع صياحاً عظيماً ولا تقدم على إيذاء جيرانها في طيورهم وهي تسرح أمامها حتى يطرح لها أهل القرية ما تأكله بأيديهم))[5] ،وبسبب جمال لوشة وتميزها فقد اسماها ابن الخطيب ببنت غرناطة وفتية غرناطة اعتزازاً بها إذ هي مسقط رأسه[6] ، كما أطلقت عليها الملكة إيزابيلا[7] اسم

---

١) نزهة المشتاق، ٢/٥٧٠.

٢) المرحلة تساوي أربعة وعشرون ميلاً أو ثمانية فراسخ، ينظر : الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ١/٥٢١.

٣) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٦٨ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢١٤.

٤) دوزي، تكملة المعجم العربية، ٩/٢٨٧.

٥) تاريخ الأندلس، ص ٦٧.

٦) الإحاطة، ١/٢١٩.

٧) إيزابيلا بنت الملك خوان الثاني ملك قشتالة تزوجت من ابن عمها فرناندو الارجوني وعلى اثر ذلك اتحدت قشتالة وأراغون واعتلت مع زوجها العرش الاسباني وعلى يدهما كانت نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس=

الزهرة بين الأشواك[1].

وتضم مدينة لوشة المدينة القديمة بمبانيها وأزقتها ثم البسيط المحيط بها ، والمدينة القديمة لا تختلف عن مثيلاتها الإسلامية من مدن العصور الوسطى حيث المسالك الضيقة والملتوية وبعضها مغلقة في آخرها وقد صممت لأغراض دفاعية يساعدها على صد غارات الأعداء وصعوبة اقتحامها فضلاً عن أنها تحمي السكان من حرارة الصيف وشدة الرياح[2] ، وقد وصف ابن الخطيب لوشة وأزقتها بقوله: ((إلا أن داخلها حرج الأزقة ، وأحوال أهلها مائلة إلى الرقة ، وأزقتها قذرة ، وأسباب التطوّف بها متعذرة ، ...))[3] ، وبنيت بعض مبانيها على السفح فوق ربوة صخرية عالية فيما بُني البعض الآخر في منخفض الوادي ، وأطلال هذه المدينة القديمة ماثلة إلى اليوم حيث قلعة المدينة وبقايا بناء يُظن أنه بقايا المسجد وفيه ثلاثة عقود على صفين ولا يحتوي على نقوش أو كتابات وقد عفى عليها الخراب ، كما يقوم فيها بناء خرب كبير ذو فناء أندلسي قديم وهو على طابقين في كل منهما عدة غرف يُظن أنها من مرافق القصبة الأندلسية القديمة ، وفي وسط المدينة تقوم الكنيسة التي بُنيت فوق موضع المسجد القديم ، وتضم القصبة القلعة والقصر والمسجد الجامع[4].

=وكانت وفاتها سنة٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، ينظر : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥/١٨٠ وما بعدها.

١) Wikipedia,org. ، مقالة عن لوشة الأندلسية.

٢) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدينة العربية الإسلامية، ص ٢٢٨.

٣) معيار الاختيار، ص ١٢٦.

٤) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٥ -٢٣٧.

أما بسيطها المحيط بها فهو يمتد على سفوح الجبال القريبة منها وأشهرها جبل شلير[1] وفيه كثير من الحصون والقرى ، وقد أثنى ابن سعيد في وصفه لبسيطها بقوله: ((بَينهَا وَبَين غرناطة مرحلة من أحسن المراحل بَين أنهارٍ وظلال أشجَار فِي بِسَاط ممتد تبَارك الله الَّذِي أبداه بديعاً فِي حسنه.. فَلَو كَانَ للدنيا عروس من أرْضهَا لَكَانَ ذَلِك الْموضع))[2] ، كما قال المقري عن لوشة وبسيطها: ((وهذا القطر ضخم ينضاف إليه من الحصون والقرى كثير ، وقاعدته لوشة))[3] ، وهذا البسيط يشقه نهر شنيل من الجنوب إلى الشمال وهو غربي غرناطة وعلى ضفتيه مسافة أربعين ميلاً ((بين بساتين وقرى وضيّع كثيرة البيوت والعلالي وأبراج الحمام وغير ذلك من المباني ، وينتهي فحصها إلى لوشة))[4] ، وأشار أبو الفدا إلى أن المسافة بين غرناطة ولوشة مرحلة بين البساتين والرياض[5] ، كما وصف ابن الخطيب بسيط لوشة بقوله: ((مرأى بهيج ، ومنظر يروق ويهيج ، ونهر سيال ، وغصن مياد ، وجنات وعيون ، ولذات لا تمطل بها ديون ، وجداول

---

١) جبل شلير ويسمى جبل الثلج ويدعى الآن سيرانيفادا، وهو يتصل بجبال رية ويلتصق بالجزيرة الخضراء، طوله يومان ولارتفاعه فإن الثلج لا ينفك عنه صيفاً ولا شتاءً، ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٣؛ حتاملة، أيبيريا، ص ٥٠.

٢) المغرب في حلي المغرب، ١٥٧/٢.

٣) نفح الطيب، ١٤٨/١؛ ينظر أيضا : ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٤/١.

٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٢٨/٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٠٨/٥.

٥) تقويم البلدان، ص ١٦٨؛ ينظر أيضاً: المقري، نفح الطيب، ١٤٨/١.

تنضح بها الجوانح ، ومحاسن يشغل بها عن وكره السائح ، ونِعَم يذكر بها المانع المانح ، ما شئت من رحا يدور ، ونطف تشفى بها الصدور ، وصيد ووقود ، وأعناب كما زانت اللبات عقود ، وأرانب تحسبهم أيقاظا وهم رقود ، إلى معدن الملح ، ومعصر الزيت ، والخضر المتكفلة بخصب البيت ، والمرافق التي لا تحصر إلا بعد الكيت ، والخارج الذي عضد مسحة الملاحة ، بجدوى الفلاحة))[1].

ونص ابن الخطيب أعلاه فائق الأهمية في وصف الحياة الاقتصادية لمدينة لوشة ، فهو يشير إلى وفرة مياهها المتدفقة من العيون التي مصدرها الجبل المجاور والتي تشتغل من قبل السكان في تدوير الارحاء التي تستخدم في طحن الحبوب وبعضها للسقي ورفع المياه إلى البساتين التي اكتظت بأشجار الزيتون إلى جنبها معاصر الزيت ، فضلاً عن وفرة الثروة الحيوانية لاسيما الطيور التي جذبت السياح وأهل البلد للنزهة والصيد ، كما أشار إلى معدن الملح الذي يعد ثروة معدنية استغله أهالي لوشة لمنافعهم.

كما ينبت على سفح جبل شلير الأعشاب التي تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وشكل أحد موارد المنطقة الاقتصادية ، وقد أشار القلقشندي إلى ذلك بقوله: وبجبل شلير((عقاقير الهند وعشب يستعمل في الأدوية ، يعرفها الشجّارون لا توجد في الهند ولا في غيره))[2] ، كما ذكر الزهري أن في بعض أعمالها ينتج الحرير بقوله: ((ويجلب الحرير

---

١) معيار الاختيار، ١٢٥ -١٢٦.

٢) صبح الأعشى، ٢٠٩/٥.

من بعض أعمالها))[1] أي أنه يدخل في تجارة المنطقة

ومن معالمها غار في جبل عند لوشة فيه رجال أموات أشاع الناس هناك أنهم أصحاب الكهف الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، وربما أشاعوا ذلك لجذب السياح إليهم والانتفاع منهم ، وقد زار هذا الكهف الرحالة الإدريسي وسجل ملاحظته عنه نافياً أن يكونوا هم أصحاب الكهف بقوله: ((ووهم أهل الأندلس في أصحاب الرقيم حين زعموا أن أصحاب الكهف هم الشهداء الذين هم في مدينة لوشة ، قال المؤلف: رأيت القوم في هذا الكهف عام عشرة وخمس مائة فنزلنا إليهم على فم بئر عميقة نحواً من قامة وزائد ثم مشينا فيه في سرب فيه ظلمة خطوات قلائل ثم اتسع الغار فألفينا هناك الموتى وهم رقود على جنوبهم وعددهم سبعة وعند أرجلهم كلب ملتو وقد ذهب لحمه وجلده وبقيت عظامه في فقاراته كما هي في الحياة ولا يعلم أحد في أي زمن دخلوا هذا الكهف أو أُدخلوا إليه ، وأول رجل يلفى منهم له خلق عظيم وله رأس كبير وأهل الأندلس يقولون إن هؤلاء القوم الذين في هذا الكهف موتى هم أصحاب الكهف))[2].

---

١) الجغرافية، ص ٩٦.

٢) نزهة المشتاق، ٨٠٣/٢؛ ينظر أيضاً : العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٢ -٩٣؛ الزهري، الجغرافية، ص ٩٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧١؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٦٨.

المبحث الثاني

التاريخ السياسي لمدينة لوشة

٩٢ – ٨٩١ هـ/ ٧١٠ –١٤٨٦ م

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتح المسلمين مدينة لوشة أو تاريخ ذلك ، إلا أنه على ما يبدو أنها فتحت أثناء فتح المسلمين لكورة البيرة وقرطبة وذلك لأنها تقع إلى الجنوب من قرطبة وغرب البيرة فمن غير المعقول أن تسير الجيوش إلى قرطبة أو البيرة دون أن تمر في لوشة أو بعض منها ، فعندما تمكن طارق بن زياد من هزيمة ملك القوط الغربيين Viaigoths لوذريق في معركة وادي لكة[١] Rio Cuadalete في شوال من سنة ٩٢هـ/٧١٠م اتجه إلى إشبيلية Sevilla فتمكن من فتحها ثم اتجه إلى مدينة إستجة Ecija [٢] التي تجمع فيها قسم من الجيش القوطي ، وبعد هزيمتهم قرر التقدم والزحف مباشرة إلى طليطلة Tolodo عاصمة القوط الغربيين ، وقبل أن يشرع أرسل فرقاً من جيشه لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط وهي: قرطبة[٣] والبيرة

---

١) مدينة أندلسية من كورة شذونة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٥١١.

٢) مدينة أندلسية قديمة تقع بين القبلة والغرب من قرطبة، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣.

٣) وهي قاعدة وعاصمة الأندلس لحقبة طويلة تقع على نهر الوادي الكبير، ينظر=

ومالقة Malaga[1] وتدمير Tudmir[2].

أما بالنسبة للجيش المتجه نحو البيرة فتمكنوا من فتح مدينتها ثم فتحوا غرناطة Granada ثم مضوا إلى تدمير[3] ، ويمكن القول إن ذلك كان في أواخر سنة٩٢هـ/٧١٠م ، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال المقري: ((كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوّال بعد تتمة ثمانية أيام ، ...))[4] ، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها[5] ، ولما كان طارق في طليطلة أوائل سنة٩٣هـ/٧١١م[6] ، فهذا يعني أن دخول لوشة في حكم المسلمين كان في المدة بين شوال وذي الحجة من سنة٩٢هـ/٧١٠م ، وذلك بحكم قربها من إستجة التي انطلقت منها جيوش المسلمين لفتح كورة البيرة.

تعد خصوبة أرض لوشة ووفرة المياه فيها وصلاحيتها للزراعة فضلاً عن أشجار الزيتون والمراعي عامل جذب للسكنى فيها ، وليس لدينا

= ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦-٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦-٤٥٧.

١) وهي كورة كبيرة في الأندلس تقع بين القبلة والشرق من قرطبة، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٠.

٢) لمزيد من التفاصيل ينظر : مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٨/١ -١٩.

٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٢ -٢٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٦.

٤) نفح الطيب، ٢٥٩/١؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢.

٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢ -١٠؛ المقري، نفح الطيب، ١٢/٣.

٦) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.

تفاصيل كثيرة عن القبائل العربية التي استوطنت في لوشة وبسيطها وتاريخ ذلك ولكن هناك بعض الإشارات من خلال تراجم الشخصيات البارزة في لوشة التي ذكرت أن أوليتهم من لوشة وهي إشارة يفهم منها أنهم استوطنوها في وقت مبكر نذكر منهم:

قبيلة يحصب اليمنية[١] التي نزل لوشة جماعة كان لهم حضور فيها[٢] ،والراجح أن ذلك كان في عصر الفتح لأن أعداداً كبيرة من يحصب صاحبوا عملية الفتح[٣] ، كما سكنها جماعة من قبيلة الصدف[٤] الحضرمية اليمنية[٥] ، وكان دخول هذه القبيلة إلى الأندلس على دفعتين الأولى مع القائد موسى بن نصير والأخرى مع بلج بن بشر القشيري[٦] ، فالراجح أن نزولهم لوشة كان في وقت مبكر ، وهناك إشارة إلى أن عدداً من أفراد مذحج[٧] نزلوها أيضاً[٨] ، كما نزلها في

---

١) وهم نسبة إلى يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد الحميري، ينظر : ابن حزم، جهرة أنساب العرب، ص ٤٣٥.

٢) ابن الابار، التكملة، ٢٦/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٧٤/٢، ٢٩٣/٣.

٣) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠٦.

٤) هو الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن حضرموت، ينظر : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦١.

٥) ابن الابار، التكملة، ١١٠/٣، ١٤٣، ٥٥/٤.

٦) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠١؛ وبلج بن بشر القشيري هو الذي عبر إلى الأندلس بجند الشام بعد هزيمتهم إمام البربر وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على السلطة فيها، وكانت ولايته فيها احد عشر شهرا وتوفي سنة ١٢٤ هـ/٧٤١ م، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٦٥، ٦٨، ٧٠.

٧) مذحج هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

٨) ابن الابار، التكملة، ٣٦٢/١.

وقت مبكر عدد من أبناء قبيلة المعافر[1] اليمنية ، وأول من نزلها هم ولد عقبة بن نعيم المعافري الداخل إلى الأندلس حيث نزلوا في قرية شنكب من عمل لوشة[2] ، كما نزلها أعداد من موالي بني أمية وأغلب هؤلاء الذين دخلوا الأندلس مع بلج القشيري[3] ،ومن أشهرهم بني خالد وهم موالي الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولهم جبل يعرف بجبل أبي خالد مطل على لوشة ، قال ابن الخطيب: (كان لهم ظهور هنالك ، وفيهم أعلام وفضلاء)[4].

ويبدو أن مدينة لوشة Loja عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث التي الكبيرة حتى منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ولعل ذلك راجع إلى قربها من قرطبة وقوة الدولة وحكامها آنذاك فضلاً عن أن الأضواء كانت تسلط على الحواضر الكبرى ، فكانت البيرة هي قصبة الكورة وإليها يقصد العمال والولاة[5].

إلا أن عهد الأمير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الثاني (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨- ٩١٢م) شهد العديد من التمردات والفتن الداخلية ، وقد وصف ابن الأثير عهده بقوله: ((وفي أيامه امتلأت الأندلس

---

١)المعافر نسبة إلى يعفر بن الحارث بن مالك بن مرة بن أدد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ،ينظر: ابن حزم،جمهرة أنساب العرب، ص٤١٨.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٤٠٠.

٣) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٢٢.

٤) الإحاطة، ٢٢٩/١.

٥) ينظر مثلاً : ابن الابار، الحلة السيراء، ١/ ١٥٦، ١٦١، ٢٤١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٥/٢، ١٠٩، ١٦٣، ١٨٢.

بالفتن ، وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته))[1].

ويبدو أن الحركات قد استفحلت في معظم مناطق الأندلس ولم تبق قاصرة على المناطق الجبلية ، بل تجاوزها إلى القواعد والمدن الكبيرة مثل إشبيلية[2] وبطليوس Badajoz[3] وجيان Jaen والبيرة وقبرة Cabra ولورقة Lorca ومرسية Murcia وغيرها ، ومن أشهر حركات التمرد التي شهدتها المنطقة هي حركة عمر بن حفصون[4] وكانت بدايتها من حصن ببشترBobastro في إقليم ريّة Rejio والتف حوله جماعة من المولدين مستغلاً حالة الانفلات الأمني الذي ساد في عهد الأمير عبد الله بن محمد(٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) فاستولى على مناطق واسعة من كورة البيرة وشذونة Sidonia وجيان ، وأشار ابن الخطيب إلى أن ابن حفصون ((اتسع نظره حتى تملّك كورة ريّه ، والخضراء ، وإلبيرة ، إلى بسطة ، وأبّدة ، وبيّاسة ، وقبرة ، إلى حصن بلي المطل على قرطبة ، وأشرق الخلافة

---

١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٩.

٢) مدينة أندلسية قديمة تبعد عن قرطبة ثمانين ميلاً، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨ ؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤ -١٧٥.

٣) مدينة تقع غرب الأندلس تبعد عن ماردة أربعين ميلاً، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣

٤) عمر بن حفصون كان من المولدين ثار بالأندلس بإقليم رية سنة ٢٦٧ هـ/٨٨٠ م واستمرت ثورته حتى عهد الناصر إذ تمكن من القضاء عليه، وكانت وفاته سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م، ينظر : ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨-٩١٢ م) ص٧٢ -٧٧؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ١٠٤/٢ وما بعدها ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢ - ٣٥.

بريقها ،...))[1] ، وهذا يعني أن نفوذه امتد إلى مدينة لوشة.

وفي سنة٢٧٦هـ/٨٨٩م تمكن الأمير عبدالله من هزيمة ابن حفصون مما أجبره على الاعتراف بذنبه وعقد الصلح مع الأمير ، إلا أن ابن حفصون لم يلتزم بذلك فقد نقض الصلح سنة٢٧٩هـ/٨٩٢م وأخذ يوسع نفوذه جنوباً ، وهو ما دفع الأمير عبدالله إلى إرسال ولده الأمير مطرف على رأس جيش تمكن خلاله من هزيمة ابن حفصون في معقله بقلعة ببشتر إلا أنه لم يتمكن من تعقبه ، عندها حاول الأمير المطرف فرض حصار عليه لمنعه من التمدد جنوباً بإتجاه غرناطة ، فعمل على مهاجمة مدينة لوشة وتحصينها وشحنها بالجيش وترك عليها أحد قواده وهو إدريس بن عبدالله عاملاً عليها الذي وطد الطاعة فيها[2] ، وبذلك أصبحت مدينة لوشة مركزاً تنطلق منه جيوش الإمارة الأموية لمهاجمة ابن حفصون.

ففي سنة٢٩١هـ/٩٠٣م خرج جيش الإمارة بقيادة الأمير أبان بن الأمير عبدالله نحو مناطق ابن حفصون من الشمال فيما أوعز إلى قائده أحمد بن محمد بن أبي عبدة ليهاجم ابن حفصون من لوشة جنوباً ، وقد تمكن جيش الإمارة من هزيمة ابن حفصون وأسر أعداداً كبيرة من قواته وقتل أعداداً أخرى وقد أرسل الأسرى ورؤوس القتلى إلى مدينة لوشة[3] ، ويتضح من الأحداث أعلاه أن أهل لوشة كان

---

١) الإحاطة، ٢٦/٤.

٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥ -٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ -٩١٢ م)، ص ١٣٠ – ١٣١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٤/٢.

٣) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨-٩١٢م)، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ؛ ابن=

لهم دور كبير في مقارعة ابن حفصون بنصرتهم جيش حكومة قرطبة ، وبعد ذلك لم تشهد مدينة لوشة أحداثاً كبيرة طيلة عهد عبدالرحمن الثالث الناصر ما يعني استقامة الأمور بها.

كما يبدو أن قبضة حكومة قرطبة استمرت بعد ذلك لعدم ذكر المصادر أحداثاً مهمة وقعت فيها واستمر ولاء الناس وطاعتهم ، ففي سنة٣٦٠هـ/٩٧٠م استقبل الخليفة الحكم المستنصر بالله(٣٥٠-٣٦٦هـ /٩٦١-٩٧٦م) وفود أهل الأندلس الذين قدموا عليه لمشاهدة وفد المغرب من زناتة[١] في بلاط الخليفة وكان في مقدمتهم وفد أهل لوشة[٢].

وبعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس مايسمى بالفتنة[٣] في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة٤٢٢هـ/١٠٣٠م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف Los، Taifas (٤٢٢-٤٨٤هـ /١٠٣٠-١٠٩١م) وأحسن وصف لهذا جاء على لسان ابن الخطيب إذ قال: ((نقول وبالله الاستعانة ومنه الحول والقوة ذهب أهل الأندلس من

=عذاري، البيان المغرب، ٢/١٤٠ -١٤١.

١) ينظر التفاصيل عن استقبال وفد زناتة ومعهم جعفر بن علي بن حمدون في الأندلس : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠ -٣٦٤هـ/ ٩٧٠ -٩٧٤م) ص ٥٦ -٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٤٢ -٢٤٣.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠ -٣٦٤ هـ / ٩٧٠ -٩٧٤ م) ص ٥٧.

٣) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٨ م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ /١٠٣٠ م، ينظر : العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/١٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥٣.

الانشقاق ، والانشعاب ، والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار ، مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعبّاد الصليب ، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ، ولا في الإمارة سبب ، ولا في الفروسية نسب ، ولا في شروط الإمامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار ، وجبوا العمالات والأمصار ، وجندوا الجنود ، وقدموا القضاة ، وانتحلوا الألقاب ، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام ، وأنشدهم الشعراء ، ودونت بأسمائهم الدواوين ، وشهدت بوجوب حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليهم الفضلاء ، وهم ما بين مجبوب ، وبربري مجلوب ، ومجند غير محبوب ، وغفل ليس في السراة بمحسوب ، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراً ، ولا لحرب الحق مغايراً ، وقصارى أحدهم يقول: أقيم على ما بيدي ، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه ، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه ، ولا لقي خيراً لديه ، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالا وأعماراً ، وخلفوا آثاراً ، وإن كانوا لم يبالوا اغترارا ، من معتمد ، ومعتضد ، ومرتضى ، وموفق ، ومستكفي ، ومستظهر ، ومستعين ، ومنصور ، وناصر ، ومتوكل))[1].

وهكذا انقسمت الأندلس إلى دويلات فكانت مدينة لوشة من نصيب بني مناد الصنهاجيين[2] الذين حكموا المنطقة للمدة من

---

١) أعمال الأعلام، ١٣٩/٢ -١٤٠.

٢) ينظر عن نسب بني مناد في غرناطة : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥؛ ابن خلدون، العبر، ٢٣٨/٦؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣١٧.

٤٠٣ -٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م [١] ، وقد امتدت حدود دولتهم إلى جيان وبسطة Baza وإستجة وما تحت أقسام قرطبة[٢] وبذلك فقد أصبحت لوشة ومنطقتها ضمن دولتهم.

وفي أواخر عهد أميرها حبوس بن باديس(٤٢٩-٤٦٧هـ/١٠٣٧-١٠٧٤م) رابع حكام بني زيري في غرناطة أخذ عمال المناطق التابعة له يتدخلون في شؤون الدولة وذلك بسبب إطلاق يد وزرائه في الحكم ، ففي وزارة النابة[٣] الذي وصفه ابن بلقين(بأنه الحاكم دون السلطان)[٤] تآمر صاحب باغة Priego وصاحب قبرة وصاحب وادي آش Guadix على الإيقاع بالناية ، فعلاً تمكنوا من قتله[٥] ،وذلك يدل على تنامي نفوذ أولئك الولاة في مناطقهم ، وامتدت حالة التمرد إلى مدينة لوشة في عهد عبد الله بن بلقين(٤٦٧ -٤٨٣هـ/ ١٠٧٤-١٠٩٠م) إذ ضعفت دولة بني مناد الصنهاجيين في غرناطة وتكالب عليها بقية دويلات الطوائف[٦] فضلاً عن عمال المدن والحصون التابعة لها.

---

١) ينظر التفاصيل عن دولة بني مناد: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٠/٢ -١٤٦.

٢) ابن بلقين، التبيان، ص ٣٤، ١٣٧ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٨/١ ؛ أعمال الأعلام، ٢١١/٢ ؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٤٦ .

٣) كان النابة عبداً للمعتضد بن عباد واتهم بالتآمر عليه ففر إلى حبوس بن باديس الذي قربه وحظي عنده حتى استوزره بعد مقتل وزيره اليهودي يوسف بن نغرالة، ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص ٣٥ -٣٦.

٤) التبيان، ص ٤٤.

٥) ابن بلقين، التبيان، ص ٤٦ -٤٧.

٦) ينظر المزيد عن حالة دولة بني مناد أيام عبد الله بن بلقين : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٢/٢ -٢١٤ ؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧١ -١٧٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٤٢/٢ -١٤٦.

فقد ثار مؤمل[1] أحد عبيد باديس على الأمير عبد الله بن بلقين في لوشة ، وهناك روايتان عن هذه الثورة ، ذكر الأولى الأمير عبد الله في مذكراته ، إذ أشار إلى أنه عندما رأى كثرة الثورات عليه في أطراف دولته وعجز قواده عن القيام بمهامهم عمل على اعتقال عدد منهم مما أثار حفيظتهم ومن بينهم صاحب المدينة لبيب الخصي ، وكان مؤمل خارج غرناطة فلما علم بما جرى خاف على نفسه فقصد لوشة واتفق مع عاملها واجتمع بجند لوشة وأوهمهم بأنه لجأ إليهم للتخلص من براثن النصارى الذين استحوذوا على غرناطة ومقدراتها ، كما خاطب أمراء الطوائف في الأندلس للوقوف إلى جانبه ضد الأمير عبد الله بن بلقين ، إلا أنه لم يجبه أحد ، ولما يئس من نصرتهم أرسل إلى يوسف بن تاشفين[2] أمير المرابطين Los، Almoravides للقيام بدعوته ، كما أرسل إلى عمال المدن والحصون الآخرين التابعين لغرناطة بالخروج معه ، إلا أنهم شكوا بنيته فأرسلوا إلى غرناطة للاطلاع على حقيقة

---

١) مؤمل أحد عبيد باديس بن حبوس كان ذو دهاء وفطنة فقربه الأمير عبد الله بن بلقين، ولما دخل يوسف بن تاشفين الأندلس نصح مؤمل الأمير عبد الله بخلع نفسه فرفض الأمير عبدالله وغضب عليه مما اضطره إلى الفرار إلى لوشة وهناك دعا للمرابطين إلا أن الأمير عبد الله أرسل إليه من قبض عليه وسجنه ثم عفا عنه، وكانت وفته سنة٤٩٢هـ/١٠٩٨ م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢٥١-٢٥٣.

٢) يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ومؤسس دولتهم التي وطد أركانها، وكان له دور كبير في فتح بعض مناطق المغرب ومن ثم الأندلس إذ عبر إليها بجيش كبير بعد استنجاد الأندلسيين به، وتمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بقوات مملكة قشتالة بقيادة الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م، بعدها قام بتوحيد الأندلس تحت حكمه، وتوفي سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م، ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٤٦٨-٤٧٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٦ -١٥٦.

الوضع فأخبرهم الأمير عبد الله فعلموا أنه مخالف وطلبوا من الأمير عبد الله بن بلقين العون لمنازلته ، فأرسل إليه الأمير يدعوه إلى الطاعة ويحذره سوء العاقبة ، فلما يئس منه أرسل إليه جيشاً تمكن من دخول لوشة والقبض على مؤمل ومن معه ، ثم استشار الفقهاء فأفتى فريق منهم بقتلهم وأفتى آخرون بغير ذلك فآثر الأمير البقاء عليهم مع سجنهم[1].

أما الرواية الثانية فذكرها ابن الخطيب قال: إن مؤملاً أشار على الأمير عبدالله بالخروج إلى يوسف بن تاشفين متى قرب من غرناطة ، فغضب عليه الأمير عبد الله ففر إلى لوشة فملكها ودعا ليوسف بن تاشفين فيها ، فكان ذلك من أدعى الأسباب للأخير بمهاجمة غرناطة ، عندها بادر الأمير عبدالله بإرسال جيشه إلى لوشة وتغلب على مؤمل وساقه إلى غرناطة وسجنه ، ولما علم ابن تاشفين بذلك أرسل إلى الأمير عبدالله بإطلاق سراحه فأطلقه إذ لم يسعه مخالفته[2].

ومن كلا الروايتين يتبين أن معارضة قامت في غرناطة ضد الأمير عبد الله بن بلقين أخذت تنادي بخلعة وطاعة المرابطين لما رأوا أن الرياح تجري لصالحهم في الأندلس عسى أن ينالوا لديهم حظوة ، وفعلا حدث ذلك ، إذ أشار ابن الخطيب إلى أن يوسف بن تاشفين عندما دخل غرناطة((قدّم مؤمّلا على مستخلصه وجعل بيده مفاتيح قصره ، فنال ماشاء من مال وحظوة ، واقتنى ما أراد من صامت وذخيرة... رزقه

---

١) التبيان، ص ١٣٦ – ١٣٨؛ ينظر أيضاً : الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧٦.
٢) الإحاطة، ٢٥٢/٣ -٢٥٣.

الله عند أمير المسلمين ، أيام حياته ، منزلة لطيفة ودرجة رفيعة))[1].

وكان دخول يوسف بن تاشفين إلى غرناطة في رجب من سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[2] ، والراجح أن مدينة لوشة ومدن غرب غرناطة دخلت في حوزة المرابطين قبل هذا التاريخ بقليل ، إذ أشار الأمير عبد الله إلى أن يوسف بن تاشفين أرسل إلى جميع حصون الغرب التابعين لدولته رسائل جاء فيها: ((أما بعد: فقد "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا"[3] إن لم تطوعونا "فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"[4] ، وإن خطابه لم يرد على معقل إلاّ وألقى بيده ، وقام أهله على إخراج قائدهم ، حتى تناثرت المعاقل كلها كانتثار العقد ، ... ، وقلت: لا طاقة لي بجميع أهل البلاد إذ غدروا وخرجوا عن الطاعة))[5].

ويبدو أن مدينة لوشة ظلت تابعة إلى أمراء البيت المرابطي في غرناطة وكان فيها يحيى بن علي بن غانية[6] حتى سنة٥٤٣هـ/١١٤٨م ،

---

١) الإحاطة، ٢٥٣/٣.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٦/٤.

٣) من الآية ٨١ من سورة الإسراء.

٤) من الآية ٢٧٩ من سورة البقرة.

٥) التبيان، ص ١٤٨.

٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٠، هو يحيى بن علي بن غانية من قبيلة مسوفة البربرية، وغانية أمّه، كان رجلاً صالحاً عارفاً بالفقه والحديث، ومع هذا كان فارساً شجاعاً، أرسله الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتمكن من توطيد الأمور فيها، فعينه والياً على بلنسية ثم على قرطبة، وكانت وفاته في حدود سنة٥٤٢ هـ/١١٤٧ م، ينظر : المراكشي، المعجب، ص١٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠-٤١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤

وعلى الرغم من عدم ورود نص مباشر إلا أن المفاوضات التي جرت بين يحيى بن غانية والموحدين Los Almohades ، حول تسليم قرطبة لهم كانت في إستجة ثم اتفق الطرفان على أن يسلم ابن غانية قرطبة وقرمونة Carmona إلى الموحدين[1] ، وجغرافياً فإن لوشة تقع قرب إستجة[2] مايعني أنها دخلت في حوزة الموحدين في سنة٥٤٣هـ/١١٤٨م ، وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك صراحة عند ذكره لوفاة يحيى بن غانية في غرناطة ، إذ ذكر أن فلوج العلج مولى ابن غانية انتقل بعد وفاة مولاه إلى حصن بني بشير إلا أنه ما لبث أن غادر الحصن مخلفاً عليه رجلاً يدعى ابن مالك ولحق بأخي مولاه إسحاق بن محمد بن غانية الذي قبض عليه وقتله ، فلما بلغ ذاع خبر مقتله بادر الموحدون الذين كانوا بلوشة بالاستيلاء على الحصن[3] ، ولما كانت وفاة يحيى بن غانية في غرناطة في شعبان سنة٥٤٣هـ/١١٤٨م[4] فهذا يعني أن دخول الموحدين إلى لوشة قبل ذلك التاريخ.

وفي الحقبة الأولى من العهد الموحدي لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أحداث وقعت فيها أو إلى ولاتها ولعلها كانت تابعة إلى ولاة الموحدين في غرناطة ، ولكن بعد هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م[1] دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال ،

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤١.
٢) ينظر الخارطة.
٣) الإحاطة، ٢١٧/٤.
٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين،ص٤٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤.
١) ينظر التفاصيل عن موقعة العقاب : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم=

فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن ، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على نفس الصورة التي جرت في أواخر عهد المرابطين ، وبخصوص لوشة فقد تأثرت بما جرى من منافسات بين أبناء بني عبد المؤمن ، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) ابنه المستنصر بالله[١] الذي حكم حتى سنة٦٢٠هـ/١٢٢٣م إذ توفي فجأة فبايع أهل مراكش عبدالواحد بن يوسف بن عبدالمؤمن(٦٢٠-٦٢١هـ /١٢٢٣-١٢٢٤م) بالخلافة فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبدالله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية Murcia بالأندلس فدعا أشياخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة٦٢١هـ/١٢٢٤م وتلقب بالعادل(٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور ، فأصبح للدولة الموحدية خليفتان أحدهما في مراكش والآخر في إشبيلية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ذلك أن ابن عمّ العادل أبو محمد عبدالله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي خلع بيعة العادل ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيّان وأبدة Ubeda وبيّاسة Baeza[٢] ، والراجح أن لوشة قد دخلت هي الأخرى في طاعة البياسي طيلة مدة

=الموحدين، ص ٢٦٣ -٢٦٥.

١) تولى الخلافة في الدولة الموحدية للمدة (٦١٠ - ٦٢٠هـ/ ١٢١٣ - ١٢٢٣م)، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤١ -٢٤٣.

٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١.

حكمه ، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((قام عبدالله البياسي بالأندلس وكان العادل ولاه قرطبة ، فخلع دعوة العادل ، وخرج عن طاعة الموحدين ، واستعان بالنصارى عليهم ودلهم على عورات تلك البلاد وأدخلهم قيجاطة Quesada [1] وغيرها من بلاد المسلمين ، فتملكوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحريم والأولاد ، ثم دخل بهم حصن باجة ولوشة وغيرها من الحصون الإسلامية ،...))[2].

فيما أشار الحميري إلى أن البياسي استعان بالنصارى للسيطرة على العديد من المناطق جنوب قرطبة بقوله: ((كان عبدالله صاحب بياسة من بني عبدالمؤمن وهو المعروف بالبياسي استدعى عدو الدين لما نزل عليه العادل ببياسة ، فحاصره فأقلع عنه دون شيء ، فلما لم يجد في المسلمين كبير إعانة استدعى النصارى فوصلوا إليه ، فسلم إلى ألفنش بياسة وجازى أهلها شرّ الجزاء ، بعد ما آووه ونصروه ، فأخرجهم منها وسار مع الفنش ليأخذ معاقل الإسلام باسمه ، فدخل قيجاطة من عمل جيان بالسيف ، فقتل العدو فيها خلقاً كثيراً وأسر آخرين ، وكان حديثها شنيعاً تنفر منه القلوب والأسماع ، ثم نهض أيضاً ومعه العدو إلى لوشة من عمل غرناطة ، فاعتصم أهلها بسورها الحصين وقاتلوا أشد القتال ، وأسمعوه ما أهاج غيظه ، فلما تمكن منها سلط عليهم عدوهم في الدين ففتكوا بهم أشد الفتك ، ثم ساروا إلى بيغو(باغة)

---

١) قيجاطة مدينة أندلسية من أعمال مدينة جيّان، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.

٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١.

هذه فأطال مع الفنش حصارها إلى أن دخل البلد بعد شدة وصالحه أهل القلعة ، وما زال أمره يقوى إلى أن احتوى على قرطبة ومالقة وكثير من معاقل هاتين القاعدتين وبلادهما ، ...))[1].

ثم قرر البياسي بعد أن فرض سيطرته على معظم مناطق الأندلس الوسطى ، أن يستولي على إشبيلية ويقضي على منافسه نهائياً ، فخرج بقواته صوبها سنة٦٢٣هـ/١٢٢٦م فاستعد الجيش الموحدي للقائه ونشبت معركة هُزم فيها البياسي ، ومزق جيشه ، وارتد إلى قرطبة الذين ثاروا عليه وقتلوه في نفس السنة أعلاه[2] ، وهذا يعني أن لوشة عادت مرة أخرى إلى نفوذ الموحدين ، وقد أشار المقري إلى ذلك بقوله: ((ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل ، فعاثوا فيها أشد العيث ، ثم ردها المسلمون))[3].

ولكن اضطراب الأمور في الدولة الموحدية أدى إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس ، وبقدر ما يتعلق الأمر بلوشة فإن أشهرها تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي[4] ومحمد بن يوسف

---

١) الروض المعطار، ص ١٢٢.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٤.

٣) نفح الطيب، ٤٦١/٤.

٤) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية بعد انقراض دولة الموحدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨ -٢٨٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٦/٢ -٢٥٠ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٤ -٢٦٦.

بن الأحمر[1] ، وكان الأول قد ثار على الموحدين سنة٦٢٥هـ/١٢٢٧ م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق كما حاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي وغدا أكبر الثوار الذي سيوحد الأندلس على يديه ، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله: ((وصرح له تملك الأندلس ، وأطاعته سبتة ، وملك رباط الفتح))[2] ، كما ذكر ابن أبي زرع أنه في سنة٦٢٨هـ/١٢٣٠م ملك الأندلس ابن هود ولم يبق للموحدين فيها أمرٌ ولا نهي[3] ، وعلى هذا فإن لوشة كانت ضمن نفوذه.

إلا أن الذي خطف من ابن هود آماله هو ظهور الثائر الآخر من بني نصر وهو محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالغالب بالله الذي يرجع نسب عائلته كسادة على حصن أرجونة Arjona[4] الواقعة على مقربة من نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir ، وكان لبني نصر في تلك المنطقة عصبية ووجاهة ، فلما اضطربت الأمور في الدولة الموحدية

---

١) محمد بن يوسف بن الأحمر النصري من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعاقل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٩٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة٣/٢ وما بعدها؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٧ -٢٦٩.

٢) أعمال الأعلام، ٢٤٨/٢؛ ينظر أيضاً : الإحاطة، ٧٦/٢.

٣) الأنيس المطرب، ص ٢٧٥.

٤) بلد ناحية جيان بالأندلس، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥.

وظهر ابن هود في شرق الأندلس ، لاحت لمحمد بن يوسف بن الأحمر فرصة الظهور ، فدعا لنفسه وبويع أولاً في أرجونة موطن أسرته وأنصاره وفي المناطق القريبة منها وذلك سنة٦٢٩هـ/١٢٣١م[١].

ومن أرجونة أخذ ابن الأحمر يوسع نفوذه ، ففي سنة٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م تمكن من الدخول إلى مدينة جيان وقرطبة وبعض مناطق غرب الأندلس[٢] ثم أطاعته أهالي مدينتي بسطة ووادي آش[٣] ، وهذا يعني أن لوشة قد أصبحت ضمن مناطق نفوذه ، وهكذا قوى أمره وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على القواعد الجنوبية ، وأراد أن يستظل بلواء سلطة إسلامية مرموقة ، فدعا أولاً للأمير أبي زكريا الحفصي[٤] صاحب إفريقية ، وتلقى منه بعض العون ، ولكنه عاد فخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله[٥] [٦].

ويبدو أن ابن هود شعر بخطورة هذه الحركة التي يضطلع بها

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦.

٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥ -٢٧٦؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٣٩٥/٦ -٣٩٦.

٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٥/٤.

٤) هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي بويع له بالخلافة في الدولة الحفصية سنة ٦١٨ هـ/١٢٢١ م وتوفي سنة ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م، ينظر : ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٢٥ -١٢٧.

٥) تولى الخليفة المستنصر بالله الدولة العباسية للمدة من ٦٢٣ -٦٤٠هـ/١٢٢٦ - ١٢٤٢ م، ينظر : السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٤ -٥٤٨.

٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٨/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣١/٤ -٤٣٢.

منافسه الجديد ، فأخذ يتأهب لمواجهته والقضاء على حركته ، كما أن ابن الأحمر كان مستعداً لمواجهة ابن هود لكي يكون هو على رياسة الأندلس ، وقد تأهب الطرفان للمواجهة العسكرية ، وحشد كل منهما مااستطاع من قواته ، وحدث الصدام على مقربة من إشبيلية ، وانتهت المعركة بهزيمة ابن هود وانتصار ابن الأحمر سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م[١].

إلا أن الأمور قد تغيرت فيما بعد ، إذ أدرك الطرفان خطر الحرب فيما بينهما ، وأن المستفيد الوحيد من ذلك هم النصارى المتمثلون بمملكة قشتالة ، لذا عقد الصلح بينهما في سنة٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ، وكان من نتائج هذا الصلح أن يعترف ابن الأحمر بطاعة ابن هود مقابل أن يقره الأخير على جيان وأرجونة وبركونة Porcuna وأحوازها[٢] وقرطبة وقرمونة[٣] ، ولكن سقوط قرطبة بيد النصارى سنة٦٣٣هـ/١٢٣٥م[٤] ، دفعت ابن الأحمر إلى الزحف نحو غرناطة ودخلها سنة٦٣٥هـ/١٢٣٧م واتخذها قاعدة لملكه[٥] ، وبذلك غدت المنطقة من جيان إلى غرناطة تحت نفوذه بما فيها مدينة لوشة ،

---

١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦.

٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٦/٤.

٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥.

٤) ينظر عن سقوط قرطبة: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٦٧ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس٤١٨/٤ -٤٢٥.

٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٢ -٣٤٤؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٠/٤.

وقد حدد عنان سلطان مملكة بني الأحمر عند قيامها بقوله : كانت مملكة غرناطة عند قيامها في أواسط القرن السابع الهجري تشمل القسم الجنوبي من الأندلس القديمة ، وتمتد فيما وراء نهر الوادي الكبير إلى الجنوب ، حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق ، ويحدها من الشمال ولايات جيّان وقرطبة وإشبيلية ، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط الممتد منها إلى الجنوب ، ومن الغرب ولاية قادس Cadiz[1] .

وفي ظل دولة بني الأحمر تحولت مدينة لوشة إلى ثغر ما تطلب إقامة وسائل الدفاع عنها لحمايتها من هجمات النصارى المجاورين لها ، وقد وصفها ابن الخطيب في أيامه بقوله: ((وأسباب التطوّف بها متعذرة ، ومنازلها لنزائل الجند نازلة ، وعيون العدو لثغرها الشنيب مغازلة))[2].

ففي سنة٧١٩هـ/١٣١٩م حشد ملوك أسبانيا النصرانية قواتهم وقرروا استئصال المسلمين من جزيرة الأندلس وأعدوا لذلك جيوشاً من البر والبحر لقطع الإمدادات من المغرب وسارت معهم قوات انكليزية ذات نزعة صليبية ، فكتب سلطان غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر(٧١٣-٧٢٥هـ/١٣١٣-١٣٢٤م)إلى سلطان المرينيين أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف بن عبدالحق المريني(٧١٠ـ٧٣١هـ/١٣١٠ـ١٣٣٠م) يستنجده فتقاعس أول الأمر فلما رأى تكالب الجيوش الصليبية على

---

١) دولة الإسلام في الأندلس، ٥/٥٥.

٢) معيار الاختيار، ص ١٢٦.

المسلمين انجده بقائده الشيخ أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء ، فتقدمت جيوش النصارى وعسكروا على طول وادي نهر شنيل من بسيط لوشة ، وبدأت المعركة بمناوشات ، فخرجت سرية من فرسان قشتالة نحو أرض المسلمين فاعترضهم جماعة من فرسان الأندلس ثم فروا أمامهم فتبعوهم فلما توسطوا لوشة كرّ عليهم المسلمون فاستأصلوهم فكان أول نصر للمسلمين ، ثم أرسل إليهم الشيخ أبو سعيد مجموعة من فرسان المسلمين فيهم أمير لوشة أبو المكارم ريان بن عبد المؤمن واستطاعوا هزيمة الجيش القشتالي وحلفائه على ضفاف نهر شنيل وغنموا منهم أموالاً طائلة وقتلوا منهم خمسين ألفاً وقيل ستين ألفاً[1].

شهدت المرحلة الأخيرة من حياة سلطنة غرناطة(٨٦٨هـ-٨٩٧هـ/ ١٤٦٣-١٤٩١م)استفحال الصراع الأسري بين حكام بني الأحمر حتى صفت إلى السلطان أبي الحسن علي بن سعد بن الأحمر الذي طال حكمه للمدة(٨٦٨-٨٨٧هـ/١٤٦٣-١٤٨٢م) ، وقد وصفه مؤلف مجهول وهو معاصر له بالقول: (... ، وانقرضت أَعْلَام الْفِتْنَة وخمدت نارها ودانت لَهُ جَمِيع بِلَاد الأندلس وَلم يبْق لَهُ فِيهَا معاند وَهُوَ مَعَ ذَلك يَغْزُو بِلَاد الرّوم الْمرة بعد الْمرة حَتَّى غزا غزوات كَثِيرَة وَأظْهر الْأَحْكَام وَنظر فِي مصَالح الْحُصُون ونمى الْجَيْش فهابته النَّصَارَى وصالحته براً

---

١) النويري، نهاية الأرب، ٣١٢/٣٢ -٣١٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٧/١ - ٢٠٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٨/٥.

وبحراً)[1] ، وأضاف: إلا أن السلطان بعد حاثة السيل الذي تعرضت له غرناطة سنة٨٨٣هـ/١٤٧٨م[2] (اشْتغل باللذات والإنهماك فِي الشَّهَوَات وَاللَّهْو بِالنسَاء المطربات وركن إِلَى الرَّاحَة والغفلات وضيع الْجند وَأسْقط كثيرا من نجدة الفرسان وَثقل المغارم وَكثر الضرائب فِي الْبلدَان ومكس الْأَسْوَاق وَنهب الْأَمْوَال وشح بالعطاء إِلَى غير ذَلِك من الْأُمُور الَّتِي لَا يثبت مَعهَا الْملك)[3].

وفي المقابل شهدت العلاقات بين مملكتي قشتالة وأراغون تطوراً مهماً كان له أسوأ الأثر على مستقبل مسلمي الأندلس ، ففي سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م تزوجت إيزابيلا بنت خوان الثاني ملك قشتالة وأخت الملك هنري الرابع(٨٥٩-٨٧٩هـ/١٤٥٤-١٤٧٤م) من فرناندو بن خوان الثاني ملك أراغون (٨٦٣-٨٨٤هـ/١٤٥٨-١٤٧٩م) ، وعندما توفي هنري الرابع بدون وريث للعرش توجت أخته إيزابيلا لعرش قشتالة ، كما ورث فرناندو الأرغوني أباه عند وفاته ، فكان ثمرة ذلك الزواج أن اتحدت المملكتان قشتالة وأراغون[4] ، ولُقبا بالملكين الكاثوليكيين[5].

في الوقت نفسه حصل تطور خطير على الساحة السياسية في غرناطة هو الفرقة التي حدثت بين السلطان أبي الحسن وولديه أبي

---

١) نبذة العصر ، ص ٣٦ -٣٧.

٢) ينظر التفاصيل عن حادثة السيل : مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤١ -٤٥.

٣) نبذة العصر، ص ٤٥.

٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٨٢/٥ ؛ الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص ٤٩.

٥) الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص ٤٩.

عبدالله محمد(الصغير) وأبي الحجاج يوسف ، ويرجع سبب ذلك إلى أن السلطان كان قد تزوج من ابنة عمّه عائشة الحرة[1] فأولدها ولديه أعلاه ، ثم تزوج من فتاة نصرانية تدعى ثريا[2] وأولدها ابنيه سعد ونصر فأوغرت صدره على ولديه من عائشة فاعتقلهما مع أمّهما إلا أنهما تمكنا من الفرار والتغلب على السلطة في غرناطة وتربع أبو عبدالله الصغير على عرش غرناطة أواخر سنة٨٨٧هـ /١٤٨٢م ، وكان السلطان أبو الحسن وقت فرار الأميرة وولديها في لوشة للدفاع عنها ، إلا أنه اضطر إلى تجميع أنصاره مكوناً منهم قوة بلغت خمسمائة شخص زحف بها نحو مدينة غرناطة حيث ابنه أبو عبد الله الصغير ، وتمكن مع رجاله من تسلق أسوار مدينة غرناطة وخاض معركة عنيفة مع أنصار ابنه قتل فيها الكثير من أتباعه مما اضطره إلى التراجع والهرب إلى مالقة[3] حيث أخوه أبو عبدالله محمد بن سعد المعروف بالزغل[1].

---

١) وهي عائشة بنت الأمير محمد الأيسر ابنة عمّ السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري تزوجها سنة ٨٥٧ هـ/١٤٥٣ م وتوفيت في حدود سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩١ م، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٩٣ -١٩٦.

٢) وهي جارية رومية كان اسمها إيزابيلا أخذت أسيرة في إحدى المعارك وألحقت وصيفة بقصر الحمراء فاعتنقت الإسلام وتسمت بثريا وكانت حسناء فتعلق بها السلطان وتزوجها وأولدها اثنين هما سعد ونصر، وبعد سقوط غرناطة لم تغادر الأندلس فقد تنصرت هي وولديها، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ٩٠ -٩١، وذكر إيرفنغ أن اسمها فاطمة ولقبها الزوراء وهي مسيحية بالولادة ابنة القائد سانشو أكزيمنس دي سولي، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٦.

٣) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٧ -٩٨.

١) المقري، نفح الطيب، ٥١٤/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٢/٥.

وقد اغتنم النصارى ذلك الانقسام الذي تزامن مع انقضاء مدة الهدنة التي عقدها السلطان مع قشتالة بمهاجمة أراضي مملكة غرناطة فاستولوا على مدينة الحمة وذلك سنة٨٨٧هـ/١٤٨٢م[١] ، ثم قام الملك القشتالي بمهاجمة مدينة لوشة القريبة من الحمة إذ أن هاتين المدينتين تمهدان الطريق إلى غرناطة.

وبخصوص الأحداث الأخيرة التي أدت إلى سقوط مدينة لوشة هناك روايتان للأحداث الأولى مصدرها مؤلف مجهول مسلم معاصر لتلك الأحداث وهو صاحب كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر ، والثانية نصرانية مصدرها رجل دين نصراني معاصر للأحداث يدعى أنطونيو آغابيدا استقى واشنطن إيرفنغ معلوماته منه[٢].

وحسب الرواية المسلمة ، ففي السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة٨٨٧هـ/١٤٨٢م خرج الملك القشتالي إلى لوشة ونزل عليها ، وكانت حامية المدينة تحت قيادة أحد رجالاتها وهو الشيخ علي العطار(والد مريم زوجة أبي عبدالله الصغير) وكان رغم شيخوخته يعد من أبرع فرسان العصر ، كما سارع السلطان أبو الحسن لنجدة لوشة وتمكنوا من صد النصارى وهزيمتهم بعد خسائر فادحة ، وقد سمى صاحب كتاب نبذة العصر المعاصر للأحداث هذه المعركة بمعركة لوشة العظيمة وعلق عليها قائلاً: ((خرج صَاحب قشتالة بمحلة عَظِيمَة وَقصد مَدِينَة لوشة فَنزل عَلَيْهَا بمحلته وَكَانَ قد اجْتمع فِيهَا جملَة من نجدة رجال غرناطة

---

١) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٥٤،٥٦ ؛ إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٩.
٢) ينظر : أخبار سقوط غرناطة، ص ٤٩.

حين سمعُوا بخُرُوجه إِلَيْهَا فَلَمَّا قرب من الْبَلَد خرج إِلَيْه الرِّجَال والفرسان فقاتلوه قتالاً شَديداً وردوه على أعقابه وَقتلُوا كثيرا من النَّصَارَى وَأخذُوا لَهُم من تِلْكَ الْعدة الَّتي قربوا بهَا من الأنفاط وَغير ذَلك من عدَّة الْحَرْب ، ثمَّ إِن الْأَمير أَبَا الْحسن أمدهم بقائد من غرناطة يَقُود جَيْشًا من الفرسان في تِلْكَ اللَّيْلَة فاشتدت عنْد ذَلك عصبَة الْمُسلمين وقويت قُلُوبهم ، فَلَمَّا أصبح الصَّباح وَرَأى النَّصَارَى الزِّيَادَة في جَيش الْمُسلمين مَعَ مَا نالهم من أول اللَّيْل من الْهَزِيمَة وَالْقَتْل وَأخذ الْعدة داخلهم الرعب وَاشْتَدَّ خوفهم فَأخذُوا في الإرتحال عَنْهُم فَخرج إِلَيْهِم الْمُسلمُونَ فقاتلوهم قتالا شَديدا فَانْهَزَمَ النصاري وَتركُوا كثيرا من أخبيتهم وأمتعتهم وأطعمتهم وَآلَة حربهم وَتركُوا من الدَّقِيق شَيْئا كثيرا فاحتوى الْمُسلمُونَ على جَميع ذَلك كُله وَانْصَرف الْعَدو مهزوما مفلولا إِلَى بَلَده ففرح الْمُسلمُونَ بذلك فَرحا عَظيما وَكَانَ ذَلك فِي السَّابِع وَالْعِشْرين من جُمَادَى الأولى من عَام سَبْعَة وَثَمَانِينَ وثمان مئة))[1].

أما الرواية النصرانية فذكرت أن الملك القشتالي غادر قرطبة في نهاية حزيران وحط رحاله حول مدينة الأقصى(لوشنكا – لوشة) ووزع قواته على شاطىء نهر أكزنيل(شنيل) وبين حقول الزيتون ولكن صعوبة الأرض التي تتخلخلها الوديان العميقة جعل تلك القوات منفصلة لا يمكن معونة بعضهم البعض ، وكانت الأقصى (لوشة) تحت

---

١) نبذة العصر، ٥٧ -٦٠؛ ينظر أيضاً: المقري، نفح الطيب، ٥١٤/٤.

زعامة الشيخ العجوز أبو علي العطار وهو في التسعين من عمره ولكنه كان شاب الروح والحركة ، فعمل على مهاجمة فرسان اسبانيا الذين اندفعوا للقائه ففر أمامهم بعد وضع كمين لهم ، فلما ابتعدوا عن مخيمهم كرّ راجعاً عليهم وخرج الكمين مما أوقع بهم خسائر كبيرة مقتل بعض قادتهم وقد أدرك الملك القشتالي خطأ موقعه ، فقرر الأنسحاب لحين وصول تعزيزات أخرى له من قرطبة ، وفي هذا الأثناء انتهز علي العطار الفرصة فهاجم الجيش المنسحب مما أشاع الذعر والفوضى بين صفوفه وكاد الملك أن يحاصر بسبب شدة ضربات الجند المسلمين الذين استولوا على العديد من قطع المدفعية التي تركها الجيش القشتالي في المعركة ، واستمر علي العطار يتعقبهم حتى أبعدهم عن لوشة[1].

وفي صفر من سنة٨٨٨هـ/١٤٨٣م استطاع السلطان أبو الحسن هزيمة النصارى في موقعة مالقة وقتل وأسر أعداداً كبيرة منهم[2] ، وكان صدى هذا النصر كبيراً وارتفعت شعبية السلطان أبو الحسن بين الناس فيما عيب على أبي عبد الله الصغير خنوعه ، لهذا قرر الأخير القيام بعمل ضد النصارى يعيد إليه شعبيته ، وذلك لأن مكانة أي حاكم آنذاك تقاس بمدى انتصاره على النصارى وصد هجماتهم[3].

وفي ربيع الثاني من سنة٨٨٨هـ/١٤٨٣م أُسر الأمير أبو عبدالله

---

١) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٩ -١٠٣.

٢) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٢ -٦٥؛ المقري، نفح الطيب، ٥١٤/٤.

٣) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٢٠.

الصغير أمير غرناطة ، ونحن هنا أيضاً أمام روايتين إسلامية ونصرانية ، والرواية الإسلامية مقتضبة وخالية من التفاصيل فيما أسهبت الرواية النصرانية مبتهجة بتحقيق النصر ، وملخص الرواية الإسلامية أن الأمير أبا عبدالله الصغير خرج بأهل غرناطة وهاجم مناطق النصارى ورجع محملاً بالغنائم وعندما وصل بجيشه إلى اللسانة[1] خرج عليهم كمين من النصارى فانهزم المسلمون وتبعهم النصارى قتلاً وأسراً وكان من بين الأسرى الأمير نفسه ولم يعرفوه إلا بعد ذلك فحملوه إلى ملك قشتالة الذي أكرمه وعظمه ورأى أنه سيصل به إلى مايأمله من أخذ بلاد الأندلس ، وأضاف صاحب الرواية أن((أشنع مَا كَانَ فيهَا—أي معركة اللسانة-أسر الْأَمِير أبي عبدالله مُحَمَّد بن عَليّ لِأَنَّهُ كَانَ سَببا فِي هَلَاك الوطن))[2].

أما الرواية النصرانية والتي يرويها رجل الدين المتعصب آغابيدا فذكرت أن الأمير أبا عبد الله الصغير كان صهراً لأبي علي العطار قائد لوشة ، فاتصل به وأعلمه ضرورة القيام بعمل يوازي ما حققه والده في مالقة ، فقال له صهره علي العطار أن العدو في حالة ضعف بسبب الهزائم التي مني بها أمام لوشة ثم مالقة لذا فإن الأبواب مفتوحة أمامهم حتى قرطبة ، فشكل الأمير قوة من سبعمائة فارس وتسعة آلاف راجل وعندما وصل إلى لوشة انضمت إليه قوة من

---

١) اللسانة وهو حصن يقع بالقرب من كورة قبرة، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة١/٢٣.

٢) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٥-٦٧؛ ينظر أيضاً:المقري، نفح الطيب، ٤/٥١٥.

فرسان صهره علي العطار ثم انطلقت القوات مخترقة الحدود من بلاد النصارى ففوجئوا باستعدادات عدوهم الكاملة وجرت معركة حامية بين الوديان والشعاب تلقى خلالها الجيش القشتالي المزيد من الامدادت مما اضطر الجيش الإسلامي إلى الانسحاب المنظم إلا أنهم عند شاطئ أحد الأنهار وكان الماء فيه يجري بقوة ففر المشاة وبقي الأمير أبو عبد الله مع قلة من فرسانه يقاتلون ثم أحاط به الجنود النصارى وهم لا يعرفونه فعرض عليهم مبلغاً من المال لقاء ولكن أحدهم أراد إمساكه فقتله الأمير عندها جاء أحد قادة الجيش القشتالي فقال له أحد الجنود نحن نريد أن نأسر عربياً يبدو أنه ذو منصب عال وهو يعرض علينا فدية ، فقال الأمير : أنا استسلم لهذا الفارس ، فنقلوه إلى الخلف واستمر الجيش القشتالي يضغط والجيش الإسلامي يتراجع فوضوياً حتى وصلوا إلى نهر شنيل عند مدينة الأقصى(لوشة) ، عندها وقف الشيخ علي العطار على حدود النهر يدافع عنها وعن مدينته لوشة وبسبب تدافع الجند النصارى وانسحاب المشاة المسلمين فقد جرح الشيخ علي العطار فعرضوا عليه الاستسلام فرفض فتلقى ضربة ألقته في النهر واختفت جثته مع التيار ، وهكذا بأسر الأمير أبا عبد الله الصغير ومقتل القائد علي العطار فقد الجيش الإسلامي كل حماسة فكانوا بين منهزم وقتيل وغريق وأسير[1].

ستغل الملك القشتالي حالة الفوضى التي حلت في صفوف

---

١) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٢٠ -١٣١.

المسلمين وحالة الزهو التي تمتع بها جيشه فهاجم العديد من الحصون والمدن المحيطة بغرناطة ، ففي الغرب استولى على حصن قرطمة[1] ودكوين سنة٨٩٠هـ/١٤٨٥م ، وفي السنة نفسها استولى على رندةRonda[2] ثم حصن قنبيل[3] وما جاوره من الحصون[4].

وكان الأمير أبو الحسن قد طعن في السن وأعياه المرض فتنازل لأخيه أبي عبدالله الزغل حاكم مالقة[5] ، وفي محاولة من ملكي قشتالة تعميق الانشقاق بين أقطاب السلطة في غرناطة أفرجا بعد ذلك عن أبي عبدالله الصغير بعد أن أخذا عليه المواثيق بتبعيته لهم مع جزية سنوية[6].

وعندما أُطلق سراح أبي عبد الله الصغير كان عمّه أبو عبد الله الزغل يُحكم سيطرته على غرناطة ويطمع بالسيطرة على جميع ما تبقى من الأندلس لنفسه ، فعمد الصغير إلى التوجه إلى شرق الأندلس ودخل حصن بلشVelez بمساعدة قوة من النصارى وأعلن نفسه ملكاً ، وأخذ يبث دعوته ، ويشيد بمزايا الصلح المعقود مع

---

١) مدينة بالأندلس غربي قرطبة وهي من أعمال رية، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٣.

٢) رندة معقل حصين بالأندلس وهي من أعمال تاكرنا، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٢.

٣) حصن قنبيل وهو حصن يقع بالقرب من حصن روطة إلى الغرب من قرطبة، ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ٥٥٤/٤.

٤) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٨، ٧٠، ٧٥.

٥) المقري، نفح الطيب، ٥١٥/٤.

٦) مؤلف مجهول، نبذة العصر ، ص ٧٦؛ إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٣٥؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٤/٥ -٢٠٥.

ملكي قشتالة ، وأنه يضمن للمسلمين الاستقرار والسلم ، وأنه يُطبق في سائر الأنحاء التي تدخل في طاعته[1] ،وقد علّق مؤلف مجهول المعاصر للأحداث على ذلك بقوله: ((استولى العَدو على حصن صَالحَة من حصون بلش ثمَّ إِن العَدو دمره الله سرح الْأَمِير أَبَا عبد الله مُحَمَّد بن عَليّ إِلَى بعض حصون الشرقية ووعده بِالصُّلْحِ إِن أطاعه الشّعب فَقَامَتْ بدعوته تِلْكَ الْحُصُون طَمَعاً بِالصُّلْحِ وبالبقاء فِي الْحُصُون))[2].

وهكذا أصبح لغرناطة حاكمين من بني الأحمر استقر أبو عبدالله الصغير في المناطق الشرقية ، فيما يحكم عمّه أبو عبد الله الزغل غرناطة ومالقة والمرية Almeria[3] ، وفيما كانت نار الفتنة قائمة بين الخصمين كانت جيوش قشتالة قد استولت على العديد من المدن والحصون وأخذت تُضيّق الخناق على غرناطة[4].

وأشار مؤلف مجهول إلى أن صلحاً وقع بين الأمير أبي عبدالله الصغير وعمّه أبي عبدالله الصغير على أن يسلم إلى عمه الحكم ويكون هو تابع له وأرسل إلى أنصاره في غرناطة يعلمهم بالصلح مع عمّه وغادر حصون الشرقية إلى لوشة وذلك جماد الأولى سنة٨٩١هـ /١٤٨٦م[1] ، وأشار المقري إلى الصلح قائلاً: ((بأن العمّ يكون له الملك ،

---

١) المقري، نفح الطيب، ٥١٦/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٨/٥.
٢) نبذة العصر ، ص ٧٦.
٣) مؤلف مجهول، نبذة العصر ، ص ٧٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٩/٥
٤) ينظر التفاصيل : مؤلف مجهول، نبذة العصر ، ص ٧٩ – ٨٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢١٣/٥ -٢١٤.
١) نبذة العصر، ص ٧٧ -٧٨.

وابن أخيه تحت إيالته بلوشة أو بأي المواضع أحب ، ويكونون يداً واحدة على عدو الدين))[1].

وما كاد الأمير أبو عبدالله الصغير يستقر في لوشة حتى جاء الملك القشتالي بجيش عظيم وضرب عليها الحصار ، وهنا انقسمت الرواية الإسلامية على وجهين ، فمؤلف مجهول الذي كان معاصراً للأحداث أشار إلى أن أهالي لوشة عندما حصل بينهم الأمير أبو عبدالله الصغير وحاصرهم الملك القشتالي تحصنوا وقاتلوا مع أميرهم فلما رأوا أن لا طاقة لهم بالعدو طلبوا الأمان ((وَاتَّفَقُوا على أَن يخرجُوا مُؤمنين بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادهمْ وخيلهم وسلاحهم ودوابهم وَجَميع مَا يقدرُونَ على حمله ، فأجابهم الْعَدو لذَلك ووفى لَهُم بِهِ فَأخذُوا فِي إخلاء الْبِلَاد ووصلوا إِلَى غرناطة بِمَا مَعَهم ، وَكَانَ اسْتِيلَاء الْعَدو على مَدِينَة لوشة فِي السَّادِس وَالْعشْرين من جُمَادَى الأولى من عَام إِحْدَى وَتِسْعين وثمان مئة ، وَلم يسرح صَاحب قشتالة الْأَمِير مُحَمَّد بن عَليّ بل حَبسه عِنْده ليستأصل بِهِ بَقِيَّة الأندلس))[2] ، وحسب هذه الرواية فإن الأمير أبا عبد الله الصغير أسر للمرة الثانية في لوشة.

فيما ذكر المقري رواية تتهم فيها الأمير أبو عبدالله الصغير بالتواطؤ مع ملك قشتالة لتسليم لوشة ، إذ قال: ((... ، وبينما هم كذلك ، إذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعُدد ، ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبدالله الذي كان أسيراً ، وضيق بها

---

١) نفح الطيب، ٥١٧/٥.

٢) نبذة العصر، ص ٧٩ -٨٠.

الحصار ، وكان قد دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد ولمعاضدة وليهم ، وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة ، فلم يأت لنصرته غير البيازين ، واشتد عليهم الحصار ، وكثرت الأقاويل ، وصرحت الألسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة ، ودخل على أهل لوشة في ربضهم ، وخافوا من الاستئصال ، فطلبوا الأمان في أموالهم وأنفسهم وأهليهم ، فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك ، وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة ، ... ، وهاجر أهل لوشة إلى غرناطة ، وبقي السلطان أبو عبدالله الذي كان مأسوراً مع النصراني في لوشة ، فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ما جاء للوشة إلاّ ليُدخل إليها العدو الكافر ، ويجعلها فداءً له ، وقيل: إنه سرح له حينئذ ابنه إذ كان مرهوناً في الفداء ، وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك ، وظهر ما كان كامناً في القلوب ، ثم رجع صاحب قشتالة إلى بلاده ومعه السلطان المذكور))[1].

أما الرواية النصرانية فلا تختلف كثيراً في مضمونها عن رواية صاحب نبذة العصر إلاّ أنها أكثر تفصيلاً ، فأشارت إلى أنه عندما حاصر الملك القشتالي لوشة كان أبو عبد الله الصغير فيها ، وقد وقع في ورطة في موقفه بين رعيته التي تطالبه بالدفاع عن مدينتهم لوشة وبين تعهداته لملك قشتالة بأن يكون خاضعاً له ، ثم اختار المقاومة ومقاتلة النصارى ، فلبس درعه وانطلق يقاتل مع أربعمائة فارس وأربعة

---

١) نفح الطيب، ٥١٧/٤ -٥١٨.

آلاف رجل بكل شجاعة حتى وصل إلى الصفوف الأمامية فأصيب بجروح مما اضطر للانسحاب جريحاً إلى داخل مدينة لوشة ، ومع ذلك لم يتغير الموقف فقد استمر المقاتلون المسلمون يقاتلون بكل ضراوة وسقطت الدماء من الطرفين لأن الجميع يدرك أهمية لوشة ومحيطها بالنسبة لغرناطة ، وفي هذا الأثناء جاءت تعزيزات إلى الجانب النصراني متمثلة بقوات انكليزية ، فاختلطت العمائم بالخوذ الصليبية بصراع عنيف يداً بيد ، إلاّ أن الكفة بدأت تميل لصالح الجيش النصراني بسبب فقدان المسلمين للعديد من قادتهم مما اضطرهم لنقل القتال إلى داخل المدينة بين بيوتها وشوارعها ، عندها دخل الجيش النصراني إلى ضواحي لوشة بمساندة وقوة الجيش الانكليزي الذي جرح قائده وهو ولي العرش في المعركة ، ثم عملوا على نصب المدفعية في ضواحي لوشة وأخذوا يطلقون نيرانها على أحياء المدينة ، وقد وصفت الرواية النصرانية حالة أهالي لوشة آنذاك بالقول: ((... ، وفي لحظات مثل هذا اليأس كان الكثير من العرب يخرجون من الأسوار نحو ضواحي المدينة ، ويهاجمون النصارى بالعصي والفؤوس والسيوف والهراوات عسى أن يبعدوهم عن مراكز الضرب والتهديم للمدينة بدون أي مخطط أو تفكير على أمل أنه إذا مات المهاجم هكذا فعوضه الجنة بدل أن ينفق تحت الهدم والردم ، واستمر هذا المشهد لمدة يومين بليلتيهما ، دفعت أهل الحل والعقد في المدينة إلى الشعور باستحالة وعبثية المقاومة ، فملكهم عاجز ، ومعظم قادة جيشهم بين جريح أو قتيل ، وحصونهم لا تزيد عن أنها صارت أنقاضاً ، فمثلما دفعوا بأبي

عبدالله أن يدافع ويهاجم صاروا الآن يدفعونه للتسليم))[1].

وكانت شروط تسليم مدينة لوشة حسب الرواية النصرانية هي:

١- تسليم المدينة مع كل النصارى الأسرى فيها.

٢- إخلاؤها من السكان الذين يمكنهم أخذ ما يقدرون على حملة نحو إفريقية ، والذي يختار منهم أن يبقى في اسبانيا عليه أن يبقى في مدن محددة مثل: قشتالة وأراغون وبلنسية Valencia ، على أن يكون خولا للملك فرناند الذي يستطيع أن يعامله كيف يشاء ولا عهد له عليه ولا ذمة.

٣- أما الأمير أبو عبدالله الصغير فلن يحاسب على نكثه بقسمه السابق أمام الملك إذا سلم كل مملكة غرناطة للملك ، شرط أن تسلم هذه المملكة خالية من سيطرة الزغل[2].

وقد علق إيرفنغ على هذه الشروط قائلاً: ((وهكذا خرج محاربو هذا الحصن الشامخ نحو ذل الاستسلام الذي كانوا يرفضونه كل هذه المدة الطويلة بشرف وأباء ، وهم يشيعون بصراخ حريمهم وأطفالهم المتجهين نحو المنفى خارج بلادهم))[3] ، وهكذا سقطت المدينة بيد ملك قشتالة مدعوماً بقوات انكليزية صليبية في٢٦ جماد الأولى سنة٨٩١هـ/مايو ١٤٨٦م.

وقد علق عنان على موقف الأمير أبي عبد الله الصغير بقوله :

---

١) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٢ -٢١٧.

٢) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥/٢١٠.

٣) أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٧.

إننا نرى على ضوء الرواية الإسلامية ، أن موقف أبي عبد الله من حوادث لوشة ، كان موقفاً مريباً ، والواقع أنه كان يبذل جل جهده للدعوة إلى قضيته ، وإلى مقاومة عمّه ونزعه عن العرش ، وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة ، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه ، ولم يكن خافياً أنه يستظل بمظاهرة النصارى وتأييدهم ، وأنه غدا آلة في يد ملك قشتالة يعمل بوحيه وتوجيهه ، ولما غادر ملك قشتالة مدينة لوشة أخذ معه أبا عبد الله إما أسيراً أو أنه سار معه ليستمد عونه في تنفيذ خطته للاستيلاء على عرش غرناطة ، وهى خطة يؤيدها ملك قشتالة ويشجعها ، لأنها تخدم أغراضه ومطامعه في القضاء على تلك المملكة الصغيرة التي مزقتها الحرب الأهلية[1].

ونحن نرى أن ذهاب الأمير أبي عبد الله الصغير إلى لوشة يثير بعض الشكوك ، صحيح أن لوشة مقر أصهاره ، إلا أن توقيت ذهابه إليها بعد اتفاقه مع عمّه ثم محاصرة الملك القشتالي لها ربما أراد منها ثمن فداء لابنه الذي كان رهينة في قشتالة منذ أن أُفرج عنه.

---

١) دولة الإسلام في الأندلس، ٥/٢١٠.

المبحث الثالث

الحركة الفكرية في مدينة لوشة

حكم المسلمون مدينة لوشة مدة ثمانية قرون٩٢– ٨٩١هـ/٧١٠–١٤٨٦م أقاموا فيها حضارة تألقت فيها إسهامات أهلها في معظم ميادين الحياة السياسية والعسكرية والفكرية ، فهي بلد الوزير لسان الدين الخطيب[١] الذي لعب دوراً في سياسة بني الأحمر مدة من الزمن كما له إسهامات كبيرة في التاريخ والأدب وأسرته عريقة في مدينة لوشة ، كما أنجبت لوشة الشيخ المجاهد الكبير أبو علي العطار الذي وصفته الرواية النصرانية بالقول كانت: ((الأقصى – لوشة – تحت حكم السيد العربي الهرم والد زوجة أبي عبد الله النصري أبو علي العطار الذي كان الأسبان يسمونه الآتار عدو النصارى الذي شاب شعره وهو يحاربهم منذ نشأته على هذه الحدود ، والتي كان اسمه فقط كافياً لإشاعة الذعر بين الصليبيين فيها ... فهو خبير في استراتيجيات القتال))[٢] ، وقد مرّ الكلام عن دوره العسكري ، وسنعرض هنا لإسهامات أهلها الفكرية في مجالات العلوم

---

١) لم نترجم لابن الخطيب هنا لأنه نشأ في غرناطة واكتفينا بذكر آبائه.

٢) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٠١.

المختلفة ، نذكر منهم:

- أحمد بن عبدالله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي يكنى أبا جعفر ، من أهل لوشة وولي القضاء بها كان له قراءة في الطب وهو والد الطبيبة والشاعرة أم الحسن بنت أحمد الطنجالية ، توفي في طاعون سنة٧٥٠هـ/١٣٤٩م[١].

- أحمد بن علي بن يوسف الأنصاري يكنى أبا العباس ، سكن لوشة وولي الصلاة والخطبة بجامعها ، كان محدثاً زاهداً متصوفاً ، أسره الجيش القشتالي عندما دخل لوشة أثناء حركة البياسي ، ثم تخلص من الأسر ، وتوفي سنة٦٢٤هـ/١٢٢٦م[٢].

- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المكنى(أبو جعفر) ، من أهل لوشة ، ويعرف بالسكان ، اشتهر بعلم القراءات ، وتولى الخطابة بلوشة ، وتوفي بالطاعون سنة٧٥٠هـ/١٣٤٩م[٣].

- أحمد بن محمد بن أحمد بن مكي يكنى أبا جعفر ، من أهل لوشة ، كان عالماً بالقراءات القرآنية والحديث والعربية ، وكانت له حلقة لتدريس الحديث بلوشة ، أسر أثناء حركة البياسي عندما دخل النصارى لوشة ، وتوفي في الأسر سنة٦٢٤هـ/١٢٢٦م[٤].

---

١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢١٥/١.

٢) ابن الابار، التكملة، ١٠١/١؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٢١/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٢/٤٥.

٣) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ٩٩/١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٩٣/١.

٤) ابن الابار، التكملة، ١٠٢/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٢/٤٥.

- أم الحسن بنت أحمد الطنجالية: الطنجالية هي نسبة الطنجاليين وهم هاشميون ينتسبون إلى أولاد جعفر بن عقيل بن أبي طالب[1] ، فهي عربية هاشمية كانت تسكن لوشة وكان والدها قاضياً هناك[2] ووصف بأنه كان خطيباً[3].

أفرد لها ابن الخطيب ترجمة بقوله كانت((نبيلة حسيبة ، تجيد قراءة القرآن ، وتشارك فنون من الطب ، وتنظم أبياتا من الشعر))[4] ، وقد وصف شعرها بقوله إنها (ثالثة حمدة[5] وولادة[6] ، وفاضلة الأدب المجادة ، تقلدت المحاسن من قبل ولادة ، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة ، ونشأت في حجر أبيها ، لا يدخر عنها تدريجا ولا سهما ، حتى نهض إدراكها ، وظهر في المعرفة حراكها ، ودرّسها الطب ، ففهمت أغراضه ، وعلمت أسبابه وأعراضه ، وفي ذكر شعرها ، لما قدم أبوها من المُغرب ، وحَدّث بخبرها المُغرب ، توجه بعض الصدور إلى

---

١) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٧ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢٩٧/١.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٣٠/١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢١٥/١.

٣) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٨ ؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٩٥ .

٤) الإحاطة، ٤٣٠/١.

٥) هي حمدة بنت زياد المؤدب الوادي آشية شاعرة أندلسية يرجع نسبها إلى عوف بن لؤي من قريش، وهي من شعراء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٢١ -١٢٤.

٦) هي ولادة بنت الخليفة محمد المستكفي بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله الأموي ولدت في حوالي ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م وتولى أبوها الخلافة في أحداث الفتنة التي عاصرت نهاية الدولة العامرية، وهي أديبة وشاعرة، ولها مع الشاعر ابن زيدون الأندلسي الكثير من المساجلات، وتوفيت سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م، ينظر: الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ٣٢٧ -٣٣٧.

اختبارها ، ومطالعة أخبارها ، فاستنبل أغراضها واستحسنها ، واستطرف لسنها ، وسألها عن الخط ، وهو أكسَدُ بضاعة جُلبت ، وأشحّ دُرّة حُلبت ، فأنشدته من نظمها:

الخط ليس له في العلم فائدة

وإنما هو تزيين بقرطاس

والدرس سؤلي لا أبغي له بدلا

بقدر علم الفتى يسمو على الناس

ومن شعرها أيضا:

إن قيل من الناس ربّ فضيلة

حاز العلا والمجد منه أصيل

فأقول رضوان وحيد زمانه

إن الزمان بمثله لبَخيل[1]

مما تقدم يتبين أن أمّ الحسن الطنجالية كانت برعت في علوم عدة ، منها القرآن إذ كانت تجيد قراءة القرآن ، كما كانت بارعة في الطب ، إذ أخذت ذلك عن والدها الذي درسها الطب حتى أصبح لها باع فيه ، وقد وصفها ابن حجر بالطبيبة[2] ، فضلاً عن أنها كانت شاعرة أديبة تقول الشعر حتى وصفها ابن الخطيب بحصافة حمدة بنت زياد وولادة بنت المستكفي ، وعلى الرغم من أن شعرها لم يصل إلينا إلا

---

١) ابن الخطيب، الإحاطة ١/ ٤٣٠ ـ ٤٣١؛ ريحانة الكُتّاب ونجعة المنتاب، ٢/ ٤١٠.
٢) الدرر الكامنة، ١/ ٢١٥.

النادر القليل ، وقد قلل أحد الباحثين من شاعريتها بقوله: ((إن الروح العلمية وشهرتها كطبية وقارئة للقرآن طغت على شخصيتها ، فوقف المؤرخون عند هذه الجوانب من شخصيتها ، وغفلوا عن شعرها شأنها في ذلك شأن كثير من العلماء الذين ينظمون شيئاً من الشعر لا يُلتفت إليه لأنه صادر عن قلب عالم لا قلب شاعر))[1].

أما عن تاريخ وفاتها فلم تشر إليه المصادر ، وقد اختلف في وفاة والدها ، فالنباهي ذكر أن أخاها القاضي أبا عبدالله الطنجالي توفي في سنة٧٥٣هـ/١٣٥٢م ففجع به والده الخطيب أبي جعفر[2] ، وهذا يعني أن والدها كان حيا آنذاك ، فيما أشار ابن حجر إلى أن القاضي أبا جعفر الطنجالي والد أم الحسن توفي سنة٧٥٠هـ/١٣٤٩م ، وهذا يعني أنها كانت حية في منتصف القرن الثامن الهجري.

- سعيد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الجد الأقرب لابن الخطيب ، كان فقيهاً أديباً له معرفة بالحساب وذا خط وتلاوة ، كان ساكناً لوشة ثم اختلف مع بني الطنجالي الهاشميين فذهب إلى غرناطة وصاهر أميرها أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف النصري(٦٧١ – ٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠١م) ونال عنده حظوة ، وكانت وفاته سنة٦٨٣ هـ/١٢٨٤م[3].

- سعيد بن علي بن أحمد السّلماني ، وهو الجد الأعلى لابن

---

١) الشريفي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ١٠٠.

٢) تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٨.

٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ٨/١، ٢٩٥/٣؛ المقري، أزهار الرياض، ١٨٧.

الخطيب ، وهم يعرفون ببني سلمان استقروا بعد الفتح بقرطبة ثم غادروها بعد هيجة الربض[1] سنة٢٠٢هـ/٨١٧م إلى طليطلة ، وعند سقوط طليطلة بيد النصارى سنة٤٧٨هـ/١٠٨٥م غادروها إلى لوشة ، وكان أول من نزلها منهم سعيد بن علي السلماني فتولى سعيد الخطابة بجامع لوشة فعرف أبناؤه من بعده ببني الخطيب ، وكان من أهل العلم والصلاح ، وكان له برج يسكن فيه على الطريق بين لوشة وغرناطة ، وكان حسن الصوت فعندما يتلو القرآن ليلاً لا يتمالك المارون على الطريق إلا للإصغاء إلى تلاوته ، توفي سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م عندما تغلب النصارى على لوشة أثناء حركة البياسي[2] .

- عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن مالك المعافري يكنى أبا محمد ، من أهل لوشة ثم سكن غرناطة ، وصفه ابن الخطيب بقوله: كان (كثير الصّنائع ، جزل المواهب ، عظيم المكارم ، على سنن عظماء الملوك ، وأخلاق السادة الكرام ، لم ير بعده مثله في رجال الأندلس ، ذاكرا للفقه والحديث ، بارعا في الأدب ، شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا ، حلو الكتابة والشعر ، هشّا مع وقار ، ليّنا على مضاء ، عالي الهمّة ، كثير الخدم والأهل) توفي سنة٥١٨هـ/١١٢٤م[3] .

- عبدالقدوس بن عبدالصمد بن محمد بن غياث الصدفي يكنى

---

١) الربض محلة بقرطبة متصلة بقصر الإمارة وكانت فيه وقعة ضد الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧ م، ينظر : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠ -٢٣٢ هـ/٧٦٦ -٨٤٦ م)، ص ١٤٠.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة١/٨ مقدمة المحقق٣/٢٩٤؛ المقري، أزهار الرياض، ١/١٨٧.

٣) الإحاطة، ٣/٤٠٠ -٤٠٢.

أبـا الحسـن ، مـن أهـل لوشـة ، كـان يـروي صـحيح البخـاري في الأنـدلس[1] ،تـوفي أخـوه عبـدالوهاب بـن عبدالصـمد سـنة ٥٨٦هـ /١١٩٠م[2] ، فهو من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

– عبدالله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي يكنى أبا محمد ، من أهل لوشة ، كان أديباً وشاعراً من بيت نباهة وأدب ، كما له رواية في الحديث عارفاً بالنحو والأدب واللغات ، خدم في شبيبته بني عباد ، توفي سنة٥١٨ هـ/١١٢٤م[3].

– عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن علي السّلماني والد ابن الخطيب ، يكنى أبا محمد ، من أهل لوشة ، وكان مفتياً فيها[4] ، ووصفه ابن الخطيب بقوله: ((كان ، رحمه الله ، فذّا في حسن الشكل والأبّهة ، وطلاقة اللسان ، ونصاعة الظّرف ، وحضور الجواب ، وطيب المجالسة ، وثقوب الفهم ، مشارا إليه في الحلاوة وعذوبة الفكاهة ، واسترسال الانبساط ، مغييا في ميدان الدّعابة ، جزلا ، مهيبا ، صارما ، متجنّدا ، رائق الخصل ركضا وثقافة ، وعدوا وسباحة وشطرنجا ، حافظا للمثل واللّغة ، أخباريا ، مضطلعا بالتاريخ ، ناظما نائرا ، جميل البزّة ، فاره المركب ، مليح الشّيبة))[1] ، وكان له شعر ، ومنه قوله:

---

١) ابن الابار، التكملة، ١٤٣/٣.

٢) ابن الابار، التكملة، ١١٠/٣.

٣) ابن الابار، التكملة، ٢٥٢/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٣/٣.

٤) المقري، أزهار الرياض، ١٨٦/١.

١) الإحاطة، ٢٩٥/٣.

عليـــك بالصـــمت فكـــم ناطـــق

كلامـــــه أدّى إلى كلمـــــه

إنّ لســـان المـــرء أهـــدى إلـــى

غرّتـــه والله مـــن خصـــمه

يـــرى صـــغير الجـــرم مستضـــعفا

وجرمـــه أكـــبر مـــن جرمـــه[1]

توفي سنة ٧٤١ هـ/١٣٤٠م[2] .

- عبدالوهاب بن عبد الصمد بن محمد بن غياث الصدفي يكنى أبا محمد من أهل لوشة ، اشتهر بعلم الحديث والقراءات ، وتولى القضاء ، ثم سكن في آخر عمره مالقة ، وتوفي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م[3].

- محمد بن أحمد العكي يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الأصلع من أهل لوشة ، اشتهر بالحديث روى عنه ابنه أحمد بن محمد العكي[4] المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م[5] ، فهو من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

- محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبدالرحمن بن حميد الهاشمي الطّنجالي ،

---

١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٧/٣.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٨/٣ ؛ المقري، أزهار الرياض١/١٨٧ ؛ نفح الطيب، ٨/٦.

٣) ابن الابار، التكملة، ١١٠/٣.

٤) ابن الابار، التكملة، ٢،٧٠.

٥) ابن الابار، التكملة، ١٠٢/١.

من أهل لوشة ثم سكن مالقة ، قال عنه ابن الخطيب: ((بيتهم نبيه إلى هاشميّة النّبه ، وهم ببلدنا لوشة أشراف ، وكانت لهم فيها ثروة وثورة اجتثّها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات ، ويمتّ سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة)) توفي سنة٧٢٤هـ/١٣٢٣م[١].

- محمد بن عبدالرحمن المذحجي يكنى أبا عبد الله من أهل لوشة ، كان محدثاً وفقيهاً ومشاوراً ، انتقل إلى غرناطة وتوفي بها قبل سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م[٢].

- محمد بن عبد المولى المكنى أبا عبد الله ، وصفه ابن سعيد بالعالم القاضي ، وقال عنه: ((يَكْفِي لوشة من الْفَخر أَن كَانَ مِنْهَا هَذَا السَّيِّد الْفَاضل فَهُوَ فِي كل مكرمَة وفضيلة كَامل نَشأ على درس عُلُوم الشَّرِيعَة فورد مِنْهَا فِي أعذب شَرِيعَة وترقى إِلَى خطة الْقَضَاء بِبَلَده فَأَقَام ، عزه بَين أَهله وَولده))[٣].

- محمد بن عيسى بن عثمان اليحصبي يكنى أبا عمرو ويعرف بابن الجبير ، من أهل لوشة ، كان محدثاً وأديباً وله شعر ، ومنه قوله:

لَو لم يكن لي أباء أسود بهم
وَلم تثبت رجال الغرب لي شرفا
وَلم أنل عِنْد ملك الْعَصْر منزلَة
لَكَانَ فِي سِيبَوَيْهِ الْفَخر لي وكفا

---

١) الإحاطة، ١٨٦/٣ – ١٨٧.
٢) ابن الابار، التكملة، ٣٦٢/١.
٣) المغرب في حلى المغرب، ١٥٨/٢.

فَكيــف علــم ومجــد قــد جمعتهمــا

وكــل مختلــق فِــي مثــل ذَا وَقفــا

وكانت وفاته سنة ٥٥٩ هـ/١١٦٣م[1].

- محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمد بن علي بن محمد اللّوشي اليحصبي يكنى أبا عبدالله ، ويعرف باللوشي ، من أهل لوشة وقرأ العلم بها ، وصفه ابن الخطيب بقوله: ((شاعر مفلق ، وشهاب في أفق البلاغة متألّق ، طبّق مفاصل الكلام بحسام لسانه ، وقلّد نحور الكلام ما يزري بجواهر الملوك من إحسانه ، ونشأ في حجور الدولة النصرية مدللا بمتاته ، متقلبا في العزّ في أفانينه وأشتاته ، إذ لسلفه الذّمام الذي صفت منه الحياض والحمام ، والوداد الذي قصرت عنه الأنداد ، والسابقة التي أزرى بخبرها العيان ، وشهدت بها أرجونة وجيّان ، محيّز ثمرة الطيب ، وله همّة عالية ، بعيدة المرمى ، كريمة المنتمى ، حملته بآخرة على الانقباض والازدراء والزهد في الازدياد والاستكثار ، والاقتصاد والاقتصار ، فعطف على انتجاع غلّته ، والتزام محلّته ، ومباشرة فلاحة صان بها وجهه ، ووفّاه الدهر حقّه ونجمه ، واحتجبت عقائل بيانه لهذا العهد وتقنّعت ، وراودتها النّفس فتمنّعت))[1] ، ومن شعره قوله:

سيخطب قسّ العزم في منبر السّرى

وهل في الدّنيا يوم المسير أطيق؟

---

١) ابن الابار، التكملة، ٢/٢٦.

١) الإحاطة، ٢/١٧٥.

وأقطـــع زنـــد الهجـــر والقطـــع حقّـــه

فمـــا زال طيـــب العمـــر عنّـــي يريـــق

توفي سنة٧٥٢هـ/١٣٥١م[١] .

– محمد بن يوسف بن خلصون يكنى أبا القاسم ، من أهل روطة[٢] سكن لوشة ، اشتهر بالتصوف وله نظر في الطب ، وصفه ابن الخطيب بقوله: ((كان من جلّة المشيخة وأعلام الحكمة ، فاضلا ، منقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية ، متبحرا في الإلهيات ، إماما في طريقة الصّوفية ، من أهل المقامات والأحوال ، كاتبا بليغا ، شاعرا مجيدا ، كثير الحلاوة والطّلاوة ، قائما على القرآن ، فقيها أصوليا ، عظيم التخلّق ، جميل العشرة ، انتقل من حصن روطة إلى الخطابة والإمامة بلوشة ، كثير الدؤوب على النّظر والخلوة ، مقصودا من منتحلي ما لديه ضرورة ، لم يتزوج ، وتمالأت عليه طائفة ممن شانها الغضّ من مثله ، فانزعج من لوشة إلى مالقة ، فتحرّف بها بصناعة الطّب ، إلى حين وفاته))[١] وله عدة مؤلفات منها كتاب المحبة ، وكتاب وصف السلوك إلى ملك الملوك [٢] ، وهو معاصر لابن الخطيب ، فهو من أبناء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

---

١) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٧٥/٢.

٢) وهو حصن بين المغرب والقبلة من شريش، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٣.

١) الإحاطة، ١٩٤/٣.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٩٤/٣.

مصادر ومراجع الكتاب

أولاً: المصادر الأولية

- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)

١ -تحفة القادم، علق علية إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

٢ - التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦م.

٣ -الحلة السِّيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط ٢، مصر ١٩٨٥ م.

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م)

٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م .

٥ – الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط ١، دمشق، ٢٠١٥

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤ م)

٦ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩ م.

- ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد (٨٦٩ هـ/ ١٤٩٠ م)

٧ - بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، بغداد، ١٩٧٧م.

- الاصطخري، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)

٨ - المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٦١م.

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م)

٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠ م .

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م)

١٠ - الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط ٢، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥ م .
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي(ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م)
١١ - رحلة ابن بطوطة، الرباط، ١٤١٧ هـ .
- ابن بلقين، عبد الله (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م).
١٢ - مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق أ . ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥ م .
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م)
١٣ - المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢ م .
- البونسي، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري (ت ٦٥١ هـ/١٢٥٣ م)
١٤ -كنز الكتاب ومنتخب الآداب، تحقيق حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤ م.
- ابن البيطار، عبد الله بن أحمد المالقي (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م)
١٥ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ .
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشيرازي (ت ٨٣٣ هـ/١٤٢٩ م)
١٦ - غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، بيروت .
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م)
١٧ - الثقات في الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، حيدر آباد، ١٩٦٨ م .
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م)
١٨ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط ٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند، ١٩٧٢ م .
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م)
١١٩ - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي(ت ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م)
٢٠ - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر،تحقيق صلاح الدين الهواري،ط١، بيروت٢٠٠٤م.
-الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ /١٣١٠ م)

٢١ -الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس،ط ٢، بيروت١٩٨٠م.
- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد النصيبي (ت ٣٦٧ هـ/٩٧٧ م)
٢٢ - صورة الأرض، ط ٢، ليدن ١٩٣٨م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٦ م)
٢٣ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للحقبة ١٨٠ -٢٣٢ هـ/٧٩٦ -٨٤٦ م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، الرياض، ٢٠٠٣ م .
٢٤ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٢٣٢ -٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ -٨٨٠ م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣ م .
٢٥ - المقتبس (للحقبة ٢٧٥ -٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ -٩١٢ م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط ١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠ م .
٢٦ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٠٠ -٣٣٠ هـ/٩١٢ -٩٤١ م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩ م.
٢٧ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٦٠ -٣٦٤ هـ/ ٩٧٠ -٩٧٤ م)، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦ م .
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله القيسي الاشبيلي (ت٥٢٩ هـ/١١٣٤ م)
٢٨ - قلائد العقيان في محاسن الأعيان، طبعة بولاق، ١٨٦٦ م.
ابن الخراط، أبو محمد(ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م)
٢٩ - اختصار اقتباس الأنوار، تقديم و تحقيق ايميليومولينا و خافينتو بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي، مدريد ١٩٩٠ م.
- ابن الخطيب،لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني(ت٧٧٦ هـ/١٣٧٤م).
٣٠ - الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ .
٣١ - أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م .
٣٢ -ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط ١، بيروت، ١٩٨٠ م.
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
٣٣ - اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه ونشره،

محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧ هـ .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)
٣٤ - تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،، تحقيق خليل شحادة، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م .
-ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
٣٥ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق إحسان عباس ، لبنان ، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.
- ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ /١١٧٩م)
٣٦ - فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي الكلبي الأندلسي (ت ٦٣٣هـ /١٢٣٦م)
٣٧ - المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، دار العلم، لبنان، ١٩٥٥ م .
-الدواداري، أبو بكر عبد الله بن آبيك (ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)
٣٨ -كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت١١١٠ هـ/١٦٩٨م)
٣٩ - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط ١، تونس ١٢٨٦ م .
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م)
٤٠ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م .
٤١ - سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م .
٣٥ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق بشار عواد وشعيب الإرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ .
- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣ هـ/٩٢٥ م)
٤٢ - الحاوي في الطب، اعتنى به هيثم خليفة طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م)

٤٣ - الأندلس من اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا وخاثينتو بوتيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٨٠م.
- الزبيدي، حمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م)
٤٤٤ -تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م)
٤٥ -الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢ م .
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
٤٦ - كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، مصر، د . ت.
- ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤ م أو ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م)
٤٧ - كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، ١٩٧٠ م .
٤٨ -رايات المبرزين وغايات المميزين،تحقيق محمد رضوان الداية، دمشق ١٩٨٧م.
٤٩ - المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج ١، ١٩٥٣ م، ج ٢، ١٩٥٥ م .
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م)
٥٠ - المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م)
٥١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا .
٥٢ - تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨ م .
- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧ هـ/١٥٦٩ م)
٥٣ -مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٤م.
- شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري(ت ٧٢٧ هـ /١٣٢٦م)
٥٤ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.

- ابن أبي صاحب الصلاة، عبد الملك (ت حوالي (ت ٥٩٤ هـ/ ١١٩٨ م)
٥٥ - تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٧٩م.
- الصفدي، خليل بن آبيك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م)
٥٦ -لوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الإرناؤوط وتركي مصطفى،بيروت٢٠٠٠م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م)
٥٧ -بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة١٩٦٧م
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣ م)
٥٨ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٥ م.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد(ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢ م)
٥٩ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق ومراجعة جـ س كولان وإ -ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١ م ؛ ج٢، ج ٣ تحقيق ومراجعة . ج . س . كولان وإ -ليفي بروفنسال، ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م ؛ والجزء الرابع، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧ م، والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م)
٦٠ - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د . ت .
- ابن العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ /١٢٠٠م)
٦١ - خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق أذرتاش أذرتوش، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١ م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩ هـ /١٦٧٨ م)
٦٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م)
٦٣ - قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد

الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦م.
- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١ م)
٦٤ - تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ م.
٦٥ - المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر.
- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩ هـ/١٣٩٦ م)
٦٦ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الاحمدي، دار التراث، القاهرة .
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م)
٦٧ - تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م .
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي (ت٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩م)
٦٨ -مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٤٢٣ هـ.
- الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧ هـ/ ١٤١٥ م)
٦٩ - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد للطباعة، بيروت، ٢٠٠٠ م .
- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ/١١٤٩ م)
٧٠ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، ط ١، المغرب، ١٩٨٣ م .
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م) .
٧١ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩ م .
ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد الكتاني (ت ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠ م)
٧٢ - نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، تطوان، المغرب١٩٦٥م.
- القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م)
٧٣ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت .
٧٤ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط ٢، بيروت١٩٨٠م.
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧ هـ/٩٧٧ م)
٧٥ - تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧ م .
-ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي(ت٥٠٧هـ /١١١٣م)

٧٦ - الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، تحقيق دي يونج، ليدن، ١٨٦٥م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)
٧٧ - تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١ م .
- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
٧٨ - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧ م .
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥ هـ/١٤٨٩م).
٧٩ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧ م .
- مجهول، مؤلف، (من أهل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)
٨٠ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٨ م .
- مجهول، مؤلف (كان حياً ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م)
٨١ - مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، ط ١، الرباط، ٢٠٠٥ م .
- مؤلف مجهول (كان حياً سنة ٨٩٧ هـ/ ١٤٩١ م)
٨٢ - نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق محمد رضوان الدية، دار حسان، دمشق، ١٤٠٤ هـ .
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م)
٨٣ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م .
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م)
٨٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١١ م .
- المفضل، المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت ٤٤٢ هـ/١٠٥٠ م)
٨٥ - تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٢ م .
-المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري (ت٣٨٠ هـ/٩٤٧م)
٨٦ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ١٩٩١ م .
- المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)

٨٧ - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد العظيم شلبي، القاهرة، ١٩٣٩ م .
٨٨ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي الأندلسي(ت٧٩٢ هـ /١٣٨٩م)
٨٩ - تاريخ قضاة الأندلس المسماة المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣ م
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب التيمي البكري (ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م)
٩٠ - نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٤٢٣ هـ .
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م)
٩١ - الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط ١، البصرة ٢٠١٢ م .
٩٢ - معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١ م .
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ ٨٩٧ م أو بعد٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)
٩٣ - البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨ م .

ثانياً: المراجع الحديثة

- أرسلان، شكيب
١ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٣ م .
٢ -الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر ١٩٣٦م.
- أشباخ، يوسف
٣ - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠ م .
- إيرفنغ، واشنطن
٤ - أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هادي يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢ م .
- بويكا، ك
٥ -لمصادر التاريخية العربية في الأندلس،ترجمة نايف أبو كرم،دمشق١٩٩٩م.

- بيضون، إبراهيم
٦ - الدولة العربية في اسبانيا حتى سقوط الخرفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧ م
جابر، جابر خليفة
٧ - بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس (٥٢٨ -٦٣٦ هـ /١١٣٤ - ١٢٣٨ م) ط ١، دمشق ٢٠١٧ م .
- الجديع، عبد الله يوسف
٨ - المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريا، ط ٥، بيروت، ٢٠١١ م .
- حتاملة، محمد عبدة
٩ - أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦ م .
- الحجي، عبد الرحمن علي .
١٠ - التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ -٨٩٧ هـ/ ٧١٠ -١٤٩١ م) ط ١، بغداد، ١٩٧٦ م .
- الحسيناوي، محمود عاشور عبيد
١١ - قشتالة دراسة في أحوالها الداخلية وعلاقاتها بالدويلات النصرانية في أسبانيا (منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي – ٨٤٤ هـ/١٤٧٩ م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٨ م .
- الدرويش، جاسم ياسين
١٢ - أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧ م .
- الدرويش والعلياوي، جاسم ياسين وحسين جبار
١٣ - برشلونة بين الإسلام والنصرانية، دار تموز، دمشق، ٢٠١٧ م .
١٤ -دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم(٣)، دار تموز، دمشق، ٢٠١٨ م
١٥ -دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم(٥)، دار تموز، دمشق، ٢٠١٩ م
- دندش، عصمت عبد اللطيف
١٦ - الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م.
- دوزي، رينهرت
١٧ - - ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٣٣ م .
- الدويدار، حسين يوسف
١٨ - المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨ -٤٢٢ هـ/٧٥٥ -١٠٣٠ م)،

ط ١، مصر، ١٩٩٤ م
- سالم، سحر عبد العزيز
١٩ - تاريخ بطليوس الإسلامية، أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩١ م .
٢٠ - مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري في الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠ م .
- سالم، السيد عبد العزيز
٢١ - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢ م .
- سالم، السيد عبد العزيز، والعبادي، أحمد مختار
٢٢ - تاريخ البحرية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩ م .
- السامرائي، خليل إبراهيم .
٢٣ - الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ٩٥ -٣١٦ هـ/ ٧١٣ -٩٢٨ م، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦ م .
٢٤ - علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغدد، ١٩٨٦ م .
- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
٢٥ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦ م .
٢٦ - تاريخ المغرب العربي، الموصل، ١٩٨٨ م.
- السامرائي، عبد الحميد حسين أحمد
٢٧ - الثغر الأدنى الأندلسي، دراسة في أحواله السياسية خلال فترة الولاة والإمارة ٩٥ -٣١٦ هـ/٧١٤ -٩٢٨ م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٧ م .
- السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري
٢٨ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- الشريفي، علي مطشر
٢٩ - المرأة في الشعر الأندلسي في عهد بني الأحمر، دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠ م .

- شيخو، لويس
٣٠ - مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣ م .
- طه ، عبد الواحد ذو النون
٣١ - دراسات أندلسية، ط ١، الموصل، ١٩٨٦ م .
٣٢ - الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢ م .
الطويل، مريم قاس
٣٣ - مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر ٤٠٣ -٤٨٣ هـ/ ١٠١٢ -١٠٩٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م
- عاشور، سعيد عبد الفتاح
٣٤ -أوربا في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو مصرية، ط ٩، القاهرة، ١٩٨٣م .
- العبادي، أحمد مختار
٣٥ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط ١، الإسكندرية، ١٩٦٨ م .
٣٦ - صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط ١، الإسكندرية، ٢٠٠ م .
- عبد المحمود، البخاري
٣٧ - ابن بسام الشنتريني منهجه وآراءه النقدية في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى جامعة إفريقيا العالمية، كلية اللغة العربية، قسم اللغة العربية، الخرطوم، السودان٢٠٢١ م.
- العتبي والعامري، محمد سعيد رضا علو، ومحمد بشير حسن راضي
٣٨ – تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، دار الجامعية للطباعة، بغداد، ٢٠٠٢ م.
- العلياوي، حسين جبار
٣٩ - البشكنس ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس حتى سنة ٤٢٧ هـ /١٠٣٥ م، ط ١، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠١٧ م .
٤٠ - الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين(٩٦-٥٤١هـ /٧٤١-١١٤٦ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥ م.
-العمايرة، محمد نايف
٤١ -مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩
- عنان، محمد عبد الله

٤٢ - الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٧ م .
٤٣ - دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، جـ ١ ، ٥، ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، جـ ٣، ٤، ط ٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- الكتاني، علي بن محمد المنتصر
٤٤ - انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- كراتشوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش
٤٥ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- كندرو
٤٦ - مناخ القارات، ترجمة حسين طه النجم وآخرون، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٧ م.
- مكي، محمود علي
٤٧ - البرتغال الإسلامية، مجلة العربي، العدد ٢١٩، لسنة ١٩٧٧ م.
- الموسوي، مصطفى عباس
٤٨ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢ م.
- مؤنس، حسين
٤٩ - فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢ -١٣٨ هـ / ٧١٠ -٧٥٥ م، ط ١، القاهرة، ١٩٥٩ م .
- المياح، عبد الرحمن رشك
٥٠ - أوربا في كتب البلدانيين العرب المسلمين، دراسة في الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية، ق ٣ -٨ هـ/ ٩ -١٤ م، بغداد، ٢٠٠٨ م .
- الهاشمي، التهامي الراجي
٥١ - نظم وإدارة بني أمية بالأندلس من خلال المقتبس لابن حيان، بحث منشور في مجلة المناهل، العدد (٢٩)، لسنة (١١)، الرباط، ١٩٨٤ م .
هنتس، فالتر
٥٢ - المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمّان ١٩٧٠ م .
٥٣ - Wikipedia، . org ، مقالة عن لوشة الأندلسية.

المحتويات

المقدمة . . . . . .
- تاريخ مدينة شنترين الأندلسية
(٩٥ -٥٨٥ هـ/٧١٣ -١١٨٩ م) . . . . . .
المبحث الأول: الجغرافية التاريخية لمدينة شنترين . . . . .
المبحث الثاني: التاريخ السياسي والعسكري لمدينة شنترين
حتى سنة٥٤٢ هـ/١١٤٧ م . . . . . .
المبحث الثالث: الصراع الإسلامي النصراني على شنترين
٥٤٢ -٥٨٥ هـ/١١٤٧ -١١٨٩ م . . . . . .
المبحث الرابع: الحركة الفكرية في مدينة شنترين . . .
- مدينة لوشة Loja الأندلسية
٩٢ – ٨٩١ هـ/ ٧١٠ -١٤٨٦ م . . . . . .
المبحث الأول : الجغرافية التاريخية لمدينة لوشة . . . . .
المبحث الثاني: التاريخ السياسي لمدينة لوشة
٩٢ – ٨٩١ هـ/ ٧١٠ -١٤٨٦م . . . . . .
المبحث الثالث: الحركة الفكرية في مدينة لوشة . . . . .
مصادر ومراجع الكتاب . . . . . .